اتفاق شرق الفرات يثير غضب الأسد والروس

ص4

محمد قايدي خليفة غامض للجنرال السجين «توفيق»

ص8

الانتحارية التي غيرت حياتي

ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/08/18

17 ذو الحجة 1440

السنة 42 العدد 11440

Sunday 18/08/2019

42nd Year, Issue 11440

التحالف العربي ينزع فتيل الأزمة في عدن

• المجلس الانتقالي يخلي مواقع تحت سيطرته كبادرة حسن نية

• حزب الإصلاح الإخواني يوتر الأجواء في تعز ردا على هزيمته في عدن

عدن – أعلن التحالف العربي بقيادة السعودية بدء القوات التابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي بالانسحاب من مواقع كان سيطر عليها في الأحداث الأخيرة التي شهدتها العاصمة اليمنية المؤقتة، في خطوة اعتبر مراقبون أنها بمثابة بادرة حسن نية داعمة لجهود التحالف في نزع فتيل الفتنة وإنضاج الشروط لعقد لقاء جدة.

وأشار بيان صادر عن التحالف، السبت، إلى أن خطوات الانتقالي جاءت استجابة لبيان سابق للتحالف دعا فيه "كافة المكونات والتشكيلات العسكرية من الانتقالي وقوات الحزام الأمني إلى العودة الفورية إلى مواقعها" خلال المواجهات الأخيرة.

وأشاد البيان باستجابة الانتقالي لدعوة السعودية والإمارات إلى "وقف إطلاق النار وتغليب الحكمة"، مشددا على ضرورة "استمرار التهدئة وضبط النفس ووقف الخطاب الإعلامي المتشنج، وتعزيز لغة الحوار والتصالح".

وأكدت مصادر سياسية مطلعة لـ"العرب" على أن بيان التحالف العربي جاء في أعقاب رفع اللجنة المشكلة من السعودية والإمارات، والمعنية بالإشراف على تطبيع الأوضاع في عدن، لتقريرها الأولي، إضافة إلى انتهاء التحالف من وضع الإطار العام لمحددات حوار جدة الذي دعت إليه السعودية كلا من الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي.

وكشفت المصادر عن بوادر تغييرات واسعة ستطال بنية الشرعية ومؤسسة الرئاسة خلال الأيام القادمة كجزء من استحقاقات انسحاب الانتقالي في عدن.

ولفتت المصادر إلى أن الحوار القادم سيعمل على إعادة التوازن داخل "الشرعية" اليمنية ومؤسساتها، وسيخفف من سطوة وهيمنة حزب الإصلاح الإخواني عليها. كما سيعزز من مشاركة القوى والمكونات اليمنية الأخرى وفي مقدمتها المجلس الانتقالي وتيار 4 ديسمبر في حزب المؤتمر الشعبي العام المناهض للميليشيات الحوثية.

ووفقا للمصادر يتصدر موضوع الفوضى الإعلامية ملف المراجعات التي تجريها التحالف العربي، والتي ساهمت في اتساع الهوة بين

المخلافي يدافع عن شبح الرئيس

ص3

المكونات الرافضة للمشروع الإيراني في اليمن. ويسعى التحالف في هذا السياق إلى جمع التيارات والقوى اليمنية حول ميثاق شرف إعلامي ومحددات جديدة للتخفيف من حدة التجاذبات بين الأطراف اليمنية.

وفي سلسلة تغريدات على تويتر، عكست التقدم في ملف تطبيع الأوضاع في عدن، قال السفير السعودي في اليمن محمد آل جابر إن بلاده تثمن "الدور الفعال للأشقاء في الإمارات وجهودهم المستمرة لمعالجة أحداث عدن الأخيرة وتلافي آثارها".

ولفت آل جابر إلى أن "الإجراءات التي اتخذت لمعالجة أحداث عدن وتجاوب الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي (أكدت) متانة العلاقات السعودية – الإماراتية، واتفاق قيادتها على الحفاظ على الدولة واستعادة الأمن والاستقرار في اليمن".

من جهته، رحب وزير الإعلام في الحكومة اليمنية معمر الإرياني في تغريدات على تويتر "بخطوة انسحاب المجلس الانتقالي من عدد من المقرات الحكومية في مدينة عدن بينها الأمانة العامة لمجلس الوزراء والمجلس الأعلى للقضاء والبنك المركزي ومستشفى عدن"، مشيرا إلى "استكمال إجراءات تسليم وزارة الداخلية ومصفاة عدن إلى ألوية الحماية الرئاسية بإشراف تحالف دعم الشرعية".

لكن المجلس الانتقالي أكد أن قواته لم تنسحب من المعسكرات والمواقع الحيوية في عدن، وإنما انسحبت من بعض المرافق الخدمية، ضمن تفاهمات مع التحالف العربي، وهو ما يعني أن الأوضاع لن تعود إلى ما كانت عليه قبل المواجهات، وأن المجلس لن يفتح الأبواب مجددا لسيطرة حزب الإصلاح الإخواني على المؤسسات الحيوية في قلب عدن وتهديد مصالح الجنوبيين.

وحذر مراقبون من سعي حزب الإصلاح لإرباك التحالف العربي من خلال افتعال معارك جانبية، مشيرين إلى المواجهات التي تشهدها محافظة تعز بين ميليشيات الحشد الشعبي التابعة للحزب الإخواني والممولة في قطر ومسقط، التي قامت خلال اليومين الماضيين بمهاجمة مواقع اللواء 35 مدرع في منطقتي التربة والبيرين في هجوم مزدوج شاركت فيه الميليشيات الحوثية.

وقالت مصادر محلية لـ"العرب" إن حزب الإصلاح دفع بتعزيزات عسكرية لمديرية الشمايتين للسيطرة على مدينة التربة، بالرغم من صدور توجيهات من محافظ تعز ورئيس اللجنة الأمنية نبيل شمسان، طالب فيها الحملة العسكرية التي يقودها مدير الشرطة الإخواني بالعودة إلى معسكراتها.

وكشف بيان صادر عن كتائب العقيد أبي العباس التابعة للواء 35 مدرع عن تعرضها لحملة استهداف من "ميليشيا الحشد الشعبي التابعة لحزب الإصلاح"، واستخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والمدفعية الثقيلة، وهو الهجوم الذي جاء "بالتنسيق وبالتزامن مع هجوم آخر شنته جماعة الحوثي الانقلابية على مواقعنا في جبهة الكدحة، وهو ما يجعلنا نحمل السلطة المحلية وحزب الإصلاح مسؤولية سقوط أي موقع في يد الانقلابيين".

واعتبر محافظ تعز السابق أمين محمود أن الهجوم المزدوج الذي يتعرض له اللواء 35 من قبل الحوثيين والإخوان ليس الأول، مشيرا إلى حدوث "الهجوم الأخطر السنة الماضية قبل عيد الأضحى حين هوجم هذا اللواء وبشكل متزامن من الجنوب بمجاميع ما يسمى اللواء الرابع مشاة جبلي ومن اتجاه دمنة خدير والصلو من قبل قوات الميليشيات الحوثية".

من جهته كشف صادق دويد الناطق باسم المقاومة الوطنية عن عمليات مضايقة وتهجير تتعرض لها العشرات من الأسر التي نزحت إلى التربة من مناطق سيطرة الحوثيين.

الشارع الجنوبي في تأهب

السودان يطوي رسميا مرحلة العسكر لكنه يحتاج إلى تفكيك بناها العميقة

الخرطوم – أنهى السودان، أمس، وبصفة نهائية مرحلة طويلة من تاريخه سيطر عليها العسكر متحالفا مع الإخوان ومع منظومة الفساد ليدخل مرحلة جديدة تقوم على حكم مؤسسات مدنية منتخبة وبدعم إقليمي ودولي واسعين، لكنه يحتاج إلى وقت لتفكيك بناها العميقة.

ووقع المجلس العسكري وحركة الاحتجاج في السودان، السبت، إعلانا دستوريا من شأنه أن يمهد لبدء مرحلة انتقالية تفضي إلى حكم مدني، وذلك بحضور رسمي من دول عدة وأجواء شعبية احتفالية.

ووقع "الوثيقة الدستورية" كلّ من نائب رئيس المجلس العسكري محمد حمدان دقلو المعروف باسم حميدتي وممثل تحالف إعلان قوى الحرية والتغيير أحمد الربيع في قاعة فخمة تطل على نهر النيل في الخرطوم. واستغرقت العملية بضع دقائق وشملت أوراقا عدة.

وفور انتهاء التوقيع، حمل رئيس المجلس العسكري عبدالفتاح البرهان الوثيقة التي وضعت في غلاف سميك باللون الأخضر عاليا ولوح بها وسط تصفيق الحاضرين، وبينهم رؤساء دول وحكومات أفريقية وممثلون عن الاتحاد الأفريقي والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. كما حضر وزراء ومسؤولون من دول خليجية وعربية.

وجلس حميدتي والربيع على المنصة الرئيسية وبجوارهما رئيس وزراء إثيوبيا آبي أحمد، الذي قاد الوساطة التي أدت إلى الاتفاق.

واعتبر آبي أحمد أن الاتفاق بمثابة بداية مرحلة جديدة، مجددا الالتزام بدعم السودان خلال المرحلة الانتقالية، داعيا القوى السودانية إلى التعاون ووحدة الصف، ومشيرا إلى أن الطريق إلى الديمقراطية بدأ الآن.

وقال ممثل الاتحاد الأفريقي، موسى فقي محمد، في كلمة ألقاها بعد التوقيع "هذا الإنجاز التاريخي العظيم هو نتيجة طيبة من هندسة وصنع الإرادة الوطنية والمجلس العسكري الانتقالي وقوى إعلان الحرية والتغيير والحركات المسلحة والفاعلين السياسيين".

ثم ألقى الزعيم السوداني المعارض، الصادق المهدي، كلمة اعتبر فيها أن هذا اليوم هو "يوم عبور إلى الحكم المدني الذي سيحقق السلام والتحوّل الديمقراطي عبر انتخابات حرة احتكاما للشعب السوداني".

وحث على فتح الباب أمام "كل القوى التي لم تلوث مواقفها بالاستبداد"، وإلى عدم إقصاء أحد.

من جهته، أكد محمد ناجي ممثل قوى الحرية والتغيير، على ضرورة العمل على أن يكون السلام شاملا في كافة مناطق الحروب دون استثناء، مشددا على تمسك قوى الحرية والتغيير بإجراء التحقيق العادل في فض اعتصام القيادة العامة وألا يفلت أي مجرم من العقاب.

وقال "نتطلع لإنهاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة وكفالة حقوقها قانونا وممارسة"، مطالبا بالعمل على إعادة السودان إلى المجتمع الدولي بشكل عاجل، وبنبذ العنصرية والقبلية وإشاعة التسامح وإعلاء قيمة الوطن فوق كل شيء. وشدد على ضرورة تحقيق المساواة بين أقاليم السودان المختلفة.

وينهي الاتّفاق الذي تم التوصل إليه في الرابع من أغسطس نحو ثمانية أشهر من الاضطرابات بدأت بتظاهرات حاشدة ضدّ الرئيس المعزول عمر حسن البشير. وأطاح الجيش بالبشير تحت ضغط الشارع في أبريل، بعد 30 سنة من حكم السودان بقبضة من حديد.

وتم التوصل إلى الاتفاق بين المجلس العسكري الذي تولى الحكم بعد الإطاحة بالبشير والمحتجين بوساطة إثيوبية، بعد عملية قمع دامية لاعتصام كان يطالب بتسليم الحكم إلى المدنيين. وتسببت عملية القمع بمقتل أكثر من 250 شخصا، بحسب لجنة الأطباء المركزية القريبة من المحتجين.

وبدأ حفل التوقيع، السبت، بالنشيد الوطني السوداني ثم تمت تلاوة آيات من القرآن الكريم، قبل أن يتلو أحدهم آية من مزمور من العهد القديم في الكتاب المقدس "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنبتهج ونفرح به".

وعلقت لافتات داخل القاعة الفخمة كتب عليها "فرح السودان". وخيمت الأجواء الاحتفالية على البلاد منذ الصباح. وتقاطر الآلاف من المواطنين من جميع أنحاء السودان إلى الخرطوم للمناسبة.

ومع التوقيع الرسمي على الاتفاق، سيبدأ السودان عملية تشمل خطوات أولى فورية مهمة، إذ سيتم، الأحد، الإعلان عن تشكيلة مجلس الحكم الانتقالي الجديد الذي سيتألف بغالبيته من المدنيين.

وأعلن قادة الحركة الاحتجاجية، الخميس، أنّهم اتّفقوا على تعيين المسؤول السابق في الأمم المتحدة عبدالله حمدوك، وهو خبير اقتصادي مخضرم، رئيسا للوزراء.

ومن المتوقّع أن يركّز حمدوك جهوده على إصلاح الاقتصاد السوداني الذي يعاني من أزمة منذ انفصال الجنوب الغني بالنفط في 2011 عن الشمال. وشكّل الوضع المعيشي شرارة الاحتجاجات ضد حكم البشير.

لكنّ العديد من السودانيين يشكّكون في قدرة المؤسسات الانتقالية على كبح جماح القوى العسكرية خلال فترة السنوات الثلاث التي ستسبق الانتخابات.

روزاليند مارسدن

التحدّي الأكبر سيكون تفكيك الدولة الإسلامية العميقة

وسيحكم البلد الذي يبلغ عدد سكانه 40 مليون نسمة مجلس سيادة يتألف من 11 عضوا. وينص الاتفاق على أنّ يعين العسكر وزيري الداخلية والدفاع.

وتقول روزاليند مارسدن من مركز "تشاتام هاوس" في لندن إنّ "التحدّي الأكبر الذي يواجه الحكومة هو تفكيك الدولة الإسلامية العميقة التي سيطرت على جميع مؤسسات الدولة والقطاعات الرئيسية في الاقتصاد، بما في ذلك المئات من الشركات المملوكة للجهاز الأمني-العسكري".

وقال العضو البارز في المجلس العسكري الانتقالي اللواء الركن محمد علي إبراهيم، الجمعة، إنّ التوقيع الرسمي "سيفتح الباب مجدّدا أمام العلاقات الخارجية للسودان".

ويشكّك البعض في معسكر الاحتجاج في قدرة الاتفاق على الحدّ من سلطات الجيش وضمان العدالة.

وغابت عن حفل السبت المجموعات المتمرّدة في المناطق المهمّشة مثل دارفور والنيل الأزرق وكردفان.

وكانت الجبهة الثورية التي توحّدت هذه الحركات تحت رايتها، رفضت الإعلان الدستوري وطالبت بتمثيل أكبر في الحكومة.

وحذّر الصحافي البارز، عثمان الميرغني من المبالغة في الاحتفالات، قائلا "نحتفل اليوم بتوقيع وثائق الانتقال... لكن بالله عليكم لا تضيعوا مزيدا من العمر في الاحتفالات".

المحامون الأتراك يقاطعون احتفالية أردوغان

إسطنبول – تتسع قائمة الغاضبين على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، مع الوقت، وخاصة في السلطة القضائية التي باتت ترى فيه خطرا على استقلاليتها بسبب عدائه لها والاعتقالات التي طالت أعدادا من منتسبيها في السنوات الأخيرة.

وأكدت العديد من نقابات المحامين، السبت، أنها سوف تقاطع مراسم قضائية احتفالية تقام الشهر المقبل في القصر الرئاسي في أنقرة احتجاجا على سجلّ أردوغان في معاداة القطاع.

وأعلنت نقابة المحامين بأنقرة، السبت، عن رفضها دعوة من محكمة الاستئناف العليا لحضور مراسم تحتفي ببدء العام القضائي في 2 سبتمبر.

وجاء الرفض الأول، الخميس، من نقابة المحامين في إزمير، ثم انضمت عشر نقابات أخرى إلى المقاطعة.

وجاء في بيان نقابة إزمير الموجه إلى رئيس المحكمة "من المحتمل أن تتحدث في الخطاب الذي ستلقيه هناك عن استقلال القضاء وحياده.. ورغم أنك تعلم أن الآلاف من الأشخاص الذين يكافحون من أجل الحقوق قابعون في السجون، سوف تتحدث عن الحريات الشخصية والسلامة وحرية التعبير والحق في محاكمات عادلة وحرية الصحافة".

وهناك محامون وقضاة بين الآلاف ممن عُزلوا من مناصبهم أو اعتقلوا بموجب حالة الطوارئ في تركيا التي أعقبت محاولة الانقلاب الفاشلة في 2016.

وجاء في البيان "سوف تؤكد مرارا وتكرارا على أنك لا تتلقى الأوامر أو التعليمات من أحد، وأن لا شيء يعلو على القانون.. ولكن أين ستقول هذا؟ في ساحة القصر حيث يعيش الرئيس التنفيذي".

ولدى رجب طيب أردوغان، الذي تولى منصب الرئيس التنفيذي العام الماضي، صلاحيات كاسحة، تشمل نفوذا أكبر على القضاء. ويمكنه اختيار أعضاء مجلس القضاة والمدعين المسؤول عن تعيين القضاة والمدعين.

وطالب أردوغان في مناسبات كثيرة باحترام القضاء التركي، مؤكدا أنّ "علينا جميعا أن نحترم قرار العدالة التركية".

ورغم أنّ السلطات التركية فصلت الآلاف من ممثلي الادعاء والقضاة منذ محاولة الانقلاب في يوليو 2016، إلا أنها أصدرت في مارس الماضي أوامر باعتقال 126 شخصا آخرين، يعملون في القضاء للاشتباه في صلتهم بشبكة فتح الله غولن.

وتزعم السلطات التركية أنه إلى جانب الجيش ومؤسسات الدولة، فإن نظامها القضائي مخترق من أفراد تابعين لشبكة غولن.

وفي يوليو 2018 نشرت الجريدة الرسمية مرسوما يقضي بإلحاق عدد من مؤسسات الدولة إلى رئاسة الجمهورية.

والمؤسسات التي تمّ إلحاقها بأردوغان مباشرة، هي: رئاسة الأركان، رئاسة الاتصالات، والأمانة العامة لمجلس الأمن القومي، وجهاز الاستخبارات، ورئاسة إدارة القصور الوطنية، ورئاسة الصناعات الدفاعية، والميزانية، والصندوق السيادي التركي.

خيرالله خيرالله

معاقبة «حزب الله» ومعاقبة لبنان

ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

تمسك العسكر بحكومة بدوي يعيق لجنة الحوار في الجزائر

غموض موقف لجنة الحوار إزاء الأحزاب المؤيدة لنظام بوتفليقة

عرقل العشرات من الطلاب في الجزائر السبت اجتماعا لهيئة الحوار التي كلفتها السلطة المساعدة في إخراج البلاد من الأزمة، وذلك تنديدا بقيام نقابة طلابية يتهمونها بتأييد السلطة بتمثيلهم، ما يجعل الغموض يحيط بمصير الحوار الوطني، في وقت تزيد فيه الدعوات الرافضة للحوار من الشكوك في قدرته على قيادة البلاد إلى وساطة حقيقية تنهي الأزمة السياسية في البلاد.

صابر بليدي
صحافي جزائري

حالة الاستقطاب تتفاقم بين الشارع والسلطة الجزائرية

الجزائر – يسير عمل لجنة الحوار والوساطة في الجزائر، إلى التحلل التدريجي وفقدان المصداقية لدى الرأي العام، في ظل تذبذب مواقفها وتصاعد الرفض الشعبي لها خلال الأسابيع الأخيرة، الأمر الذي ينبئ بفشل حظوظها وغموض مصيرها، كما فشلت المساعي السابقة للدبلوماسيين السابقين لخضر الإبراهيمي ورمطان لعمامرة، ما اضطرهما للانسحاب تحت ضغط الحراك الشعبي.

واقتحم طلبة جامعيون جلسة الحوار المنتظمة بالعاصمة بين لجنة الحوار والوساطة، وبين تنظيمات جامعية، للتعبير عن رفضهم الحديث باسمهم أو الزعم بتمثيلهم أمام السلطة، وجدد هؤلاء رفضهم لأي حوار سياسي أو مشروع انتخابي، تنظمه المؤسسات الحالية أو تحاول عبره إعادة إنتاج النظام بوجوه وآليات جديدة.

واعتبر الطلبة المحتجّون عمل لجنة الحوار "مخالف لشرعية الحراك "حسبما رددوا، متهمين أعضاء اللّجنة ورئيسها كريم يونس بـ"خيانة إرادة الشعب وإدارة الظهر للهبة السلمية التي خرج من أجلها الجزائريون منذ الـ22 من فبراير الماضي".

وعكس موقف الطلبة تجاه لجنة كريم يونس، الرفض السائد في الشارع الجزائري لمحاولات الالتفاف على مطالب الحراك الشعبي، حيث عبرت المسيرات الأسبوعية الأخيرة عن الرفض المطلق للمساعي المبذولة من أجل ما بات يعرف بالعودة إلى "المسار الانتخابي"، والذهاب لانتخابات رئاسية في أقرب الآجال، بآليات لم تحظ بثقة الفاعلين في الحراك الشعبي، لاسيما حكومة تصريف الأعمال.

ووجد منسق اللجنة كريم يونس، نفسه محرجا أمام الطلبة الذين اقتحموا صالة الاجتماع، خاصة في ما تعلق بالضمانات المتصلة بنفوذ المؤسسة العسكرية بقيادة الجنرال أحمد قايد صالح، في توجيه المشهد السياسي، ومصير حكومة نورالدين بدوي، المتمسك بها من طرف سلطة الأمر الواقع، رغم الإجماع على ضرورة رحيلها.

وتشكلت هيئة الحوار الوطني في يوليو وألقي على عاتقها التشاور مع الأحزاب السياسية والمجتمع المدني وممثلين عن الحراك الاحتجاجي، بغية تحديد آليات لإجراء انتخابات رئاسية بعد استقالة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة في 2 أبريل.

وتعكف لجنة الحوار والوساطة على تنصيب هيئات ثانوية على رأسها لجنة الحكماء والعقلاء، إلا أن المقاطعة والتجاهل الذي يلف دعواتها، يفاقمان التساؤل حول مصير وحظوظ اللجنة في قيادة البلاد إلى حوار سياسي ووساطة حقيقية بين أطراف الصراع، ولا يستبعد أن يكون مصيرها كمصير مساع سابقة قادها كل من الدبلوماسيين السابقين لخضر الإبراهيمي ورمطان لعمامرة، قبل أن ينسحبا تحت ضغط الحراك الشعبي.

> **صمود حكومة بدوي، المستند إلى نفوذ قيادة الجيش، وطرحها لملفات حساسة وقرارات وازنة لا تدخل في صلاحيات حكومات تصريف الأعمال، يعطي الانطباع بأن الحكومة باقية إلى أجل غير مسمى رغم الإجماع على رحيلها**

وإذ لم يستبعد عضو اللجنة عمار بلحيمر، تنحي الحكومة في القريب العاجل، من أجل السماح بحلحلة الانسداد القائم، إلا أن صمود حكومة نورالدين بدوي، المستند إلى نفوذ قيادة الجيش، وطرحها لملفات حساسة وقرارات وازنة لا تدخل في صلاحيات حكومات تصريف الأعمال، يعطي الانطباع بأن الحكومة باقية إلى أجل غير مسمى رغم الإجماع على رحيلها.

وكان قائد أركان الجيش قايد صالح، قد أكد في مداخلة له، على ضرورة تمسك الجيش بالحلول الدستورية والاحتفاظ بالمؤسسات الحالية، وعدم الاستجابة لمطالب التهدئة المرفوعة، رغم أن رئيس الدولة المؤقت عبدالقادر بن صالح، وعد بتنفيذها في أول لقاء له مع منسق لجنة الحوار والوساطة.

ودفع موقف الجيش، عضوين من اللجنة إلى الاستقالة، وإلى إثارة شكوك حول عدم الانسجام في هرم السلطة حول المخارج السياسية للأزمة، كما تفاقمت حالة الاستقطاب بين الشارع والسلطة، لاسيما بعد تحول الجنرال قايد صالح نفسه، ولجنة الحوار، إلى خصمين أساسيين للحراك الشعبي الذي عبر في احتجاجاته الأخيرة، عن رفض أي حوار أو انتخابات في ظل الظروف والشروط المفروضة من طرف السلطة، واعتبار قايد صالح وكريم يونس، من وجوه النظام السابق المطالب بالرحيل والتنحي.

ورغم محاولة بعض الأحزاب والجمعيات والتنظيمات ركوب موجة تسيد المشهد بالانخراط في الحوار المفتوح، إلا أن العودة التدريجية لزخم الحراك الشعبي في الأسابيع الأخيرة، يوحي بأن أذرع نظام بوتفليقة تلعب أوراقها الأخيرة بغية التموقع، قبل أي مصير للاندثار مع احتمال العودة القوية للحراك الشعبي بالموازاة مع الدخول الاجتماعي.

ورغم ذلك أدان الأمين العام للاتحاد العام الطلابي الحر صلاح الدين دواجي، المقرب من الإسلاميين، "سلوك الطلبة الذين قاموا باقتحام مقر لجنة الحوار والوساطة، واتهمهم بممارسة العنف اللفظي والبدني، والانسياق وراء الدعوات المغرضة التي تحمل العداء لمبادرات الحوار وجميع الحلول المقترحة لإنهاء أزمة الانسداد السياسي".

وإذ يلف الغموض موقف المتحاورين في ما يخص مسألة مشاركة أحزاب السلطة من عدمها، بسبب ضلوعها في المأزق السياسي الذي تتخبط فيه البلاد منذ سبعة أشهر، ودعمها للولاية الرئاسية الخامسة لبوتفليقة التي فجرت الوضع بالجزائر، حيث ذهب بعض أعضاء اللجنة إلى رفض الأحزاب المعنية والقبول بالحضور الفردي للأعضاء، فإن بوادر الإقصاء بدأت مع التصريح بإزاحة 3 أحزاب مجهرية كانت توالي بوتفليقة، وهي حزب الكرامة للمحامي محمد بن حمو، والعدل والبيان للنائبة البرلمانية نعيمة صالحي، والحزب الوطني الجمهوري للوزير السابق بلقاسم ساحلي.

واستغرب متابعون معالم سياسة الكيل بمكيالين المنتهجة من طرف لجنة الحوار، ففيما تجرأت على الإعلان عن إقصاء أحزاب صغيرة من الحوار، لا يزال موقفها مبهما تجاه أحزاب التحالف الرئاسي المؤيد لبوتفليقة، (جبهة التحرير الوطني، التجمع الوطني الديمقراطي، الحركة الشعبية الجزائرية وتجمع أمل الجزائر)، رغم تواجد قادتها الأربعة، جمال ولد عباس، أحمد أويحيى، عمارة بن يونس وعمار غول، رهن الحبس المؤقت في الحراش، لاسيما وأن الحزبين الأولين هددا بشل النشاط البرلماني في حال إقصائهما من الحوار.

وذكر صلاح الدين دواجي "هؤلاء معروفون بامتداداتهم التي تحمل العداء لمشروع الحوار، كيف يريدون إقصاء الآخر، لقد تم تغليطهم بأن الاتحاد الطلابي الحر كباقي المنظمات الطلابية المتورطة مع النظام السابق، لكننا كطلبة منتمين لهذه المنظمة لسنا كذلك لأننا لم نكن داعمين للعهدة الخامسة وهو ما تسبب في تعرض الاتحاد لمؤامرة من طرف أحد الأحزاب السياسية والسعيد بوتفليقة، فقاما باستبدالي بشخص آخر دون وجه حق لأنني وقفت ضد العهدة الخامسة".

وشكّل الحوار في الجزائر بؤرة اهتمام الطبقة السياسية وعامة الشعب، موالاة ومعارضة، في عهد عبدالعزيز بوتفليقة وبعد استقالته، ليتم طرح عدد من التصورات التي من الممكن أن تجلس فيها الأطراف المختلفة، على مائدة واحدة.

الجهود المغربية تسهم في تراجع معدلات الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا

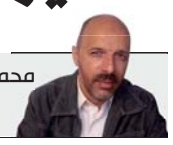

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – انخفض عدد المهاجرين غير النظاميين الذين تدفقوا إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق، إلى حدود 13 أغسطس الجاري، بـ39 بالمئة مقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي، ليصبح مجموع الوافدين 18 ألف مهاجر غير نظامي، ما يعني حسب بيانات رسمية، أن حكومة مدريد تقترب من هدفها المتمثل في الحد من الهجرة غير الشرعية بمقدار النصف خلال العام 2019.

وأكدت وكالة حماية الحدود الأوروبية "فرونتكس"، عبر موقعها الإلكتروني، أن معدلات الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا، انخفضت في الأشهر السبعة الأولى من العام الحالي بنسبة 30 بالمئة مقارنة بعام 2018.

وذكرت "فرونتكس" أن عدد المهاجرين غير الشرعيين بلغ 54300 مهاجر، وارتفع عدد المهاجرين غير الشرعيين عبر طرق الهجرة الرئيسية في أوروبا، في شهر يوليو 2019، بنسبة 4 بالمئة، مقارنة بشهر يونيو الماضي ليبلغ عددهم نحو 10500 مهاجر.

وأكدت مصادر مطلعة أنه بدعم مالي ولوجستي من الاتحاد الأوروبي وإسبانيا، نشر المغرب قواته الأمنية لاحتواء ضغوط الهجرة على أوروبا، كما اعتبرت حكومة مدريد المغرب شريكا استراتيجيا في مكافحة الهجرة غير الشرعية، إقرارا بدوره الحيوي في الحد من هذه الظاهرة.

وتعهدت المفوضية الأوروبية بتقديم مبلغ 140 مليون أورو للمغرب من أجل مكافحة الهجرة غير الشرعية، وقد شرعت الحكومة الإسبانية بمباشرة عمليات شراء المعدات والوسائل اللوجستيكية اللاّزمة من أجل التحكم في تدفق المهاجرين غير الشرعيين نحو إسبانيا وتحويلها إلى المغرب، لمساعدته في الحد من تدفق المهاجرين.

ويكثف الاتحاد الأوروبي مساعداته للمغرب، باعتباره أحد الشركاء الرئيسيين له، وأشارت اللجنة الأوروبية أنه على "المغرب والاتحاد الأوروبي العمل معا على رفع التحديات المطروحة عليهما في الوقت الراهن، وأنه باستطاعتهما محاربة شبكات الهجرة، وإنقاذ الأرواح ومساعدة الأشخاص المحتاجين".

ويلفت المغرب إلى أن مقاومته لهذه الظاهرة لا يعني أنه شرطي مرور لأوروبا على الحدود الجنوبية، بل يؤكد أن احتواء الهجرة الغير شرعية لا تنجح إلا بجهود دولية مشتركة. وشدد مدير الهجرة ومراقبة الحدود بوزارة الداخلية المغربية خالد الزروالي،على أن حماية الحدود يجب أن تتم وفق منطق الربح المتبادل، وأن المسؤولية مشتركة، مبرزا الجهود التي تبذلها المملكة من أجل تعزيز الرقابة على حدودها ومحاربة الهجرة السرية، وكذلك مقاومتها بشكل فعال لشبكات تهريب البشر وتفكيك المنظمات الإجرامية ورفع مستوى المراقبة البحرية.

وتعود النجاعة المغربية في التعاطي مع ملف المهاجرين غير النظاميين، إلى وجاهة سياسة الهجرة التي أطلقها العاهل المغربي الملك محمد السادس عام 2013، والتي مكنت من حماية المهاجرين من شبكات الاتجار بالبشر. وذكّر الزروالي أيضا بالاستراتيجية ذات البعد الإنساني التي اعتمدها المغرب لمقاربة هذا الملف، والتي تتسم في نفس الوقت بالشمولية.

بدوره لفت صبري الحو، الخبير في القانون الدولي والهجرة، إلى أن سياسة المغرب تستهدف المواطن الأفريقي أيضا وتحترم حقه وحريته سواء في العيش في المغرب أو في اختيار الهجرة بطرق قانونية.

وأحبطت السلطات المغربية خلال العام الجاري حوالي 25 ألف محاولة للوصول إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق، كما تم تفكيك 50 شبكة لتهريب البشر أي بزيادة بحوالي 73 بالمئة، مقارنة بنفس الفترة من العام الماضي، حسب مصادر الداخلية المغربية.

ويطالب المغرب بدعم مالي ولوجستي من الاتحاد الأوروبي ليتمكن من مواجهة ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي باتت مصدر قلق لبلدان ضفتي البحر المتوسط. ويؤكد المغرب أن قيمة الدعم الذي يحصل عليه حاليا ليست كافية في مواجهة تنامي أعداد الأفارقة الراغبين في الوصول إلى أوروبا.

وخصّص الاتحاد الأوروبي منذ 2014 مبلغ 232 مليون أورو عبر مختلف الصناديق لدعم المبادرات والأعمال التي تروم حلّ ملف الهجرة بالمغرب، ما يَجعله ضمن البلدان الأكثر استفادة من المساعدات الأوروبية، وحددت "إسبانيا حوالي 26 مليون أورو لتزويد وزارة الداخلية المغربية بأسطول من المركبات لاحتواء أزمة الهجرة غير الشرعية"، وذلك بعد أن وافق مجلس الوزراء الإسباني على هذا الإجراء، الجمعة الماضي.

> **25 ألف محاولة للوصول إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق أحبطتها السلطات المغربية، كما تم تفكيك 50 شبكة لتهريب البشر**

وتحظى الرباط بمساندة إسبانيا نظرا لأهمية الدعم المالي واللوجستي للتصدي للهجرة غير النظامية، وقد وأوردت وكالة "أوروبا بريس" الإسبانية أن المغرب سيتسلم قريباً 750 مركبة وطائرات دون طيار لمراقبة الحدود، حُدّد عددها في حدود 15 طائرة، إضافة إلى سيارات للإسعاف وموارد أخرى.

ويتوجه المهاجرون إلى الضفة الشمالية للبحر المتوسط، عبر مضيق جبل طارق من المغرب إلى إسبانيا بعد أن تم تضييق الخناق عليهم في الجهة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من حوادث الغرق.

وأوضحت منظمة الهجرة الدولية أنه خلال العام الجاري، غرق 208 مهاجر انطلقوا من المغرب نحو إسبانيا، في حين غرق 150 مهاجرا انطلقوا من تونس قاصدين جزيرة صقلية.

وأكدت معطيات جديدة لمنظمة الهجرة الدولية، تراجع عدد المهاجرين غير النظاميين الذين لقوا حتفهم في البحر المتوسط، إلى 844 مهاجرا إلى حدود شهر أغسطس من عام 2019 الجاري، في حين بلغ عدد المهاجرين الذين هلكوا خلال 2018 بينما كانوا يحاولون عبور المتوسط نحو الضفة الأوربية 1541 مهاجرا.

وأرجعت منظمة الهجرة الدولية، أسباب عبور غالبية المهاجرين الذين لقوا حتفهم، والذين ينحدرون من دول أفريقيا جنوب الصحراء، إلى المعدلات العالية من الفقر الذي يشمل وضعية المعيشة والتعليم ومستوى الرعاية الصحية وغيره من ضروريات العيش اليومية، كما تنتشر هناك النزاعات التي تقودها ميليشيات وفصائل مسلحة تسعى للسيطرة على الثروات هناك.

المغرب ينجح في احتواء ضغوط الهجرة على أوروبا

شكوك حول مغادرة ناقلة النفط الإيرانية جبل طارق

جبل طارق – تطيل مذكرة أصدرتها الولايات المتحدة، الجمعة، لمصادرة ناقلة النفط الإيرانية "غريس 1" التي ترسو في جبل طارق منذ احتجازها مطلع يوليو وتستعد للإبحار بعدما سمحت لها سلطات المنطقة البريطانية بذلك، أمد الأزمة الدبلوماسية بين طهران وواشنطن.

وحتى ظهر السبت لم يصدر أي رد فعل عن المملكة المتحدة أو جبل طارق على المذكرة الأميركية. ولكن أي أمر باحتجاز السفينة يجب أن يصدر عن محكمة جبل طارق العليا. وإلى حدود كتابة هذا الخبر لم يحدث ذلك والناقلة لا تزال حرة في الإبحار.

وأكدت وزارة العدل الأميركية في بيان الجمعة أن ناقلة النفط تستخدم في تجارة "غير مشروعة" باتجاه سوريا، ينظمها الحرس الثوري الإيراني الذي أدرجته واشنطن على لائحتها "للمنظمات الإرهابية الأجنبية".

واتهم وزير العدل الأميركي في المذكرة الناقلة بالضلوع في مخطط "للوصول بطريقة غير قانونية إلى النظام المالي الأميركي بهدف دعم شحنات غير شرعية من إيران إلى سوريا يرسلها الحرس الثوري الإيراني".

ولم يعرف ما إذا كانت واشنطن طلبت من سلطات جبل طارق تنفيذ مذكرة مصادرة السفينة بينما تقوم إيران بتغيير علمها واسمها وإرسال طاقم جديد لتبحر مجددا.

واعترضت سلطات جبل طارق السفينة التي تحمل 2.1 مليون برميل من النفط الإيراني واحتجزتها في الرابع من يوليو للاشتباه بنقل حمولتها إلى سوريا في خرق للحظر الأوروبي المفروض على هذا البلد، وهو ما نفته إيران مرارا.

وأعلنت سلطات المنطقة الصغيرة الواقعة في الطرف الجنوبي من إسبانيا الخميس أن المحكمة العليا قررت رفع الحجز عن السفينة بعد الحصول على تعهد خطي من طهران بعدم تسليم حمولتها إلى سوريا.

من جهته أعلن المتحدث باسم الخارجية الإيرانية عباس موسوي الجمعة أن بلاده لم تعط سلطات جبل طارق "أي ضمانة بأن غريس 1 لن تتوجه إلى سوريا". وقال في تصريح نقله موقع تابع لشبكة التلفزيون الرسمي إن "وجهة الناقلة لم تكن سوريا (...) وحتى إن كانت تلك وجهتها، فإن المسألة لا تعني أحدا". وبعد قليل على هذه التصريحات، أكد المتحدث باسم حكومة جبل طارق أن "الجمهورية الإسلامية في إيران تعهدت" بعدم إرسال النفط إلى سوريا.

وقال ريتشارد لاروزا المدير العام لشركة "أسترال شيب" المشغلة للناقلة، إنه يفترض أن تبحر السفينة "خلال اليومين المقبلين"، والتحضيرات لمغادرتها لا زالت متواصلة. وأعلن لوكالة فرانس برس "يقومون بتغيير الطاقم"، مؤكداً أنه من المقرر وصول بحارة هنود وأوكرانيين للانضمام للطاقم، الأحد. وأوضح أن السفينة "بحاجة كذلك إلى التزود بالوقود".

وقال مصدر مطلع على الملف لصحيفة "جيبرالتار كرونيكل" إن التحضيرات جارية للسماح للسفينة بالإبحار لكن "من غير المرجح" أن تتمكن من المغادرة قبل الأحد.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

المخلافي يزايد على عبدربّه منصور هادي لعله ينزله عن الرفّ

مستشار هادي من معترض على أخونة الخارجية إلى مدافع عن مواقف الإصلاح ومنتقد للسعودية والإمارات

اتخذ عبدالملك المخلافي، مستشار الرئيس اليمني المؤقت عبدربّه منصور هادي، مواقف أظهرت مزايدته على هادي ورغبته الواضحة في العودة إلى موقع مهمّ داخل الحكومة الشرعية في اليمن وهو ما اعتبرته أوساط يمنية نموذجا للسياسي اليمني الانتهازي المستعد لتغيير جلدته في أي لحظة متى احتاجت مصالحه إلى ذلك.

عدن – اعتبرت مصادر يمنية أن المواقف الأخيرة التي اتخذها عبدالملك المخلافي، مستشار الرئيس اليمني المؤقت عبدربّه منصور هادي، تشكل تعبيرا صارخا عن عمق الأزمة الداخلية التي تعاني منها "الشرعية" في اليمن من جهة وغياب أي شخصية ذات وزن تقبل العمل مع هذه "الشرعية" من جهة أخرى.

وأشارت هذه المصادر إلى أن المخلافي، الذي كان وزيرا للخارجية بين أواخر 2015 ومنتصف العام 2018، كان دائم الاستهزاء بالرئيس الانتقالي، إذ لم يخف في مجالسه الخاصة أنّه يجد عبدربّه منصور شخصا ساذجا غير مؤهل لتولي شؤون الموقع الذي يشغله.

> المخلافي كان دائم الاستهزاء بالرئيس الانتقالي إذ لم يخف في مجالسه الخاصة أنّه يجد عبدربّه منصور هادي شخصا ساذجا غير مؤهل لتولي شؤون الموقع الذي يشغله

لكنّ هذه المصادر كشفت أن المخلافي الذي أقاله عبدربّه منصور من موقع وزير الخارجية بشكل مفاجئ وعيّنه مستشارا له في مايو 2018 أراد في الواقع المزايدة على الرئيس الانتقالي في إظهار عدائه لدولة الإمارات العربية المتحدة، لعلّ ذلك يسترضي عبدربّه منصور ويحمله على إعادة الاعتبار له لعلّه ينزله عن الرفّ مجددا.

ولاحظت شخصية يمنية أنّ المخلافي الذي ينتمي إلى "التنظيم الشعبي الناصري"، وهو حزب تم تهميشه في اليمن كان يستخدمه علي عبدالله صالح في إطار التجاذبات والمماحكات الداخلية وقام بتأسيس مجموعة أحزاب ناصرية موازية له، يشكل نموذجا للسياسي اليمني الانتهازي المستعد لتغيير جلدته في أي لحظة متى احتاجت مصالحه إلى ذلك.

وقالت هذه الشخصية اليمنية التي تعرف المخلافي عن كثب، كما أنها من المنطقة نفسها التي ينتمي إليها (تعز)، إن الرجل لا يهتمّ سوى بحماية مصالحه إذ انقلب فجأة على علي عبدالله صالح في أواخر العام 2010 لدى شعوره بأنّ هناك تحرّكا جدّيا ضدّه في الشارع اليمني يقوده حزب الإصلاح الذي يتحكّم به الإخوان المسلمون.

وتساءلت غير شخصية يمنية وقتذاك كيف يمكن لشخص يعتبر نفسه "ناصريا" (نسبة إلى جمال عبدالناصر) نقل ولاءه من علي عبدالله صالح إلى عدم ممانعة تولي الإخوان المسلمين السلطة وهم الذين كانوا ألدّ أعداء عبدالناصر؟

لكنّ هذه الشخصيات فسرت وقتذاك هذا التحوّل بحاجة المخلافي إلى حماية مصالحه، خصوصا أن لديه حصّة في جامعة أجنبية يمتلكها النائب اللبناني عبدالرحيم مراد الذي كان يعمل لمصلحة القذافي في لبنان. وقد فتحت هذه الجامعة فرعين لها في صنعاء وتعز.

وأضافت أن هناك علاقات قديمة للرجل مع حزب الله، نظرا إلى أن عبدالرحيم مراد محسوب على الحزب في لبنان، كما أن المخلافي كان يشارك في كل اجتماعات المؤتمر القومي العربي في بيروت وغير بيروت، وهي مجموعة يستخدمها الحزب في حملة العلاقات العامة لجذب شخصيات سنية عربية ووضعها في محوره المعادي لدول الخليج العربية. ولم يبتعد المخلافي عن المؤتمر القومي العربي إلا في مراحل متأخرة (استقال عام 2017) بعد أن صار واضحا تحول الحزب من منظومة تؤيد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين إلى واجهة من الواجهات السياسية لحزب الله.

وذهبت شخصية يمنية إلى كشف أن احتقار المخلافي لعبدربّه منصور بلغ ذروته عندما راح يبعث إليها برسائل واتساب معلقا فيها على كلام الرئيس الانتقالي في أثناء إلقاء خطابه في إحدى القمم العربية.

وأوضحت أن المخلافي لم يخف، في أثناء إلقاء الرئيس الانتقالي كلمة اليمن في القمّة العربية التي انعقدت في البحر الميت في الأردن، أنّه يجد نفسه مجبرا على الجلوس خلف رجل جاهل لا يحسن حتّى تهجئة الكلمات الواردة في خطاب كتب له ولا يدرك أهمّية مضمونه!

ويذكر أن المخلافي يقيم حاليا بين الرياض والقاهرة ولا يزال يعمل من أجل العودة إلى موقع مهمّ في إطار "الشرعية"، حتّى ولو كان ذلك عبر رئيس انتقالي لا يكنّ له أي احترام.

واستغرب متابعون للشأن اليمني كيف يمكن أن تتحول مواقف المخلافي من النقيض إلى النقيض، فبعد أن كان معترضا على أخونة الخارجية حين كان وزيرا لها، بات الآن يدافع عن مواقف تخدم حزب الإصلاح الإخواني وينتقد السعودية والإمارات.

وقال المخلافي، الخميس، إن اليمنيين فقدوا ثقتهم بالتحالف العربي، وإن الشرعية ما زالت تملك الكثير من الخيارات، وذلك تعليقا على أحداث عدن الأخيرة.

وأوضح المخلافي، في تغريدات بصفحته الرسمية على موقع تويتر، أن على التحالف العربي أن يدرك حجم ما حدث في عدن ومخاطره، حتى وإن كانت بعض أطرافه مشاركة في ذلك.

واعتبر المراقبون أن هذه التغريدات تكشف أن مستشار الرئيس الانتقالي ينظر إلى مؤسسات "الشرعية" كغنيمة يجب الحفاظ عليها كما هي طالما أنه مستفيد منها، سواء من الجاه أم المال اللذين توفرهما، ولا يهمه من يسيطر عليها، أو إلى أين تقود اليمنيين الذين سئموا نفوذ شرعية غائبة عن الواقع وغير جامعة لليمنيين، وعلى العكس فهي قد سلمت مؤسساتها الحيوية مثل الدفاع والأمن لحزب الإصلاح ليخوض معاركه تحت غطائها لفائدة أجنداته الخاصة في الداخل والخارج.

المخلافي مدافع عن شبح اسمه الرئيس

حريق محدود في منشأة غاز سعودية بعد استهدافها من قبل الحوثيين

الرياض – قالت شركة أرامكو النفطية السعودية العملاقة إنها سيطرت على حريق "محدود" شبّ إثر هجوم شنه المتمردون الحوثيون، السبت، واستهدف منشأة للغاز في حقل الشيبة في جنوب شرق المملكة. وتابعت أرامكو، في بيان، أن "فرق الاستجابة" لديها "سيطرت على حريق محدود وقع، صباح السبت، في أحد مرافق معمل الشيبة للغاز الطبيعي المسال"، الذي أعلن المتمردون الحوثيون أنهم استهدفوه بعشر طائرات مُسيرة.

وأكدت الشركة السعودية أن الحادث "لم يتسبب في وقوع أي إصابات" و"أن إمدادات زبائنها من النفط الخام لم تتأثر نتيجة لهذا الحادث".

من جهته، قال وزير الطاقة والصناعة والثروة المعدنية السعودي خالد بن عبدالعزيز الفالح في تصريح نقلته وكالة الأنباء الرسمية، إنه عند السادسة والثلث من صباح السبت (بالتوقيت المحلي) "تعرضت إحدى وحدات معمل للغاز الطبيعي في حقل الشيبة البترولي إلى اعتداء عن طريق طائرات مسيرة دون طيار مفخخة، ونجم عن ذلك حريق تمت السيطرة عليه بعد أن خلّف أضرارا محدودة، ودون أي إصابات بشرية".

وأكد الوزير أن "إنتاج المملكة وصادراتها من البترول لم يتأثرا من هذا العمل الإرهابي"، مشددا على أن "هذا العمل الإرهابي والتخريبي، ما هو إلا امتداد لتلك الأعمال التي استهدفت مؤخرا سلاسل إمداد البترول العالمية بما في ذلك أنابيب النفط في المملكة، وناقلات النفط في الخليج العربي وغيرها". واعتبر أن "هذا الاستهداف لمنشآت حيوية لا يستهدف المملكة فحسب، وإنما يستهدف أمن إمدادات الطاقة للعالم، وبالتالي يمثل تهديدا للاقتصاد العالمي".

وأعلن الحوثيون في الصباح أنهم شنوا هجوما باستخدام عشر طائرات دون طيار قالوا إنه "الأكثف" على المملكة، ضد حقل الشيبة. وتوعد متحدث عسكري باسم الحوثيين في تصريح نقلته قناة المسيرة التابعة لهم، "بهجمات أقوى وأكبر في حالة استمرار العدوان السعودي" على اليمن.

كارثة إنسانية تتربص بالهاربين من التصعيد العسكري في شمال سوريا

دمشق – قال المرصد السوري لحقوق الإنسان وناشطون محليون السبت إن أكثر من 24 مدنيا منهم 11 طفلا لقوا حتفهم في غارات جوية على مدى اليومين الماضيين في شمال غرب سوريا الذي تسيطر عليه جماعات المعارضة في تصعيد لهجوم تدعمه روسيا.

وأضاف المرصد أن هجوما جويا في قرية دير في إدلب أسفر عن سقوط سبعة قتلى معظمهم أطفال. وكانت ضربات جوية لقرية حاس في إدلب الجمعة أسفرت عن مقتل 13 مدنيا. وأوضح ناشطون محليون والمرصد السوري أن من بين القتلى امرأة حبلى. وكان الضحايا يحاولون الوصول إلى ملاذ آمن بعد فرارهم من مكان آخر.

وقال رامي عبدالرحمن مدير المرصد إن هدف الحكومة هو إجبار المدنيين على الفرار من مناطق كانت أهدأ نسبيا في إطار التصعيد العسكري الذي بدأ في أواخر أبريل.

وقال أحمد الدبيس مدير السلامة والأمن في اتحاد الرعاية الطبية ومنظمات الإغاثة، وهي منظمة خيرية تدعم المرافق الطبية في شمال غرب سوريا، إن نطاق القصف اتسع وطال مناطق سكنية لا توجد بها مناطق عسكرية. وأضاف أن الهدف هو إجبار الناس على النزوح.

وأوضح أن عدد القتلى المدنيين منذ أواخر أبريل على يد قوات الحكومة السورية والقوات الروسية تجاوز 730 قتيلا. وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية إن أكثر من 500 مدني لقوا حتفهم خلال القتال.

وقالت روسيا وسوريا إن قواتهما لا تستهدف المدنيين وإنما الجماعات المسلحة وخاصة منها جبهة النصرة التي تعرف اليوم باسم هيئة تحرير الشام.

ومحافظة إدلب في شمال غرب سوريا هي جزء من آخر منطقة تسيطر عليها المعارضة.

ومنذ أبريل، تتعرض هذه المناطق التي تسيطر عليها هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقا) وتنتشر فيها أيضا فصائل أخرى معارضة للنظام، لقصف شبه يومي من قبل النظام وحليفه الروسي.

ومنذ نهاية أبريل، أوقعت الاشتباكات 1300 مقاتل من الجهاديين والفصائل المقاتلة بالإضافة إلى أكثر من 1150 عنصرا من قوات النظام وتلك الموالية لها، بحسب المرصد.

وتستقبل محافظة إدلب عشرات الآلاف من الأشخاص الذين فرّوا من منازلهم في عدد من مناطق البلاد بسبب المعارك أو بعد استعادة النظام مناطق من فصائل المعارضة المسلحة.

ومنذ بداية التصعيد، قتل 820 مدنيا وفقا للمرصد السوري. ودفع العنف أكثر من 400 ألف شخص إلى النزوح، بحسب الأمم المتحدة التي تخشى "كارثة" إنسانية.

ومنطقة إدلب ومحيطها مشمولة باتفاق روسي تركي منذ سبتمبر 2018، نصّ على إقامة منطقة منزوعة السلاح تفصل بين مناطق سيطرة قوات النظام والفصائل. كما يقضي بسحب الفصائل المعارضة أسلحتها الثقيلة والمتوسطة وانسحاب المجموعات الجهادية من المنطقة المعنية. لكن لم يتم تنفيذه.

وتشهد سوريا نزاعا داميا تسبّب منذ اندلاعه في 2011 بمقتل أكثر من 370 ألف شخص وأحدث دمارا هائلا في البنى التحتية وأدى إلى نزوح وتشريد أكثر من نصف السكان داخل البلاد وخارجها.

ويواجه النازحون من المناطق المشمولة بـ"خفض التصعيد"، شمالي البلاد باتجاه الحدود السورية التركية ظروفا مأساوية بعد هروبهم من منازلهم جراء هجمات النظام السوري وروسيا. وفي 5 أغسطس الجاري، أعلن النظام السوري، استئناف عملياته العسكرية في المنطقة رغم إعلانه الالتزام بوقف إطلاق النار خلال مباحثات أستانة التي جرت مطلع الشهر الجاري.

> النازحون من مناطق خفض التصعيد شمال البلاد يواجهون ظروفا مأساوية بعد هروبهم من منازلهم جراء التصعيد الأخير

ونزح نحو 124 ألف مدني خلال فترة عيد الأضحى الماضي، من مناطق خفض التصعيد بعد زيادة حدة الهجمات من قبل النظام وداعميه، بحسب ما أفاد به مدير جمعية "منسقو الاستجابة المدنية" محمد حلاج، الجمعة.

وأوضح عيسى شاكر أنه اضطر للنزوح من بلدة اللطامنة في حماة إلى جنوبي إدلب قبل 5 سنوات، مشيرا إلى أنه ينزح مجددا إلى الحدود التركية.

وقال "لماذا لا يرى أحد ما يحل بنا؟ لا نعلم أين سنذهب. سنبحث عن تجمعات بعد سراقب كي ننصب خيمتنا".

أما محمد أحمد النازح من الريف الجنوبي لإدلب، فقال "هربنا من الهجمات الجوية والبرية الوحشية. امتلأت الطرق المتجهة من ريفي إدلب وحماة والمؤدية إلى الحدود التركية، بالسيارات التي تحمل النازحين".

البحث متواصل عن ملاذ آمن

بدء قبول الترشحات لانتخابات البرلمان الإماراتي

أبوظبي – تبدأ في الإمارات، الأحد، عملية تسجيل الراغبين في الترشح لعضوية المجلس الوطني الاتحادي (البرلمان).

وتستمر عملية تسجيل طلبات المرشحين على مدى خمسة أيام. وتشترط اللجنة المنظمة للانتخابات ألا يقل عمر الراغب في الترشح عن 25 عاما، وأن يكون حسن السمعة، ولم يسبق الحكم عليه في جريمة مخلة بالشرف، وأن يكون لديه إلمام كاف بالقراءة والكتابة.

ومن المقرر أن يتم الإعلان عن القائمة الأولية للمرشحين في 25 أغسطس الجاري، وإعلان القائمة النهائية يوم 3 سبتمبر المقبل.

وتقام الانتخابات في 5 أكتوبر المقبل، ويتم في اليوم نفسه إعلان نتائج الفرز، بينما سيتم اعتماد القائمة النهائية للفائزين، 13 أكتوبر المقبل.

وكان رئيس الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان قد قرر رفع نسبة تمثيل المرأة في المجلس الوطني الاتحادي بالدورة الجديدة إلى 50 بالمئة بحيث يتشكل المجلس من 20 مقعدا للرجال و20 للنساء.

واعتبر طارق هلال لوتاه عضو اللجنة الوطنية للانتخابات، في تصريح سابق، أن "قرار رفع نسبة تمثيل المرأة في المجلس الوطني الاتحادي يعكس إيمان القيادة الرشيدة بدور المرأة المهم في دفع مسيرة التنمية وحرصها على توظيف طاقات جميع فئات المجتمع لصناعة مستقبل أفضل تكون فيه دولة الإمارات الأولى على مستوى العالم في مختلف المجالات".

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

معاقبة «حزب الله» ومعاقبة لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في بلد اسمه لبنان، لم يعد فيه مكان للمنطق، ليس معروفا هل في الإمكان إنقاذ أيّ مؤسسة من مؤسسات الدولة والحؤول دون انهيار اقتصادي. لعلّ أخطر ما في الأمر أنّ هناك غيابا لأي وعي من أيّ نوع لدى كثيرين موجودين في السلطة لا يدركون معنى أن الإدارة الأميركية قررت الذهاب إلى النهاية في عقوباتها على "حزب الله" الذي لديه ثلاثة وزراء في الحكومة.

هل ستذهب الإدارة الأميركية إلى معاقبة لبنان أم تكتفي بمعاقبة "حزب الله"؟ هذا السؤال يطرح نفسه، علما أنّ هناك سؤالا آخر أهم منه بكثير هو الآتي: هل يمكن معاقبة "حزب الله" من دون معاقبة لبنان؟

من هذا المنطلق، كانت زيارة الرئيس سعد الحريري لواشنطن في غاية الأهمّية على الرغم من أنّها، في الأصل، زيارة خاصة. هناك محاولة يقوم بها رئيس مجلس الوزراء اللبناني، وهو من المسؤولين اللبنانيين القلائل القادرين على إجراء محادثات جدّية مع كبار المسؤولين الأميركيين، للحدّ من الأضرار التي يمكن أن تلحق بلبنان. لا يمكن بالطبع الاستخفاف بالكلام الصادر عن وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو عن أنّه أثار مع الحريري "القلق الشديد في ما يخصّ 'حزب الله'" مؤكّدا أن "العقوبات الأميركية على الحزب وأعضائه ستستمر". يشير مثل هذا الكلام إلى مدى الجدّية الأميركية في التعاطي مع موضوع "حزب الله" بغض النظر عمّا يمكن أن يكون لهذا التعاطي من انعكاسات على لبنان. هناك للمرّة الأولى في واشنطن مدرسة تتصرّف بطريقة مختلفة. لا يهمّ هذه المدرسة ما الذي يمكن أن يحلّ بلبنان ما دام الهدف هو "حزب الله" وما دام هناك من يريد تغطية الحزب، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، على أعلى المستويات. هناك في واشنطن من لا يزال يعتقد أن في الإمكان التفريق بين لبنان و"حزب الله"، فيما هناك من يرفض ذلك ويرى أن لبنان والحزب جسم واحد.

المؤسف أنّ هناك فريقا مسيحيا في لبنان يساعد المنتمين إلى المدرسة الأميركية التي تربط بين لبنان و"حزب الله". لا يعي هذا الفريق مخاطر أن يكون "حزب الله"، أي إيران، في موقع يسمح له بفرض رئيس الجمهورية في لبنان. أكثر ما لا يعيه هذا الفريق هو خطورة الدخول في المحور الإيراني وجعل لبنان امتدادا لهذا المحور الذي يبدأ في طهران ويمر ببغداد ودمشق وصولا إلى بيروت.

في الذكرى السنوية الخمسين لتوقيع اتفاق القاهرة في تشرين الثاني – نوفمبر من العام 1969، يبدو لبنان وكأنّه بلد يلفظ أنفاسه الأخيرة على الرغم من إثباته أنّه يمتلك صيغة فريدة سمحت له بالصمود طوال كلّ هذه السنوات. تبيّن أن لبنان ليس بلدا "هشّا" كما يقول بشّار الأسد، بل هو أقوى بكثير مما يعتقد. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان بقي على رجليه طوال كلّ هذه السنوات في ظلّ السلاح الفلسطيني والاحتلال السوري وكلّ هذه الميليشيات الطائفية والمذهبية التي كان هدفها الاستيلاء على جزء من الأرض والسلطة.

في غياب القدرة على عقلنة «حزب الله»، هل من قدرة على عقلنة بعض مسيحيي لبنان من الذين لا تتجاوز ثقافتهم السياسية بضع كلمات باللغة الفرنسية لا أكثر ولا أقلّ

ما يثير كلّ أنواع المخاوف هو غياب الوعي لدى مسيحيي السلطة لخطورة ما يمثّله "حزب الله" كأداة إيرانية تستخدم في كلّ حروب المنطقة، بما في ذلك اليمن. تجاوزت هذه الفئة المسيحية كلّ الخطوط الحمر التي كان مفترضا بها أن تحترمها، بما في ذلك معنى أن تتحكّم بالبلد ميليشيا مذهبية ذات عناصر لبنانية تتلقّى أوامرها من إيران. هذا ليس سرّا ما دام الأمين العام لـ"حزب الله" حسن نصرالله يكرّر المرّة تلو الأخرى أنّه "جندي" لدى الوليّ الفقيه. كيف يمكن لطرف لبناني اعتبار نفسه "جنديا" لدى الوليّ الفقيه، أي لدى "المرشد" علي خامنئي من جهة وأن يكون لديه أي همّ لبناني باستثناء استخدام البلد "ساحة" في خدمة "الجمهورية الإسلامية" من جهة أخرى؟

لا يزال لبنان يعيش في 2019 تداعيات اتفاق القاهرة، على الرغم من أنّه ألغي في عهد الرئيس أمين الجميّل ولكن ليحلّ مكانه اتفاق آخر لا يسمح لـ"حزب الله" بفرض وصايته على الدولة اللبنانية فحسب، بل بالتحكّم أيضا بكل مفاصل هذه الدولة بعدما وجد غطاء مسيحيا له. ليس صدفة أن قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني تحدّث صراحة عن امتلاك إيران الأكثرية في مجلس النوّاب اللبناني بعد الانتخابات الأخيرة التي أجريت على أساس قانون من صناعة "حزب الله".

لا يمكن للمسيحيين في لبنان، الذين لم يترددوا في الوقوف في وجه فرقة موسيقية اسمها "مشروع ليلى" تقدّم عرضا حضاريا، أن يسقطوا إلى أدنى من الدرك الذي بلغوه. ثمّة من يقول إنّ قسما من المسيحيين اللبنانيين على استعداد دائم للتفوّق على نفسه ما دام ليس لديه من يسأل كيف يمكن استعادة حقوق المسيحيين عبر سلاح "حزب الله"؟ كيف يمكن أن يخدم المسيحيين دخولهم في لعبة إضعاف الدروز؟ كيف يمكن لهؤلاء تجاهل أن الأكثرية السنّية أخرجت السوري من لبنان في نيسان – أبريل من العام 2005، بعدما نادت بـ"لبنان أولا" لكنها لم تستطع، لأسباب معروفة من بينها انتصار "حزب الله" على لبنان في حرب صيف العام 2006، الحؤول دون سقوط البلد؟

ما الذي ستقرّره الإدارة الأميركية في ظلّ المعطيات اللبنانية المتوافرة؟ أي مدرسة ستنتصر في واشنطن؟ الأكيد أن سعد الحريري عمل كلّ ما يستطيع عمله من أجل الحدّ من الأضرار التي يمكن أن تلحق بلبنان، لكنّ تأثير جهوده سيظلّ محدودا في حال لم يحصل وعي مسيحي واستيعاب لمعنى إيجاد غطاء لـ"حزب الله" بحجة الرغبة في الانتقام من المسيحيين الآخرين ومن السنّة والدروز ومن شخص وليد جنبلاط بالذات.

لا بدّ أخيرا من العودة إلى السؤال الذي سبق طرحه. هل يمكن لأميركا معاقبة "حزب الله" من دون معاقبة لبنان؟ الأمر ممكن في حال وجد من يُفهم "حزب الله" أن لا غطاء مسيحيا لديه وأن مصلحة لبنان تتجاوز الحسابات التافهة من نوع الوصول إلى رئاسة الجمهورية... أو الاعتقاد أن الدروز صاروا في موقف ضعيف وأن في الإمكان الانتقام منهم بسهولة عبر تقسيم الطائفة التي لا زعيم آخر لها في هذه الأيام غير وليد جنبلاط، أو الاعتقاد أنّه آن أوان انتزاع الصلاحيات التي أمّنها اتفاق الطائف لرئيس مجلس الوزراء السنّي. من يريد تصفية حساباته مع السنّة، إنّما يريد تصفية حسابات مع دول الخليج العربي لمصلحة إيران ولا شيء آخر غير ذلك.

في غياب القدرة على عقلنة "حزب الله"، هل من قدرة على عقلنة بعض مسيحيي لبنان من الذين لا تتجاوز ثقافتهم السياسية بضع كلمات باللغة الفرنسية لا أكثر ولا أقلّ...

النظر من الزاوية الخطأ لأزمة لبنان مع حزب الله

مسار تفاوض جديد أميركي- تركي حول إنشاء «ممر آمن» شرق الفرات

رانيا مصطفى

تقرر إنشاء مركز عمليات مشترك أميركي– تركي في ولاية شانلي أورفة التركية على الحدود مع سوريا، يبدأ عمله مطلع الشهر المقبل، بعد زيارة وفد عسكري أميركي إلى المنطقة مؤلف من 6 ضباط، في خطوة أميركية جديدة لفتح ما يشبه مسار تفاوض جديد على تفاصيل المنطقة الآمنة شرق الفرات وشمالي سوريا، لتهدئة المخاوف التركية من خطر نشاط وحدات حماية الشعب الكردية التي تعتبرها أنقرة تابعة لحزب العمال الكردستاني المصنف لديها إرهابياً.

وسيتم إنشاء 10 نقاط مراقبة تركية في مناطق ذات غالبية عربية، على أن يتم الاتفاق على زيادتها مستقبلا.

لطالما اختلف الطرفان التركي والأميركي حول تفاصيل هذه المنطقة وعمقها، لكن هناك اتفاقا اليوم على تسميتها بـ"الممر الآمن" الخالي من السلاح الثقيل، وصالح لعودة اللاجئين من أهالي المنطقة وغيرهم، بعد أن كانت تركيا تطلق عليها اسم "المنطقة الأمنية"، أي أن تشرف عليها بنفسها على غرار منطقتي غصن الزيتون ودرع الفرات، لضمان عدم قيام كيان كردي على حدودها تقوده وحدات حماية الشعب.

لا اتفاق حول هذا الممر الآمن حتى الآن؛ تتمسك أنقرة بمطلب أن تكون المنطقة على كامل الحدود السورية وبعمق 20 ميلا (32 كيلومترا)، وأن تكون خالية من الوحدات الكردية، وأن تكون طرفا أساسيا في الإشراف عليها. تنازلت واشنطن وقبلت أن تكون المنطقة على كامل الحدود، وطرحت على أنقرة أن تكون بعرض 18 كيلومترا خالية من السلاح الثقيل، وعلى ثلاثة مسارات؛ المنطقة الأولى بعرض 5 كيلومترات وخالية من الوحدات وتسير فيها دوريات مشتركة تركية– أميركية، ويحكمها مجلس محلي، ويمنع على القوات التركية دخول المناطق ذات الغالبية الكردية، والثانية بعرض 9 كيلومترات، تحت السيطرة الأميركية وخالية من السلاح الثقيل، ثم 4 كيلومترات أخرى منزوعة السلاح، فيما ستكون نقاط المراقبة التركية مراكز مجهزة لعودة اللاجئين.

من المرجح أنّ هناك ميولا أميركية جدية لترتيب وضع منطقة شرق الفرات، وتحقيق الاستقرار، وربما فرضها على الحل السياسي كمنطقة ذات استقلال سياسي واقتصادي، دون انفصالها، وأن تبدأ فيها عملية إعادة الإعمار بشكل مستقل عن كامل سوريا، ما يقطع على الروس فرصة الاستفادة من ثرواتها (90 بالمئة من النفط السوري، ونصف الغاز).

وتظهر تصريحات القيادات الكردية في مجلس سوريا الديمقراطي بعض الارتياح مع الكثير من الحذر، خاصة أن التوصل إلى اتفاق سيجنب المنطقة مواجهة مفتوحة على احتمالات خطيرة، ودون أن تتخلى الولايات المتحدة عنهم، حيث ما زالت ترسل لهم الدعم لمنع عودة تنظيم داعش. ويبدو أن رسالة عبدالله أوجلان في شهر مايو الماضي من سجنه إلى قوات سوريا الديمقراطية في شهر مايو الماضي، افتتحت مفاوضات غير مباشرة مع الأتراك بشأن ترتيبات شرق الفرات.

الاتفاق على ترتيب الوضع شرقي الفرات إذا ما تم، سيقطع على النظام السوري ومن خلفه الروس فرصة العودة إلى شرق الفرات، وهو ما استفز الروس الذين صعّدوا من الحملة العسكرية والقصف الجوي، واستعانوا مجددا بالميليشيات الإيرانية

في الأثناء ما زالت التصريحات التركية تميل إلى التهديد والتصعيد بعملية أحادية شرق الفرات، عبر الفصائل السورية المحتشدة على الحدود يدعمها الجيش التركي، للضغط على واشنطن بعدم المماطلة في ما يتعلق بسلاح الوحدات الكردية، كما تفعل في منبج.

الاتفاق على ترتيب الوضع شرقي الفرات إذا ما تم، سيقطع على النظام السوري ومن خلفه الروس فرصة العودة إلى شرق الفرات، وهو ما استفز الروس الذين صعّدوا من الحملة العسكرية والقصف الجوي، واستعانوا مجددا بالميليشيات الإيرانية، مع تراجع الدعم التركي للفصائل، لإحراز تقدم في ما يتعلق بالسيطرة على الطرق الرئيسية أم4 وأم5.

وتركيا الآن تضع قدما في مسار أستانة مع الروس والإيرانيين، والقدم الأخرى في مسار العمليات المشتركة مع الأميركيين في شانلي أورفة التركية؛ فالتقارب مع الأميركيين أتى بعد شراء تركيا لمنظومة أس 400 الروسية، ما استفز الولايات المتحدة التي يبدو أنها حسمت أمرها بعدم الانسحاب من سوريا، مع رفضٍ وتلكؤ أوروبي في ملء الفراغ، وهي تزيد عدد جنودها في قاعدة التنف على المثلث الحدودي السوري العراقي الأردني.

ورغم التخبط الذي شهدته السياسة الأميركية مؤخراً، إلا أن الاستراتيجية الأميركية في سوريا تميل إلى فرض مناطق حكم ذاتي، شرق الفرات وفي إدلب ومناطق النظام وروسيا، مع تمسك بإخراج الميليشيات الإيرانية من سوريا، أو تحجيمها ما أمكن.

لكن تنفيذ اتفاق المنطقة الآمنة ليس يسيراً على واشنطن، إذ عليها مراعاة الديموغرافيا السورية، وإقناع الوحدات بالانسحاب من المناطق المتفق عليها، وتهدئة مخاوف تركيا التي لا تثق بالوعود الأميركية بعد تجربة اتفاق "خارطة الطريق" في منبج المتفق عليها في يوليو 2018.

ويعارض الجنرال الأميركي جوزيف فوتيل، المتقاعد في مارس الماضي من منصب القيادة الأميركية الوسطى، اتفاق المنطقة الآمنة، ويرى أنه ستكون له نتائج عكسية على صعيد الاستقرار، وسيتسبب في نزوح غالبية الأكراد ومفاقمة الوضع الإنساني.

وإذا لم تتمكن الولايات المتحدة من الوصول إلى اتفاق سريع مع الأتراك بشأن المنطقة الآمنة، فهي على الأقل ستماطل وتمتص الغضب التركي وتحبط حالة الاستنفار والحشد مقابل تل أبيض السورية؛ أما إذا نجحت، فهذا يعني أنها وضعت تسوية نهائية لشرقي الفرات، وقد تتدفق إليها أموال إعادة الإعمار من أطراف عربية، ما سيضغط على روسيا للقبول بحل سياسي لكامل سوريا.

على أي حال، إكمال المفاوضات بشأن إنشاء هذه المنطقة وترتيب وضع شرقي الفرات لا يزال محفوفاً بالمخاطر، ومهدداً بالفشل. لكن واشنطن تسابق موسكو في تنفيذ سياساتها في سوريا، فالأولى تريد ترتيب وضع شرق الفرات، وفرض حكم ذاتي فيه، والثانية تريد حسم ملف منطقة خفض التصعيد الأخيرة في إدلب، وكل يريد رفع رصيده حين يتم عقد اجتماع أمني جديد في القدس مع إسرائيل، التي تريدها روسيا عرابة الحل الروسي في سوريا، أي عودة الاعتراف بنظام الأسد، والبدء بإعادة الإعمار وعودة اللاجئين.

لماذا تطول الحرب في اليمن

علي الصراف
كاتب عراقي

إذا كانت النهاية غير واضحة في الحرب المندلعة في اليمن منذ العام 2015، أو أنها تطول أكثر من اللازم، فلأن هناك سببا.

لا تنقص التحالف العربي الذي تقوده السعودية القدرات العسكرية، كما لا ينقص مناهضي الإنقلاب الحوثي بين اليمنيين الدعم اللوجستي المطلوب لتحرير مناطقهم. ولكن حيثما توفرت الإرادة بين الفاعلين على الأرض نجح التحالف، وحيثما لم تتوفر، ظلت الحرب سجالا.

وها نحن فيها، منذ أربع سنوات. وقد تمتد إلى سنوات أخرى. فانظر إلى الغلبة السياسية على الأرض وستعرف لماذا تحررت مناطق واستعصت غيرها؟

جنوب اليمن، وبعض مناطق الشمال، هو النصر الوحيد الذي أمكن تحقيقه في هذه الحرب. ومن دونه، فإن الحديث عن وجود "شرعية" ما كان ليكون إلا مجرد وهم.

ثمة دافع إيراني وإخواني مشترك هو الذي يقف وراء الرغبة بإطالة أمد الحرب، وتحويلها إلى حرب استنزاف. ومن هذا الدافع، يتضح خيط الفجر. ومن لا يريد أن يراه، فكأنه لا يريد أن يرى شيئا. فعصابات الحوثي التي ظلت تتلقى الدعم العسكري، بوسائل التهريب الممتدة على طول سواحل اليمن، إنما تناظرها ميليشيات حزب الإصلاح التي تتبنى المنظور نفسه.

ومن يفترض أن هذه الميليشيات لا تتلقى، بدورها، الدعم من إيران لا يفعل سوى أن يوهم نفسه.

الحوثيون والإخوان وجهان لعملة واحدة. ونادرا ما تجلت بينهما عداوة. وعلى امتداد عدة عهود في تاريخ اليمن المعاصر، فإن نوعا من التفاهم الضمني ظل قائما بينهما على تقاسم النفوذ والمصالح، ليس على أسس مناطقية، تفرضها ديموغرافيا التوزيع القبائلي، وإنما على أسس سياسية تتحكم بمن يتحكم في صنعاء. وأولئك هي الأفاعي التي ظل علي عبدالله صالح يرقص على رؤوسها حتى لدغته.

> **الحوثيون والإخوان وجهان لعملة واحدة. ونادرا ما تجلت بينهما عداوة. وعلى امتداد عدة عهود في تاريخ اليمن المعاصر، فإن نوعا من التفاهم الضمني ظل قائما بينهما على تقاسم النفوذ والمصالح**

لم يكن انقلاب الحوثي على الشرعية في العام 2015 مفاجأة سارة للإصلاحيين. ولكنه لم يكن مفاجأة سيئة أيضا. فقد ظل بالإمكان النظر إليه على أنه شيء يمكن التعايش معه. وكل غاية المساعي للحوار، إنما كانت تقصد العودة إلى أطر التفاهمات التقليدية المسبقة. وسواء انتهى الأمر بزيادة أو نقصان، فإن الأرضية المشتركة حالت دون أن تتحول الخصومة السياسية إلى نزاع فعلي.

كلا الطرفين ظل ينظر إلى السعودية على أنها عدو، ولكن ليس لأنها تريد أن تعيد فرض الشرعية التي انقلب عليها الحوثيون، بل لأنها دخلت الحرب في اليمن، بينما كانت تخوض حربين أخريين: الأولى ضد المشروع الإخواني الذي قادته قطر، والثانية ضد التهديدات الإيرانية التي امتدت لتشمل اليمن بعد أن التهمت العراق وسوريا ولبنان.

عندما انسحبت قطر من المشاركة في عمليات التحالف العربي، اتضح لعصابات الإخوان التي كانت تزودها بالسلاح والكراهية ضد السعودية، في أي خندق يجب أن تكون.

لم يصبح خندقهم مع الحوثيين واحدا، ولكنه لم يصبح متقابلا أيضا.

الكثير من العمليات العسكرية الكبرى لتحرير مناطق مفصلية في الشمال ظلت تتعثر، ببساطة لأن ميليشيات حزب الإصلاح كانت تعمل على تخريبها، أو الحؤول دون أن تحقق النتائج المرجوة منها.

لا شك أن تلك العمليات حققت إنجازات كبرى، وانطوت على إنجازات عسكرية بطولية، كما ترافقت مع تضحيات مادية ضخمة في توفير الإمدادات والمساعدات الإنسانية. إلا أن ذلك كله كان يبدو وكأنه يغرق في بئر بلا قرار. فما لم تنته تلك التضحيات بتقدم مباشر إلى صنعاء، يعيد "الشرعية" إليها، فقد ظلت تدخل في نطاق خسائر حرب الاستنزاف. وهذا هو بالضبط ما تريده طهران والدوحة. وهو نفسه ما يريده الحوثيون وحزب الإخوان في اليمن.

لقد تحرر الجنوب أولا، إنما لسبب صريح، هو أن الجنوبيين حاربوا الحوثي، وحاربوا حزب الإصلاح، بوصفهما شيئا واحدا. الجنوبيون، بعبارة أخرى، حاربوا كل الذين أرادوا لهذه الحرب أن تتحول إلى حرب استنزاف للسعودية. وعندما عاد "الإخونجية" ليتسللوا إلى الجنوب، تحت غطاء "الشرعية"، نشأ الشرخ الذي دفع بهم إلى القول: لقد هزمناهم، فلماذا يعودون؟

هذه الحرب، إذا اختير لها أن تستمر، فإنها لن تبلغ النهاية، ما لم يتم تطهير صفوف "الشرعية" من أولئك الذين ظلوا يمارسون فيها دور "حصان طروادة".

هل يعني ذلك استعداء بعض القبائل في الشمال؟ ليس بالضرورة. إن التوافق على مشروع مدني جديد يمكنه أن يجتذب داعمين للتحالف العربي أكثر بكثير ممن قد يخسرهم. والأفاعي التي لا تزال ترقص في باقي مناطق اليمن تحتاج إما أن تُقطع رؤوسها، وإما أن تُدفع إلى عزلة دائمة في جحورها، لا الرقص على رؤوسها.

الجنوبيون حاربوا الحوثي وحزب الإصلاح بوصفهما شيئا واحدا

ترامب يوظف إسرائيل لتغذية صراعه الحزبي مع الديمقراطيين

زيك ميلر وماثيو لي

واشنطن - قد يؤثر تشجيع الرئيس الأميركي دونالد ترامب ودعمه لقرار إسرائيل بحظر زيارة امرأتين عضوين من الديمقراطيين بالكونغرس إيجابيا على قاعدته السياسية، لكنه قد يعرّض أسس العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى الخطر على المدى الطويل.

قررت إسرائيل منع عضوين من البرلمان الأميركي، وهما رشيدة طليب من ميشيغان وإلهان عمر من مينيسوتا، من زيارة البلاد. وأشعلت هذه الخطوة التي اتخذتها البلاد، الخميس، نارا حزبية على الدولة اليهودية، وأجج ترامب حدة هذه النيران عند تعبيره عن موقفه الداعم لهذا القرار.

> **استراتيجية ترامب وضعت العداء العنصري في طليعة الحملة التي نظمها في محاولة يقول مساعدوه إنها مصممة لتوسيع قاعدته من الناخبين المحافظين الذين يخشون تأثير التغييرات الثقافية**

رغم ذلك، قال وزير الداخلية الإسرائيلي أريه ديري، الجمعة، إنه تلقى طلبا من رشيدة طليب ووافق عليه ليسمح لها بدخول الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل لأسباب إنسانية تتمثل في حقها في زيارة جدتها البالغة من العمر 90 عاما. وقالت طليب في رسالتها إنها ستحترم أي قيود ولن "تروج للمقاطعة" أثناء زيارتها العائلية، وفقا لمكتب ديري. لكن طليب أعلنت في وقت لاحق من نفس اليوم أنها لن تسافر، قائلة إنها ستحطّم الظروف القمعية التي تهدف إلى إذلالها من خلال استغلال حبها لجدتها.

احتفل ترامب بقرار إسرائيل، الخميس، على موقع التواصل الاجتماعي تويتر، وعبر عن القضية من زاوية سياسية، حيث كتب "تكره النائبان إسرائيل والشعب اليهودي، وهما وجه الحزب الديمقراطي!".

قبل الإعلان عن هذا القرار بفترة قصيرة، لمّح ترامب إلى ضرورة أن يتخذ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو هذا القرار، حيث نشر تغريدة قال فيها "إذا سمحت إسرائيل بزيارة إلهان عمر ورشيدة طليب، فسيكون هذا مظهر ضعف كبيرا من جانبها".

كان دعم الحزبين من الكونغرس حجر الأساس الذي بنيت عليه العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ تأسيس الدولة اليهودية، وقال منتقدو قرار الخميس إنهم قلقون من أن ترامب ونتنياهو يستغلان الوضع لتحقيق مكاسب سياسية قصيرة الأجل.

سيواجه نتنياهو الرأي العام في الانتخابات المقررة الشهر المقبل، وسيواجه ترامب الناخبين سنة 2020.

انضمت عمر وطليب إلى الكونغرس هذا العام، وهما مسلمتان انتقدتا معاملة إسرائيل للفلسطينيين صراحة. وكانتا تخططان لزيارة القدس والضفة الغربية في جولة نظمتها منظمة فلسطينية تهدف إلى تسليط الضوء على محنة الفلسطينيين.

وأشارت إسرائيل، الخميس، إلى دعمها لما يسمى بحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات لدعم الفلسطينيين. وتعتبر إسرائيل، والعديد من السياسيين الأميركيين المؤيدين لها، أن المقاطعة معادية للسامية وتسعى إلى تدمير الدولة اليهودية، وهو ما ينفيه داعموها.

من جهة أخرى، ندد البعض من مؤيدي إسرائيل بالخطوة التي اتخذتها، الخميس، قائلين إنها ستعمق الانقسامات القائمة في الولايات المتحدة بشأن دعم الدولة اليهودية.

وقال زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ، اليهودي تشاك شومر في نيويورك -وهو واحد من أكبر المدافعين عن إسرائيل- إن هذه الخطوة "ستضر بالعلاقة الأميركية الإسرائيلية ونسبة دعم إسرائيل داخل الولايات المتحدة".

وأضاف أن رفض دخول أعضاء من الكونغرس للبلاد يعدّ علامة على الضعف وليس القوة.

لم تبق لجنة الشؤون العامة الأميركية-الإسرائيلية، التي سعت إلى البقاء بعيدا عن النزاع الحزبي بشأن إسرائيل، بمنأى عن الجدل المثار حول القرار المتخذ، الخميس.

وقالت اللجنة، في بيان نشرته على موقع تويتر، "نختلف مع تأييدهما لحركة المقاطعة المعادية لإسرائيل وللسلام، إلى جانب دعوات طليب بحل الدولة الواحدة".

وتابع بيان اللجنة مؤكدا على أنه "نعتقد أيضا أن كل عضو في الكونغرس يجب أن يكون قادرا على زيارة وتجربة حليفنا الديمقراطي إسرائيل بشكل مباشر".

على الرغم من سجلّ الاحتكاكات الحزبية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، سعى ترامب إلى استغلال إسرائيل بطريقة لم يعتمدها أسلافه. وزرع البذور التي خلقت هذه التطورات خلال النقاش المثير للجدل والمفاوضات حول صفقة الرئيس باراك أوباما النووية الإيرانية المبرمة سنة 2015، والتي عارضها نتنياهو بشدة.

تحدث نتنياهو باستفاضة عن الصفقة في كل فرصة أتيحت له، بما في ذلك في مناسبات عديدة في الولايات المتحدة أثناء وجوده في البيت الأبيض قبل جلسة مشتركة للكونغرس وفي الأمم المتحدة.

عارض المشرعون الجمهوريون بأغلبية ساحقة الصفقة، متفقين مع حجة نتنياهو بأنها فتحت، بدلا من أن تغلق، طريق إيران نحو امتلاك الأسلحة النووية لأن الكثير من قيودها المرهقة انتهت مع مرور الوقت. انتهز المرشح للانتخابات الرئاسية آنذاك ترامب هذه القضية، ونظّم حملة انتخابية أسسها على برنامج يدعم إسرائيل، أين كان الانسحاب من الصفقة النووية هدفه الرئيسي.

كرئيس للولايات المتحدة، قرر ترامب عدم الاستماع إلى نصيحة كبار مساعديه السابقين واعتراضات الديمقراطيين واعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل السفارة إليها من تل أبيب، واعترف بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان وخفض المساعدات المرسلة إلى الفلسطينيين.

حاول ترامب إسكات منتقديه ومعارضيه لقراراته من خلال اتهامهم بمعاداة السامية وعدم تأييدهم لإسرائيل.

وفي الأشهر الأخيرة، حاول ترامب دفع الديمقراطيتين إلى مقدمة النقاش السياسي في البلاد، معتقدا بأنهما ستصدمان الناخبين الديمقراطيين ما قد يجعلهم يغيرون اصطفافهم لصالح هذا الحزب، بحسب تصريحات البعض من حلفائه ومساعديه.

وتمثل هذه الخطوة جزءا من استراتيجية ترامب التي وضعت العداء العنصري في طليعة الحملة التي نظمها في محاولة يقول مساعدوه إنها مصممة لتوسيع قاعدته من الناخبين المحافظين الذين يخشون تأثير التغييرات الثقافية في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

ويقول المساعدون، الذين تحدثوا لمناقشة استراتيجية الحملة شريطة عدم الكشف عن هويتهم، إن ترامب يقول إن دعمه القوي لإسرائيل سوف يجذب المزيد من المؤيدين المسيحيين اليهود والإنجيليين إلى صفوفه.

إن تحريض ترامب الأخير -الذي دفع نتنياهو إلى حظر دخول عمر وطليب إلى إسرائيل- قد يؤثر إيجابيا على قاعدته، بما في ذلك المجتمع الإنجيلي الذي سيحتاج إليه للفوز بولاية رئاسية ثانية في الانتخابات القادمة. لكنه سيعقّد الأمور في البعض من أجزاء الإدارة، وخاصة في وزارة الخارجية.

فعلى الرغم من دعم السفير الأميركي المعتمد لدى إسرائيل، ديفيد فريدمان، لقرار حظر الدخول إلى إسرائيل على الأميركيتين، تبقى مسؤولية سفارته الأساسية متمثلة في ضمان أمن وسلامة الأميركيين في الخارج.

وبالنسبة لإسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة، فإن هذا القرار يضع السلطات الإسرائيلية أمام واجب معاملة جميع الأميركيين، بمن فيهم من أصول فلسطينية أو من أصحاب الآراء المؤيدة للفلسطينيين أو للقضية الفلسطينية، لمعاملة عادلة وعلى قدم المساواة من قبل السلطات الإسرائيلية دون أي تمييز بحسب ما تضبطه قوانين البلاد.

وتؤكد وزارة الخارجية الأميركية في أحدث نصائح السفر إلى إسرائيل الموجهة للمواطنين الأميركيين، "تسعى الحكومة الأميركية إلى ضمان المساواة في المعاملة وحرية السفر لجميع مواطني الولايات المتحدة بغض النظر عن أصولهم القومية أو عرقهم".

وتشير التقارير إلى أن بعض الأميركيين العرب، بمن فيهم المنحدرون من أصول فلسطينية، "واجهوا صعوبات كبيرة ومعاملة غير متكافئة وعدائية على الحدود ونقاط التفتيش الإسرائيلية".

وتحث الإدارة الأميركية المواطنين الذين واجهوا مثل هذه المعاملة في إسرائيل على الإبلاغ عنها على الفور لدى وحدة خدمات المواطن الأميركي في سفارة واشنطن في القدس.

رشيدة طليب عازمة على تحطيم الظروف القمعية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

السودان يعيد ترتيب علاقاته الخارجية بعيدا عن الإسلاميين

التخلي عن الورقة الإسلامية دليل ميلاد تحول حقيقي بالبلد

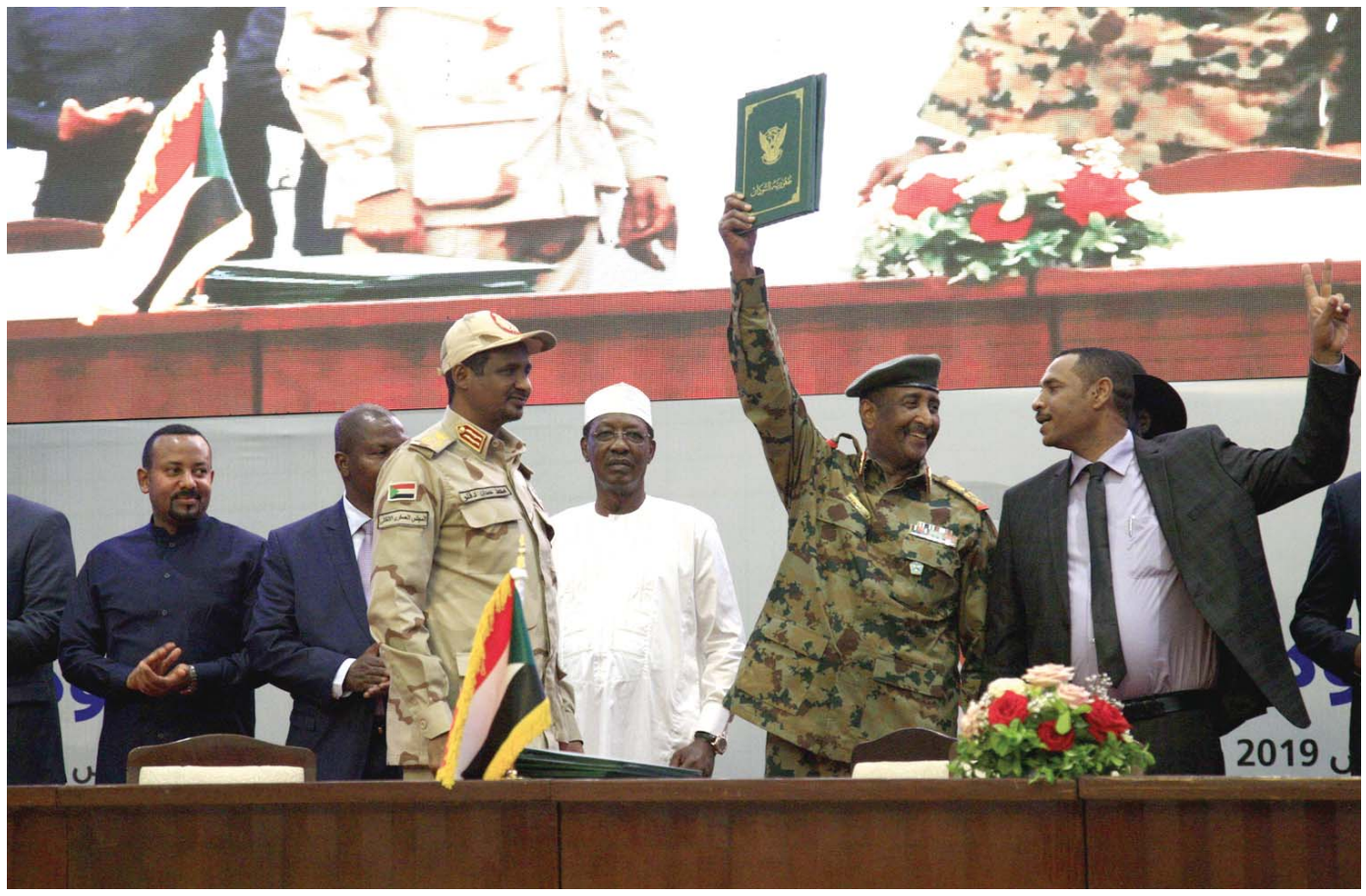

سودان جديد

وقّع ممثلان عن المجلس العسكري وحركة الاحتجاج في السودان السبت في الخرطوم "الوثيقة الدستورية"، هذا الاتفاق الذي توصل إليه الطرفان من شأنه أن يمهد لبدء مرحلة انتقالية تؤدي إلى حكم مدني في البلاد. وبذلك يدشن السودان حقبة جديدة، تقطع مع نظام الرئيس المعزول عمر حسن البشير ومع سياساته الخاطئة التي أغرقت البلد في براثن أزمة اقتصادية وسياسية، بسبب أهوائه الأيديولوجية وموالاته للإسلاميين والدول الداعمة لهم على حساب مصالح السودانيين.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

فهمت بعض الدوائر السياسية أن فتح مكتب قناة الجزيرة القطرية في الخرطوم مرة أخرى رسالة سياسية إيجابية للدوحة، وإعادة اعتبار للعلاقات معها. وفهمت المعنى نفسه بالنسبة لدعوة وزير خارجية تركيا مولود جاويش أوغلو لحضور حفل التوقيع على الإعلانين السياسي والدستوري، السبت، وأنه تصويب للفتور السابق مع أنقرة. وزاد الحماس لهذا التقدير عقب لقائه الفريق أول عبدالفتاح البرهان رئيس المجلس السيادي الجديد، وعندما شاهدت أوغلو يتجول ويوزع الهدايا على المواطنين في شوارع الخرطوم يوم الجمعة.

وقفزت دوائر أخرى إلى أبعد من ذلك، حيث تصور من يقف خلفها أن شكل السودان السياسي لن يتبدل، وقالت "راحت السكرة وجاءت الفكرة"، في إشارة إلى أن تداعيات الثورة لن تغير واقع السودان القديم، وأركان نظام المعزول عمر حسن البشير لا زالت تتحكم في المفاتيح، وكل ما ظهر من إشارات باردة نحو أنقرة والدوحة والحركة الإسلامية يندرج في عداد المراوغات و"التقية" المعروفة عن المنحازين للتيار الإسلامي بأطيافه المختلفة.

وحاولت بعض الجهات إضفاء مصداقية على هذا الكلام بتخفيف سخونة الخطاب الإعلامي نحو الطبقة السياسية الفاعلة في السودان، والاحتفاء معها بتدشين المرحلة الانتقالية، وإشاعة أجواء من التفاؤل بشأن المرحلة الانتقالية، وكأن شيئا لم يتغير بعد عزل البشير، وتقديم الأمر على أن أتباعه وكوادره في حزب المؤتمر الوطني الحاكم (سابقا) سوف يلعبون دورا حاسما الفترة المقبلة لتسير الأمور على المنهج ذاته الذي كانت عليه من قبل.

يؤدي مد الخيط على استقامته إلى التشكيك في نوايا أعضاء المجلس العسكري الفترة الماضية، الذي يمثله خمسة في المجلس السيادي المكون من 11 شخصا، للإيحاء بأن الجيش السوداني لم يتخل تماما عن البشير، والرجل يملك جيوبا مؤثرة تستطيع الضبط والربط لصالح تيار الإسلام السياسي، وتحييد واستقطاب شريحة واسعة في التيار المدني لا تتصادم كليا معه والدول التي ترعاه.

قد تشير الاستنتاجات الظاهرة إلى شيء من هذا القبيل، لكن القراءة المتأنية للمشهد السوداني مع الاحتفالات الصاخبة وبدء المرحلة الانتقالية، تؤكد أن المطلوب طمأنة جميع السودانيين، خاصة مع الهواجس التي صاحبت التوقيع بالأحرف الأولى على الوثيقة الدستورية في 4 أغسطس الماضي من جانب بعض الفئات، في مقدمتها الجبهة الثورية التي تتشكل من ثلاث حركات مسلحة، قاطعت رسميا احتفال التوقيع النهائي السبت.

إخماد التوتر

يرى المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير أنه من المفيد إخماد النيران المستعرة داخل الحركة الإسلامية ووقف تصعيدها بعد إعلان عدد من قياداتها رفض الوثيقة أيضا والتلويح بمنع تنفيذها، ويقود تضافرها الضمني مع الجبهة الثورية إلى المزيد من التوتر السياسي في الشارع. ويبدو تليين الموقف ناحية تركيا وقطر علامة تسكين لمزايدات هؤلاء.

في هذا السياق، تنطوي إعادة فتح مكتب الجزيرة وبهجة جاويش أوغلو على معان سياسية محدودة، ولا تحمل دلالات قوية على متانة العلاقات السودانية مع أنقرة والدوحة مستقبلا، أو تبعث بإشارة فتور حيال المحور المقابل لهما، مصر والسعودية والإمارات والبحرين.

كل ما يرمي إليه هذا التوجه أن الخرطوم تبدأ مرحلة تقول إنها منفتحة على الجميع، وخالية من الميول المؤدلجة التي سادت طوال فترة حكم البشير، وأدت إلى خسارة السودان الكثير من الأصدقاء، وسيبتعد النظام الجديد عن تكرار السياسات الماضية بصورة معكوسة، فهو في مرحلة تثبيت الأركان، ويفتقر لترف الانحيازات المعلنة التي تتطلب قدرا وافرا من الصلابة.

ويريد القائمون على التشكيلات السياسية الراهنة في الخرطوم تأكيد رغبتهم المعلنة في فتح صفحة متوازنة مع الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتغليب مصلحة الدولة العليا على المصالح الحزبية الدنيا، وهي من خصائل الحكومات البعيدة عن الأهواء الأيديولوجية.

ولأن الطبقة الحاكمة الجديدة مشكّلة من قوى وتيارات متباينة، من الممكن أن تظهر مساحة كبيرة من الانفتاح يشعر الناس معها بوجود تغير واضح، عبر التحسن الملموس في الأداء السياسي والاقتصادي والأمني، ما يعني التحلل من قيود الخطاب الديماغوجي المعطّل.

وأكدت المواقف العامة للمجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير أن هناك انسجاما لافتا في الحسابات السلبية لكل منهما إزاء الحركة الإسلامية، وحملوها وروافدها الحزبية والحركية إخفاقات السودان على مدار العقود الثلاثة الماضية، ما يخفف من وطأة دوران السودان الجديد في فلك السودان القديم.

وجاءت الثورة احتجاجا على سياسات الفريق الحاكم المحسوب على الإسلاميين، ومن الواجب نبذهم ومعاقبتهم على ما ارتكبوه من فساد أضر بمصالح السودان، وكبح التوجهات على أساس الولاءات العقائدية، لأن الأخطاء الناجمة عن هذه التصرفات أدت إلى توتر علاقات الخرطوم مع كثير من عواصم العالم.

> تنطوي إعادة فتح مكتب الجزيرة وبهجة جاويش أوغلو على معان سياسية محدودة، ولا تحمل دلالات قوية على متانة العلاقات السودانية مع أنقرة والدوحة مستقبلا

وجذب الحراك الثوري في السودان تعاطفا إنسانيا وسياسيا، داخليا وخارجيا. وكشف عن تجذر الاحتقان من نظام البشير، وأهمية التخلص من امتداداته، حيث أضاع هيبة الدولة وأغرقها في أزمات إقليمية لا قبل له بها لمجرد أن يستمر في الحكم، وغلّب الطابع الأيديولوجي، ما جعله يرتكب حماقات سحبت تداعياتها على الدولة وقدرتها على التماسك، وكادت أن تدخل شبح تقسيم بغيض بسبب انخراط رئيسها في معارك ومناوشات تخدم مصالح التيار الذي ينتمي إليه.

طي صفحة البشير

يسعى التحالف العسكري-السياسي الجديد إلى طي الصفحة الماضية، والتأكيد أنه غير منحاز لمحور معين، وهي أول علامة تفيد بتغير وجه نظام الحكم في الخرطوم. ويريد أن ينفي سريعا أي صفة للتعبير عن مصالح جهة معينة في الداخل أو الخارج، ما يفرض عليه تبني تصورات خارجية معتدلة، ويحاول أن ينأى، على الأقل خلال الفترة الأولى، عن العلاقات التي تضعه في خندق مناهض لخندق آخر، ويضبط دفته السياسية بإحكام كي يستفيد من الجميع. فمن سمات الأنظمة الصاعدة تسويق رؤية معتدلة لتجنب المنغصات الإقليمية.

يحمل هذا التوجه في النهاية ملمحا سلبيا تجاه الدول التي نسج معها نظام البشير علاقات قوية، وفي مقدمتها قطر وتركيا. فالطبقة الحاكمة الآن تعمل على الابتعاد عن المكونات التي أساءت للسودان، وأبرزها المواقف والممارسات التي وضعتها في مربع واحد مع الدول التي تؤيد وتدعم التيارات الإسلامية والجماعات الإرهابية وجعلت الخرطوم الحاضنة لكثير من القيادات المتطرفة.

تفرض هذه المعادلة تغير طرفيها، تركيا وقطر من ناحية، والسودان من ناحية أخرى. وقد فشلت كل الضغوط في تغيير أو حتى إدخال تعديل حقيقي على مواقف الطرف الأول، لأن الركائز التي يعتمد عليها لا تخول له رفاهية التخلي عن الورقة الإسلامية، بعد أن أصبحت جزءا أساسيا من نظامي الحكم في البلدين، وبات بقاء المسؤولين فيهما مربوطا بتوطيد العلاقة مع المتشددين والإرهابيين.

لذلك لابد أن يأتي التغير في المعادلة من الطرف الثاني، وهو السودان، الذي انطلقت ثورته من رحم النقمة على نظام البشير بعد أن استنزف البلاد والعباد، وأنفق جزءا كبيرا من ثروته على أغراضه السياسية. ومن المهم التخلي عن كوادر ورموز الإسلاميين مع العهد الجديد، كعربون على وجود تحول حقيقي، ودليل حيوي على انتهاء حقبة قاتمة بكل ملابساتها وارتباكاتها، من بينها الدول التي تحافظ على أواصر قوية مع تنظيمات متطرفة وجماعات إرهابية عابرة للحدود.

وقد تكبدت الخرطوم خسائر سياسية واقتصادية باهظة جرّاء علاقاتها مع هذه الدول والتنظيمات والجماعات ووضعتها في مواقف صعبة. وربطت بعض القوى الإقليمية والدولية التي تضررت من هذه التوجهات التطور مع السودان وتقديم المساعدات الاقتصادية بوقف نمو هذه العلاقة، وإظهار حسن نوايا في الحرب الضروس على المتطرفين والإرهابيين.

تقود هذه المحصلة إلى نتيجتين. الأولى: أن هناك انفتاحا على جميع الدول دون استثناء، شرط الالتزام بالقواعد والقوانين الدولية، مرهونا بمدى ما يحققه من مصالح وفوائد للدولة السودانية. والثانية كسر قدم كل دولة أو جماعة تحاول توريط النظام الجديد وتخلق له أزمات مع دول أخرى، وأن السودان مستعد للانخراط في عملية مقاومة المتطرفين والإرهابيين في المنطقة والعالم دون حسابات أيديولوجية، ولن يكون محطة لهم ومن يقفون خلفهم، ما يفضي إلى فتور محتوم في العلاقة مع كل من أنقرة والدوحة.

أبرز محطات الأزمة في السودان منذ عزل البشير

الخرطوم - من الحركة الاحتجاجية التي أدت إلى سقوط الرئيس السابق عمر حسن البشير إلى توقيع، السبت، على اتفاق يمهد الطريق لمرحلة انتقالية نحو حكم مدني، تذكير بأبرز محطات الأزمة في السودان، حيث قتل خلال ثمانية أشهر أكثر من 250 شخصا في عملية قمع التظاهرات، بحسب لجنة الأطباء المركزية القريبة من المحتجين.

● **رفع سعر الخبز:** ولدت حركة الاحتجاج في السودان في 19 ديسمبر بسبب نقمة شعبية على زيادة سعر الخبز ثلاثة أضعاف في ظل أزمة اقتصادية وتدابير تقشفية. ومنذ اليوم التالي لبدء التحرك، بدأ الناس يهتفون "حرية".

واتّخذت الحركة شكل اعتصام أمام مقرّ قيادة الجيش في الخرطوم منذ السادس من أبريل للمطالبة بتغيير النظام السياسي.

وفي 11 أبريل، أطاح الجيش تحت ضغط الشارع بالرئيس عمر حسن البشير الذي حكم البلاد على مدى ثلاثين عاما، وتولّى مجلس عسكري الحكم. فرفض الآلاف من المحتجين فض الاعتصام مطالبين بنقل السلطة إلى المدنيين.

● **انهيار المفاوضات:** في العشرين من مايو، انتهت مفاوضات بين المجلس العسكري وقادة الاحتجاجات بشكل مفاجئ من دون التوصل إلى اتفاق بشأن تشكيلة مجلس سيادي يحكم في مرحلة انتقالية حددت بثلاث سنوات قبل نقل السلطة إلى المدنيين.

ودعم الإسلاميون الجيش، أملين في الحفاظ على حكم الشريعة الإسلامية المطبق منذ الانقلاب الذي أوصل عمر البشير إلى الحكم عام 1989.

ونُفّذ إضراب عام يومي 28 و29 مايو في جميع أنحاء البلاد للضغط على المجلس العسكري الحاكم.

● **قمع دام:** في الثالث من يونيو، فض مسلحون يرتدون بزات عسكرية اعتصام المحتجين أمام مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في الخرطوم. وقتل 127 شخصا، بحسب اللجنة المركزية للأطباء. وأعلن المجلس العسكري فتح تحقيق في ذلك.

في اليوم التالي، أعلن الجيش أن الاتفاقات التي تمّ التوصل إليها مع قادة الاحتجاجات باطلة ودعا إلى انتخابات في فترة لا تتجاوز تسعة أشهر. ونُدد المحتجون بـ"انقلاب".

وخلصت لجنة تحقيق شكّلها قادة المجلس العسكري إلى تورّط "ضباط وجنود" في عملية فض الاعتصام، لكن المجلس أشار إلى أنه كان أعطى الأمر بتنظيف منطقة قريبة من مكان الاعتصام تمارس فيها تجارة المخدرات، وأن العملية لم تجر كما كان مخططا لها.

واتّهم متظاهرون ومنظمات غير حكومية "قوات الدعم السريع" بارتكاب التجاوزات.

ويعتبر كثيرون أن قوات الدعم السريع منبثقة من ميليشيات الجنجويد المتهمة بارتكاب فظائع خلال الحرب الأهلية في إقليم دارفور (غرب).

● **وساطة:** من 9 إلى 11 يونيو، كانت الخرطوم شبه مشلولة بسبب عصيان مدني دعا إليه المحتجون.

وأعلنت الوساطة الإثيوبية التي بدأت في السابع من يونيو أن المجلس العسكري والمحتجين وافقوا على العودة إلى طاولة المفاوضات.

في 27 يونيو، أعلن تحالف قوى إعلان الحرية والتغيير الذي ينظّم الاحتجاجات، أنه تلقى من وسطاء إثيوبيا والاتحاد الأفريقي "مشروع اتفاق" جديد للتفاوض حوله.

في 30 يونيو، تظاهر عشرات الآلاف من السودانيين في البلاد.

● **اتفاق على الانتقال السياسي:** في الخامس من يوليو وبعد يومين من المفاوضات، تم التوصل إلى اتفاق بين المجلس العسكري وقادة المحتجين على الخطوط العريضة لفترة الانتقال المقبلة.

في 17 يوليو، وقع قادة الاحتجاج في السودان والمجلس العسكري الحاكم بالأحرف الأولى "الإعلان السياسي" الذي يقرّ مبدأ تقاسم السلطة خلال فترة انتقالية تمتد على ثلاث سنوات. وينصّ الإعلان على إنشاء "مجلس سيادي" يُفترض أن يدير المرحلة الانتقالية.

في 29 يوليو، قُتل ستة متظاهرين بالرصاص بينهم خمسة طلاب خلال تجمع في وسط البلاد ما أدى إلى تعليق المفاوضات قبل توقيف تسعة عناصر من قوات الدعم السريع.

واستؤنفت المحادثات في الأول من أغسطس الجاري.

في الرابع من أغسطس، تم التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق تشكيل المجلس السيادي الذي سيتألف من ستة مدنيين وخمسة عسكريين.

في 15 أغسطس، تم الاتفاق على تسمية عبدالله حمدوك رئيسا للحكومة الانتقالية المرتقبة.

المطلوب طمأنة جميع السودانيين

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

وثيقة نادرة عمرها 66 عاما تكشف: أول رئيس لمصر دكتاتوري

كتاب يضم خطب أول رؤساء مصر محمد نجيب تبرر الاستبداد وتسييس الدين

مصطفى عبيد
كاتب مصري

في عالم السياسة، كل شيء متوقع وكل الاحتمالات واردة، ليس كل ما غادر الحكم منبوذ ولا كل من ظل مرغوب، بل على العكس نلاحظ عبر وقائع تاريخية والمستجدات السياسية حجم التعاطف الذي حظي به أغلب من غادر الحكم خاصة في منطقتنا العربية.

من هنا لم يكن غريبا أن يرى البعض إبعاد أحمد بن بلة (1916–2012) أول رئيس جمهورية جزائري على يد رفيقه في الثورة ووزير دفاعه هواري بومدين ردة عن مسار الوطنية، أو ينظر آخرون لتنحية الرئيس العراقي الأسبق أحمد حسن البكر(1914ـ 1984) على يد نائبه صدام حسين باعتباره سحقا لمشروع تنموي، فذلك لم يكن صحيحا البتة.

وبالمثل، راجت في مصر، خاصة بين الشباب، خلال السنوات الأخيرة تصورات تلقائية بأن محمد نجيب أول رئيس للجمهورية كان حاكما نموذجيا، ومثلا يحتذى في العدل والحكمة والإصلاح، وأنه كان ينتصر دوما للحريات. ووصل الأمر أن يقرر البعض أنه أبعد عن الحكم وحددت إقامته وضيّق عليه لأنه كان صاحب مشروع ديمقراطي.

المعروف أن نجيب كان برتبة لواء عند قيام حركة الجيش في 23 يوليو سنة 1952 واعتبره الضباط الأحرار واجهة لائقة، فاختاروه رمزا لثورتهم، ثم رئيسا لمجلس قيادة الثورة، ورئيسا للجمهورية بعد ذلك.

شهادة غير مجروحة

كطبيعة الثوار دب الخلاف بين نجيب وجمال عبدالناصر القائد الفعلي للحركة، وتم تنحية الرجل في نوفمبر 1954 وحددت إقامته حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي حين سمح له بحرية التحرك، ليكتب مذكراته بعنوان "كلمتي للتاريخ" معتبرا إبعاده عدوانا على الديمقراطية والحريات قبل أن يرحل عن عالمنا في 28 أغسطس سنة 1984.

واللافت أنه كان هناك تعاطف شديد مع الرئيس المُنحى المُضطهد من رفاقه، ما دفع البعض إلى أن يطلق عليه "رجل الفرصة الضائعة" باعتباره كان يحمل فكرا وتوجها لتحديث ودمقرطة مصر بعد إسقاط الحكم الملكي فعليا في 26 يوليو 1952 بطرد الملك فاروق الأول، ورسميا في 18 يونيو سنة 1953 بإعلان الجمهورية.

وإذا كانت شهادات المعاصرين تختلف باختلاف مواقف أصحابها، ودرجات مكاسبهم وخسائرهم من مرحلة تاريخية محددة. وإذا كانت آراء المؤرخين اللاحقين تتباين بحسب توجهاتهم السياسية، ما يُصعّب الاقتناع المطلق بأمر ما، أو الارتكان إلى حكم نهائي تجاه أحد شخوص التاريخ، فإن الوثائق الرسمية تبقى أفضل شاهد، وأصدق راصد لزمان ولى، أو عصر أفل، إذا كانت تتزامن مع الحدث ولا يتصور صانعوها ما جرى لاحقا.

من هنا تأتي أهمية وثيقة "الكتاب الأول للثورة" الصادر في 22 يوليو سنة 1953 بعد نحو شهر من إعلان الجمهورية واختيار محمد نجيب قائد الحركة كأول رئيس جمهورية لمصر.

جمع الكتاب ضابط من المقربين لمحمد نجيب يدعى اليوزباشي محمود فوزي الوكيل (توفي سنة 1984) بمناسبة مرور عام على حركة يوليو، ورصد فيه كافة خطب وتصريحات وقرارات نجيب باعتبارها استقراء لعهد جديد يعتبره عهد إصلاح وتنمية.

ولما كان ذكر نجيب مُجرما بعد تنحيته، حينها جمعت نسخ الكتاب من الأسواق وأعدمت معظمها ونزع اسم نجيب من كتب التاريخ المدرسي ليُستبدل بسلفه جمال عبدالناصر باعتباره أول حاكم مصري وطني منذ الآلاف من السنين، ولم تبق من الكتاب سوى نُسخ نادرة بأيدي هواة الأوراق القديمة.

عادة عند موت مثل هؤلاء الهواة، لا يهتم الورثة بمقتنياتهم الورقية، فيبيعونها باعتبارها "روبابيكيا" (كلمة تطلق على الأشياء القديمة) بأبخس الأثمان، وهكذا وصلتني الوثيقة النادرة من أحد الباعة بسور السيدة زينب للكتب والأوراق القديمة في وسط القاهرة بعد أن اشتراها ضمن "روبابيكيا" من ورثة أحد هواة التراث الراحلين.

ذكرتني الواقعة بأحداث مشابهة، من أشهرها ما جرى قبل عشرين عاما عندما عثر الباحث والمؤرخ الراحل صلاح عيسى (1939–2017) بطريقة مشابهة على مشروع دستور مُجمد، كانت السلطة في مصر تنتوي إصداره سنة 1954 لكنها عدلت عن ذلك خوفا من قيام حياة ديمقراطية، ونشره عيسى في كتاب حمل عنوان "دستور في صندوق القمامة". وكم من وثائق وأوراق نادرة تختفي لتموت معها حقائق، وتُدفن معها وقائع، وتتبدل بفقدانها صور وتتغير تصورات.

أهم ما في نسخة الوثيقة الصادرة سنة 1953، وهي بحالة رثة، أنها ترسم صورة حقيقية معاصرة لشخص محمد نجيب أول الرؤساء، وهي صورة شخص لا يؤمن بالتعددية ولا يقبل الآخر، مثل غالبية العسكريين في ذلك الزمان.

يرى نفسه الأول والأعظم والأكبر والأحكم ويستخدم نظرية المؤامرة دائما لكسب التأييد. هي صورة حاكم يتصور امتلاكه الحق المطلق، والعدل التام، ويرى أن كل مختلف معه عدو، وهو ليس عدوا له فقط، وإنما للوطن وأهله.

الفارق بين البلد والحاكم ينهار في تصور الرجل، فمن يختصمه يختصمه لأنه ضد البلد وأهله، ومَن يحبه ويتفق معه فهو أهل للوطنية. يرى الماضي كله بغيض، والسابق كله فساد، وتبدأ أفكاره وتصوراته كطلبات من الناس، ثم تصبح أوامر والتزامات، وتتحول إلى وعيد وتخويف.

يبدو كارها للأحزاب تماما، وهي صورة من صور الانقسام والفرقة، ويؤمن أن الرأي يجب أن يكون واحدا، والصوت واحدا، والقرار واحدا، ما يناقض فكرة الديمقراطية تماما التي راجت عنه.

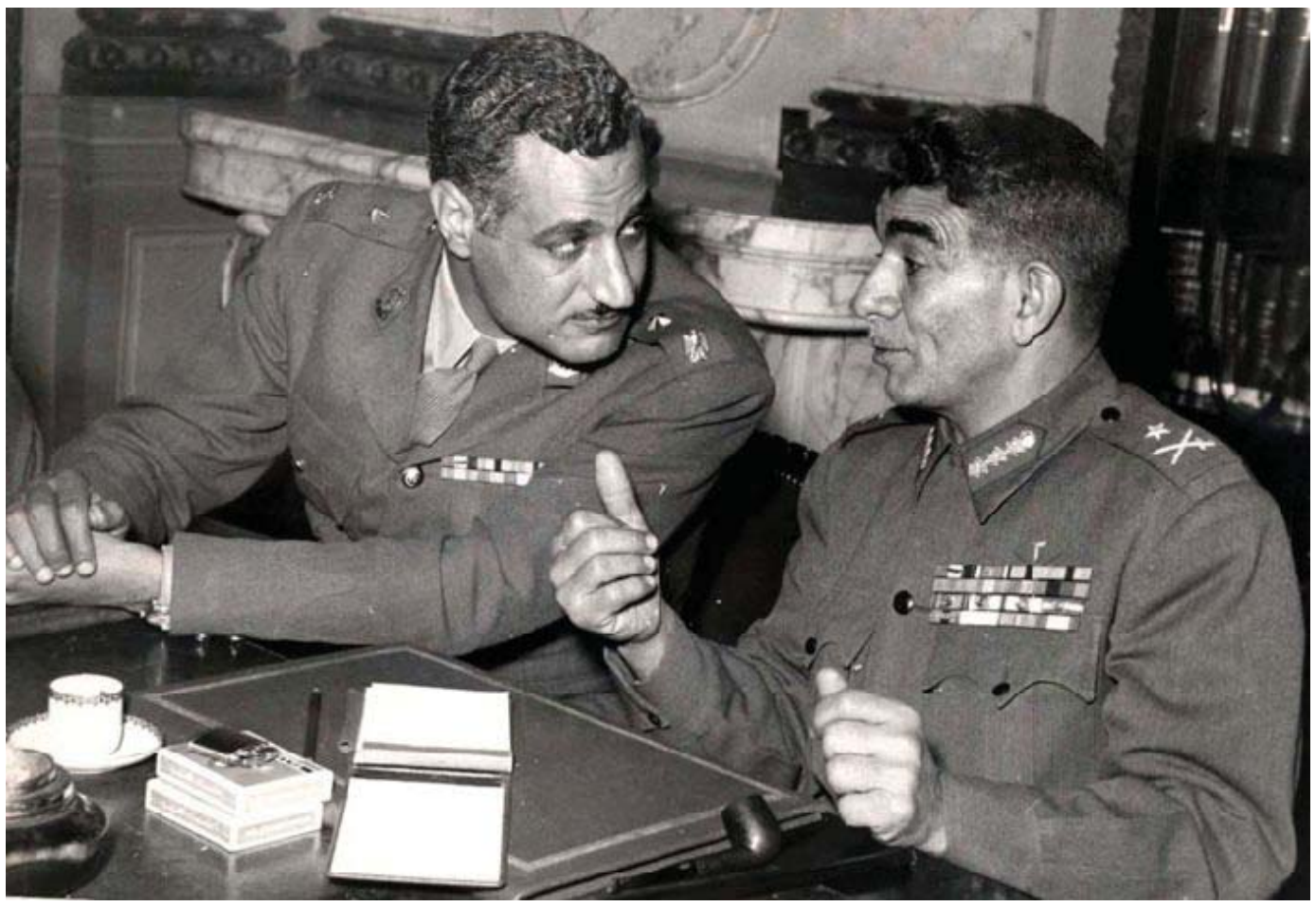

أول رؤساء مصر محمد نجيب مع جمال عبدالناصر

ليس المقصود هنا تشويه الرجل أو محاسبته بأثر رجعي، فهناك متخصصون قادرون على ذلك، لكن المراد قراءة واحدة من الوثائق والأسرار النادرة مثل الوثيقة الصادرة عام 1953، كي تكون الصورة كاملة، والتاريخ وحده الحكم النهائي على الأشخاص.

أقوال تعكس أفكارا

رصد الكتاب أقوال وأفكار نجيب الدكتاتورية بعد أيام قليلة من استيلاء الضباط الأحرار على السلطة. ففي 30 يوليو سنة 1952 وبعد أربعة أيام فقط على طرد الملك فاروق من مصر، تحدث أمام وفد من الصحافيين والطلبة ليقول "إن التخلص من الثعبان لا يكفي فيه قطع ذيله".

في اليوم التالي مباشرة طلب نجيب في بيان رسمي من الأحزاب القائمة في البلاد أن تعلن برامج محددة للشعب. ثم ترتفع نبرة الدكتاتور داخله لنجده في حديث مع صحيفة الأهرام في 9 أغسطس من العام ذاته يقول مهددا "إننا نحذر ثم ننذر ثم يكون لنا شأن آخر". ويكشر بعد ذلك عن أنيابه "إذا لم تطهر الأحزاب نفسها كما يجب سنطهرها بالقوة".

في الكتاب أيضا سمات التبشير بالقوة العظمى للوطن والرخاء العظيم يتدفق عبر خطب متنوعة لنجيب، إذ يقول مثلا في عرض عسكري أقيم بالقاهرة يوم 22 أكتوبر 1952 "مصر يجب أن تتحول إلى دولة عظمى وليس هذا خيال. نحن لسنا أمة صغيرة ولا ينبغي أن نظل أمة صغيرة لأننا نملك من تاريخنا وموقعنا ما يؤهلنا لذلك".

كانت تلك سمات حكام مستبدين كثر مروا على مصر، حيث يعدون بدولة "سوبر" ومكانة خيالية، ليخدروا الناس بمستقبل لا يجيء أبدا، ويتناقض مع معطيات الواقع.

وفي تبريره لقرار حل الأحزاب المصرية في 16 يناير 1953 قال نجيب في بيان رسمي "لقد اتضح لنا أن الشهوات الشخصية والمصالح الحزبية تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة، فلم تتورع عن الاتصال بدول أجنبية ونسي هؤلاء أننا نقف بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالخروج على الشعب أو العبث بمستقبله، لذلك فقد أمرت باتخاذ أشد وأعنف التدابير ضد كل مارق وخائن يسعى بالفتنة بين صفوف الأمة"، ثم يقول "منذ اليوم لن أسمح بأي عبث أو إضرار بمصالح الوطن وسأضرب بمنتهى الشدة على يد كل من يقف في طريق أهدافنا".

وتكررت تبريرات نجيب بشأن إعدام الأحزاب في خطابه يوم 23 يناير 1953 قائلا "لقد رأيناها جريمة كبرى أن ندع هذه الحرب الطاحنة بين الأحزاب تطحن الأمة فعزمنا أن نضع حدا لها".

وفي خطاب آخر بميدان التحرير في وسط القاهرة يوم 6 فبراير واصل نجيب لعن الأحزاب ليقول "لقد كان هم الأحزاب أن تخدع الناس بالكلام المعسول وأن تنيم بطونهم الخاوية وتملأ عقولهم بالأكاذيب".

تسييس الدين

يكشف الكتاب الارتباط الوثيق بين حركة الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، ذلك الارتباط الذي حاول الكثير من المؤرخين نفيه، فقد كان هناك تحالف بين القوتين اللتين التقيتا على رفض الديمقراطية والتعددية، واستمر ذلك التحالف طوال العامين الأولين للحركة.

وليس أدل على الأمر من نشر الوثيقة لزيارة الرئيس محمد نجيب إلى قبر حسن البنا وإلقاء خطاب أمام ضريحه في 12 فبراير 1953. والغريب أن يتحدث نجيب ومعه جمال عبدالناصر خلال الزيارة باللغة نفسها التي يتحدث بها أعضاء جماعة الإخوان، إذ سُمي حسن البنا "الشهيد" واعتبر "رجل يعيش لأمته فيهب لها حياته ويحصر فيها آماله، لذا فإن الفجيعة فيه لم تكن فجيعة جماعة ولا فجيعة طائفة، لكنها فجيعة أمة، بل أمم غزى قلوبها جميعا".

كان استخدام الدين واضحا لتجميل صورة الرئيس في عدة مواضع بالكتاب، فيرد قرار إسقاط الملكية وتعيين نجيب كأول رئيس للجمهورية مسبوقا بآية قرآنية.

هنا لا نستغرب أن تكون أول زيارة للرجل بعد توليه رسميا رئاسة الجمهورية إلى جامع الحسين بهدف استثمار محبة الحسين الطاغية لدى الناس لكسب تأييدهم. والمثير في الأمر أن يخطب في الناس الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف وأحد قيادات الإخوان في ذلك الوقت.

تتكرر لعبة تسييس الدين في وثيقة الرئاسة المنسية لتنشر كلمات رجال الدين في مباركة تولي نجيب الحكم، لتبدأ بكلمة شيخ الأزهر وقتها الشيخ عبداللطيف السبكي، مسبوقة بالآية الكريمة "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما".

ثم تتلوها كلمة الأنبا يوساب الثاني بطريرك الأقباط في مصر داعيا بحفظ الرئيس المحبوب وصحبه الكرام. وتأتي بعد ذلك كلمة حاخام اليهود حاييم ناحوم (وكانت توجد في مصر وقتها طائفة يهودية مؤثرة)، وفيها شبه رجال الثورة بالفرقة الموسيقية والرئيس نجيب بالقائد صاحب العصا التي تتحرك لتعزف الفرقة أبدع الألحان.

وشارك الرئيس نجيب نفسه في استغلال الدين في تعزيز مكانته السياسية، إذ استخدم في خطابه الأول الموجه للشعب باعتباره رئيسا للجمهورية آيات من القرآن وأحاديث نبوية واستشهد بخطبة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق.

وكرر رجال الثورة الأسلوب ذاته ليهب جمال عبدالناصر، نائب الرئيس وقتها، مخاطبا ويطلب من الناس ترديد قسم مبايعة للرئيس نجيب قال فيه "اللهم إنا نشهدك وأنت السميع العليم أننا بايعنا الرئيس نجيب رئيسا لجمهورية مصر..".

> يكشف الكتاب الارتباط الوثيق بين حركة الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، فقد كان هناك تحالف بين القوتين اللتين التقيتا على رفض الديمقراطية والتعددية

الغريب أن تفضح لنا الوثيقة مواقف وآراء متناقضة لأعضاء مجلس قيادة الثورة الذين قاموا بعد ذلك بخلع نجيب وتحديد إقامته، فبعد أيام قليلة من تعيين نجيب رئيسا للجمهورية يخطب عبدالحكيم عامر عضو مجلس قيادة الثورة وقائد الجيش وقتها في بلدته محييا القائد العظيم الذي استحق محبة الناس فصار أول رئيس منهم ولهم.

وخطب صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة في مدينة المحلة، شمال القاهرة فيقول "البعض كان يرى انتخاب رئيس الجمهورية انتخابا شعبيا وأعتقد وكلكم تعتقدون أن محمد نجيب نجح في أكثر من انتخاب. لقد سار في كل ركن من أركان البلاد والتف حوله ملايين البشر، ولقد سرت اليوم بينكم وتبينت حبكم. لذا فإن ذلك أكبر من أي استفتاء وأقوى من انتخاب تدفع فيه الأموال لشراء الذمم والنفوس".

وما يمكن استخلاصه أن هذه الوثيقة بمثابة سلاح ذي حدين، حيث تكشف مواقف الرئيس نجيب من الحريات والتعددية والديمقراطية. كما تكشف في الوقت نفسه نفاق ضباط يوليو لرجل شاءت الظروف أن يجعلونه رئيسا لهم، وقالوا فيه مدائح لم تلبث أن انقلبت لعنات عند خلعه وبعد إبعاده عن الحكم.

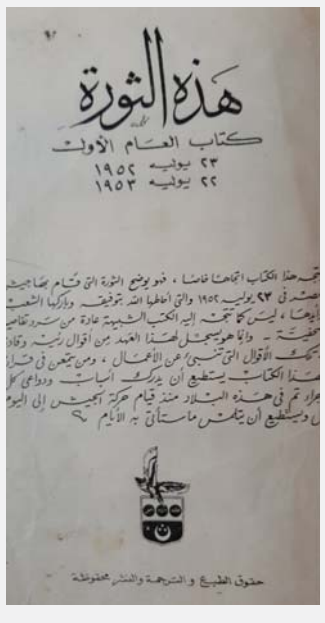

ليس المقصود هنا تشويه محمد نجيب أو محاسبته بأثر رجعي، فهناك متخصصون قادرون على ذلك، لكن المراد قراءة واحدة من الوثائق والأسرار النادرة مثل الوثيقة الصادرة عام 1953، كي تكون الصورة كاملة، والتاريخ وحده الحكم النهائي على الأشخاص.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

خليفة غامض للجنرال السجين «توفيق»

محمد قايدي

رئيس المخابرات الجزائرية الشهير بـ«المنجل»

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

حين تُصنع الأسطورة فإنها تُصنع بقدر عال من الغموض والأسرار. حتى أنك لا تعرف من صنعها؟ ولا كيف تم ذلك؟ ولا في أي مخبر؟ ولا بأي طريقة؟. ذلك ما درجت عليه مخيلة الجزائري حينما تعود إليها صورة قادة الأجهزة الأمنية في البلاد. فعالمها ما زال مستعص ومستتر وغير مكتوب بالقدر الكاف، والذي كتب عنه لا يفي بالغرض، ولا يعطي رؤية كاملة عن هؤلاء الذين تربوا وتدربوا وتعلموا في كنف السرية التامة والخفاء.

ورئيس المخابرات الجزائرية الحالي الجنرال محمد قايدي الشهير بـ"المنجل" حالة مثالية لافتة ضمن هذا المشهد الذي يفترض أن التغييرات تعصف به الآن، لكن يبدو أن المخابرات هي آخر من يتغير على الدوام.

تاريخ مكتوم

خرج من طينة قائد المخابرات الجزائرية الأسبق الجنرال الشهير توفيق جنرال آخر هو قايدي الذي لا تقول عنه الألسن سوى إنه مهندس دولة في الإعلام الآلي، ولكي تتخذ شخصيته الكاريزما اللازمة فهو يتقن 7 لغات مختلفة كتابة وقراءة، حافظ للقرآن الكريم، لا يكاد يعرف عنه شيء. وكعادة هذا النوع من الرجال الذين خبروا الصمت والتخفي والتواري عن الأضواء، غير أن ما رشح عن بطولاته مكثفة وقليلة جدا جدا، فيوصف بقاهر الإرهاب وقائد كتيبة تدعى "المرسيدس" بل كان هو الوحيد الذي يدعى بهذا اللقب، وهي ماركة السيارات الألمانية المعروفة التي ترمز للقوة والمتانة والصمود، وهي خصال يقال إنه يتحلى بها، وقد كان في الصفوف الأمامية للمعارك الدامية مع الجماعات الإرهابية في الجبال والوديان والشعاب الوعرة التي كان الإرهابيون يتخذونها مأوى لهم.

التصريح الوحيد المتوفر في الإنترنت والذي شاهده الملايين عندما أعلن اسمه كقائد لجهاز المخابرات، هو تساؤله عن الحق والباطل وهو يقاتل الطرف الثاني الذي يقول أيضا إنه على حق. يقول الجنرال قايدي "حتى أنا كنت أتساءل، هل نحن على حق أم على باطل؟، هم يقولون الله أكبر ونحن نقول الله أكبر، وقد تبين الحق فيما بعد".

كان عدد قادة أجهزة المخابرات الجزائرية 9، وقد تأسست الإدارة كمؤسسة عام 1957 على يد عبدالحفيظ بوصوف أحد قادة الثورة الجزائرية الذي يلقب بالأب الروحي للمخابرات، فقد كان هذا الأخير قويا وصاحب سلطة نافذة حتى أنه جند بعض وزراء الحكومة الفرنسية إبان الثورة وعمل على تطوير الكفاءات والقدرات من خلال التكوين والتدريب والتدريس في أعرق مدارس الجوسسة خاصة السوفييتية منها، حيث لا تخلو الدراسات المخصصة لهذا الجانب على قلتها من الإشارة إلى التأثيرات العميقة المتغلغلة في أساليب عمل المخابرات الجزائرية والمرتبطة مباشرة بالمدرسة الروسية.

خضع الجهاز في مساره إلى العديد من التحولات وإعادة الهيكلة وفق متطلبات المراحل الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر منذ الاستقلال، حيث كانت تحت نظر العالم وجواسيس دول عدة تنظر إليها كقوة إقليمية فاعلة، وخاضت المخابرات الجزائرية العديد من العمليات سواء هنا أو هناك وكانت بمثابة العين الساهرة واليقظة على الحدود في قلب القرارات وفي أصعب المواقف.

كانت المخابرات الجزائرية بعد الاستقلال مخيفة ومرعبة، فبمجرد ذكر "الأمن العسكري" تدور الأعين وتخفت الأصوات وتدخل الطيور إلى أعشاشها. والمرحلة حسب المؤرخين كانت تتطلب هذا النوع من التخويف والترهيب، فالجزائر كانت محط أطماع وبؤرة استقطاب بما تمتلكه من موارد وطاقات ثرية.. لذا عمد الجهاز إلى انتهاج هذا الأسلوب مع الكل، ولم يسلم من الأمر أي أحد من الشيوعيين إلى الإسلاميين إلى معارضي النظام من داخل النظام نفسه.

وبات الجهاز مرادفا لسلطة خفية تعمل على كسر أي رأي مخالف أو أي محاولة للوقوف أمام طموحات السلطة التي أحكمت قبضتها على دواليب الحكم والقرار، ولم يتخذ أي قرار مهم أو مصيري إلا إذا أذنت بذلك المخابرات.

> تركيبة الجنرال توفيق تستولد نسخة الجنرال قايدي الذي لا تقول عنه الألسن سوى أنه مهندس دولة في الإعلام الآلي، ولكي تتخذ شخصيته الكاريزما اللازمة فهو يتقن 7 لغات مختلفة كتابة وقراءة، كما أنه حافظ للقرآن الكريم

حتى في زواج الرئيس الراحل بومدين اعترض الجهاز الذي كان تحت قيادة المرعب قاصدي مرباح الذي اغتيل في سنوات الإرهاب حاملا معه الكثير من الحقائق والخفايا عن النظام والحكم ورجالاته.

ترسخ في ذهن الكثيرين أن المخابرات هي فرع خارج مؤسسة الجيش، وقد تعززت هذه القناعة واليقين خاصة في سنوات الإرهاب والدم، أين تعاظم دوره وتفاقم وتجاوز في الكثير من المرات مهامه المنوطة به، ويتحجج البعض بخطورة الوضع الذي كانت تمر به الجزائر مما حتم على رجالات المخابرات التغلغل أكثر في مفاصل الدولة الجزائرية حيث لم تخل إدارة من عون للجهاز مما سمح لبعضهم بالاستفادة وشد الحبل، وللبعض الآخر من إعداد تقارير عن المسؤولين وتبين أنها مغلوطة ومفبركة.

في المقابل كان الكثير من رجالات المخابرات يتقدمون الصفوف الأمامية في الحرب ضد الإرهاب وسقط الكثير منهم وتم نسيانهم وعندما تزور المقابر ستقف على شواهد لأسماء مجهولة من خيرة هؤلاء الضباط والعسكريين.

أسطورتان

لا يعرف الجزائريون عن الجنرال "توفيق" أي معلومات وافية ودقيقة وموثقة، فالنتف القليلة مما تم تسريبه عن حياته ومساره مبثوثة في المصادر، كأي سيرة عامة، اسمه الحقيقي محمد الأمين مدين ولد سنة 1939 في قنزات بولاية سطيف شرق الجزائر، نشأ في حي شعبي بالجزائر العاصمة، انضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني بعد إضراب الطلبة سنة 1957، وبفضل شخصيته الكتومة اختاره بوصوف لينضم إلى المخابرات والتسليح.

تربص بعد الاستقلال بمدرسة المخابرات الروسية بموسكو حيث تلقى تكوينا عسكريا مختصا في مجال الاستخبارات وتخرج من دفعة سميت "السجادة الحمراء"، ثم عُيّن مسؤولا للأمن الوطني بمديرية وهران مع العقيد الشاذلي بن جديد مسؤول الناحية العسكرية الثانية تعرف على الراحل العربي بلخير. ثم عين قائدا للمعهد العسكري للهندسة ثم مديرا للمديرية الوطنية للأمن العسكري وبعد 6 سنوات قضاها مديرا للأمن الوطني عين قائدًا للأمن الرئاسي، ثم عين على رأس جهاز المخابرات من سنة 1990 إلى غاية 2015 حين أحيل على التقاعد.

وقد شهد "توفيق" أصعب مرحلة مرت بها الجزائر التي عاشت سنوات من الدم والقتل والتخريب نتيجة توقيف المسار الانتخابي، وبرز دوره في مكافحة الإرهاب، وأسهم في نزول الآلاف من المقاتلين الإسلاميين من الجبال بفضل قانون الرحمة 2001، ومما تردد أنه صعد إلى الجبل بنفسه وحاور المسلحين وأقنعهم بضرورة وقف القتال، ولم يتعرف عليه أحد إلا لاحقا بعدما تم تداول بعض صوره النادرة.

كانت الدنيا تقام ولا تقعد، كما يقال في الجزائر، حين تظهر ولو لثانية صورته بالخطأ في وسائل الإعلام العمومية، وقد حاول بعض المصورين أن يتلقطوا له صورة ولو من بعيد في الجنازات الرسمية التي كان يحضرها ولكن دون جدوى ومن حالفه الحظ في ذلك يجد نفسه محاطا برجال أمنه اليقظين دوما وكأنهم تلقوا فقط هذا النوع من التدريب كي ينزعوا الفيلم أو غيره من الوسائل اللاقطة للصور. يروي أحد المصورين الذين يحتفظون بصورة وحيدة نادرة له لم ينشرها إلى الآن أنه التقط صورا له بمحض الصدفة وفي غفلة عين أمنه. وهو يقول "كنت أنام وأنا خائف من اقتحام عناصر الأمن بيتي. فأنا أملك صورة قنبلة قد تنفجر علي في أي لحظة". ذلك هو الفريق توفيق بشخصيته الغامضة والهادئة والمجهولة، بناها بصمت، وأحاطها بالكثير من الهالة المرعبة، ونحتها على طول السنوات التي قضاها حاكما وآمرا ومتنفذا وعميقا حتى يراودك الشك أنها كانت موجودة لحما وعظما ودما. هكذا غذّيت صورة الفريق توفيق في مخيلة الجزائري، صورة مرادفة للمقدس الذي لا يدنس، لا يمس ولو بالهمس، رمز اجترح لنفسه القوة والمهابة والسيطرة وتعلمها من الجزائري الضعيف المنهوك بفعل الموت والقهر والإرهاب وسنوات الحيرة. وحين كان يجري الحديث آنذاك عن توفيق أو عن جهاز المخابرات ترى المتحدث ينظر إليك مستجديا أن لا تخرب عليه حياته القنوعة.

لقد لعبت الدوائر والإعلام دورا خطيرا في أسطرة بل في تأليه الفريق توفيق حتى صرخ أحدهم يوما ونعته بلكنة الشارع بـ"رب الدزاير"، كان ذلك حينما بدأ الصراع في عرين السلطة بالخروج علنا إلى السطح، وجاء اليوم الذي أنزل فيه الفريق توفيق من عليائه، وبدأت التصريحات النارية ضده تتوالى، وقصت أجنحة محيطه بعد أن أنهيت مهام العديد من جنرالاته المقربين، وقادت بعض الشخصيات السياسية بإيعاز سري حربا علنية عليه وحملوه مسؤوليات عظام في ما حدث للبلاد.

وفي كل هذا بقي صامتا مكابرا يتلقى الضربات تحت الحزام وفوقه، مقتنعا كما هي عادته أنها عاصفة وتمر فهو يعرف الجميع والكل، ويعلم أدق التفاصيل، وصاحب ملفات وهو صديق لفرنسا وأميركا وغيرها من الدول.. وتبين بعد كل هذا أن لا أحد يبالي، وانتهى به الأمر سجينا ووحيدا مع العصابة التي كانت تأخذ شرعيتها منه من قوته وسطوته وحضوره المقدس في الأرواح والنفوس بعدما أسس لها دولة عميقة تمفصلت في أركان الدولة من شرقها إلى غربها، وهي الآن تتفكك ببطء وتنحل تحت قيادة رجال آخرين من طينة أخرى.

هكذا ترسم صورتان في المخيلة مختلفتين بين قائدين، إحداهما لمجاهد حكم المخابرات مدة طويلة بيد من حديد ثم ها هو اليوم خائن، والآخر شاب مقبل من عرين الإرهاب معترك بتراب الدم والدموع. الأول غامض ومريب كان يتخفى عن الأعين ويحرك الخيوط من وراء الستار، والثاني واضح وهو متوفر بالصورة المتحركة ينطق ويتكلم. صحيح أنها واحدة فقط ولكنها تفي بالغرض وتعطي للمخيلة زمنا ولحظة تدوم.

كابوس الإرهابيين

يقول الجزائريون اليوم "أخيرا لمحنا من يدير جهاز المخابرات، وصرنا نعرفه بشحمه ولحمه". الأول ماكر وذكي ومتفرنس، والثاني داهية ونخبوي ومتعدد اللغات.. لا يعرف الأول أي شيء في الكمبيوتر ولا يعرف كيف يستعمل النت، والثاني خبير في المعلومات والبرمجية، الأول خنق بسيجارته النفوس ووضعها بين سبابته وإبهامه يديرها كيف شاء ومتى شاء، والثاني منجل يحصد النفوس التي أفسدت البلاد والعباد.

مما يُعرف عن قايدي أنه فقد صوابه أثناء أداء مهماته ذات مرة، وكاد أن يذبح بخنجره الإرهابي الجزائري جيلالي البحري الملقّب بـ"الذئب الجائع" في منطقة عين آذان، بعد أن سلم نفسه لقوات الأمن. وقيل وقتها إنه تم نقل البحري ليدل القوات الأمنية على المخابئ السرية والطرق التي يسلكها الإرهابيون في أعالي الجبال. وحين أخذ يروي لهم كيفية إقدامه على ذبح مدرسات جزائريات بكل برودة دم، انفعل قايدي وهاجم الإرهابي وطرحه أرضا وأخرج خنجره، وكاد أن يذبحه لولا تدخل الحاضرين.

تلك القضية التي نظرت فيها محكمة الجنايات لدى مجلس قضاء سيدي بلعباس غرب الجزائر، في أواخر العام 2007 حين جرى ذبح 11 مدرّسة ومدرسا على يد حاجز مزيف أقامته جماعة إرهابية كان الجيلالي من بين أعضائها.

بعدها ظهر قايدي في أكثر من مناسبة في مقر وزارة الدفاع بمناسبات وطنية، وكانت الكاميرا تدور وتلتقط صورا عامة للجميع. كان من بينهم ألوية وعقداء وضباط بمختلف الرتب، لم تركز الكاميرا على أي منهم. فالكل متشابهون. ولكن كانت صورة واحدة فقط تعود مرات ومرات هي صورة الجنرال المتخفي وراء الجميع. ويبدو للوهلة الأولى أن صورة الأسطورة بدأت تتشكل من هذه اللقطات السريعة المقتضبة من هنا، ناهيك عما يكتب في صفحات الفيسبوك أو في بعض المواقع عنه، حيث الأمنيات والتنويهات والتحيات لما يقوم به حتى ولو لم يكن لوحده من يقوم بذلك، يبقى فقط عليه أن يحرر الجهاز العسكري وأن يعرفه الجميع بعيدا عن وهم الأساطير التي غلفت مساره منذ أن نشأ إلى اليوم، وهو ما يمكن أن يقوم به الجنرال محمد قايدي حتى لا يتحول إلى أسطورة أخرى تدوم وتسيطر على النفوس والعقول.

> رئيس المخابرات الجزائرية كثيرا ما يوصف بـ«قاهر الإرهاب» لأنه كان في الصفوف الأمامية للمعارك الدامية مع الجماعات الإرهابية في الجبال والوديان والشعاب الوعرة التي كانت تتخذها مأوى لها

● شخصية قايدي ذات سمعة رهيبة، ومما يُعرف عن أنه فقد صوابه أثناء أداء مهماته ذات مرة، وكاد أن يذبح بخنجره الإرهابي الجزائري جيلالي البحري الملقّب بـ"الذئب الجائع" في منطقة عين آذان، بعد أن سلّم الأخير نفسه لقوات الأمن.

● التصريح الوحيد المتوفر للجنرال قايدي والذي شاهده الملايين كان عندما أعلن اسمه كقائد لجهاز المخابرات، حينها قال "حتى أنا كنت أتساءل، هل نحن على حق أم على باطل؟، هم يقولون الله أكبر ونحن نقول الله أكبر، وقد تبين الحق في ما بعد".

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

لبناني صنع خياله بخبرة الطفل

مارون الحكيم

الرسام والنحات معا في مواجهة الواقع

فاروق يوسف
كاتب عراقي

هناك نوع من الفنانين لا يمكن فصل سيرتهم الشخصية عن سيرتهم الفنية، فهما الشيء نفسه. لقد قُدر لذلك النوع أن يرى منذ الطفولة مصيره على شاشة أحلامه ممتزجا بالمواد وقد شكلت إطارا لحياته الصغيرة.

ذلك النوع يبدو متمردا على طفولته حين يستغرق في ألعاب، هي ليست ضمن قائمة الألعاب المسلية الجاهزة. فقد تنطوي على نوع من شقاء الخيال وألمه الذي سرعان ما يتحول إلى لذة.

حين يمتزج الرسم بالنحت

اللبناني مارون الحكيم هو من ذلك النوع الذي قاده شغفه بالمواد الخشنة منذ طفولته إلى أن يرى صورته فنانا. لذلك فإنه لم يتخل عن تلك المواد حين صار فنانا، بل ومعلما للفن.

كان من الممكن أن يكون الحكيم بناء فهو ابن أسرة من البنائين. غير أنه اكتفى من تلك المهنة بموادها وأدواتها من غير أن ينزلق إلى احترافها. لقد كان قدره يقيم في مكان آخر، سيكون لتلك المواد والأدوات النصيب الأكبر في خلقه.

وهكذا وجد حياته لا تسير إلى جوار حلمه في أن يكون فنانا. لقد حمل من تلك الحياة العناصر التي صنع الفنان من خلالها حلمه. فحين درس الرسم كان النحات يقيم في داخله حاملا إزميله في مواجهة ثلاث مواد حملها معه من طفولته؛ الرخام والخشب والحديد.

لذلك لم يكن من العسير عليه الجمع بين فني الرسم والنحت بطريقة المحترف الذي يعرف متى يفصل بينهما ومتى يجعل منهما الفن المركب نفسه.

ولأن الحكيم كان تجريديا في بعض رسومه وتشخيصيا في النحت بشكل عام فإنه استطاع أن ينشئ جسورا بين تجريديته وتشخيصيته من خلال حس إنساني رفيع المستوى وحساسية فنية وصلت بالمرئيات إلى واحدة من أكثر درجاتها شفافية. فكانت مشاهده تشف عن وقائع عذبة في تاريخ الألم الإنساني وشهوته.

وكما أعتقد فإن مارون الحكيم ما كان يصل إلى تلك المعادلة المرهفة لولا إخلاصه لطريقة في التفكير في الفن، كانت محور حياته منذ أن تعرف على سحر المواد في طفولته.

لقد رأى بعيني الفنان في طفولته وهو اليوم بعد أن صار فنانا يستعيد النظر بعيني الذي كانه.

ولد الحكيم في بلدة مزرعة يشوع بقضاء المتن عام 1950. والمتن لمَن لا يعرفه هو أحد أقضية محافظة جبل لبنان الستة. وهو من أكثر المناطق شعبية في لبنان والتي تمتاز بمشاهدها الطبيعية الساحرة التي تطل على البحر المتوسط.

في تلك الأجواء عاش الحكيم طفولته وهو الابن الأخير لعائلة بنائين، نسبة إلى المهنة التي كان يمارسها الأب وعدد من الإخوة. وهو ما جعله منذ البدء متعلقا بأدوات البناء وموادّه، الأمر الذي طبع طفولته بنمط خاص من اللعب الذي يمزج التسلية العابرة باختراع أشياء صلبة ذات قدرة على البقاء، هي ما جعله ينظر إلى اللعب باعتباره وسيلة للوصول إلى معنى ما.

تخرّج من الجامعة اللبنانية عام 1975 بعد أن درس الرسم. ثم حصل على دبلوم في السيراميك من روما. وما بين عامي 1986 و2013 كان رئيسا لقسم الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية.

أقام أول معرض شخصي له عام 1977 في الرباط. بعد ذلك المعرض أقام أكثر من 30 معرضا شخصيا. وبعد أن ترك المهنة الأكاديمية حوّل جزءا من بيت العائلة في قرية يشوع إلى صالة خاصة به، صار يقيم فيها معارضه. محاولة نتج عنها مع الوقت البيت – المتحف.

> مفهوم «اللوحة – المنحوتة» توصل إليه الحكيم من خلال تجربته الشخصية التي وجد أنها تلتقي بالكثير من التجارب الفنية العالمية على مستوى المفهوم وبالأخص تجربتي الأميركيين جاسبر جونز وروبرت راوشنبرغ

من خلال ذلك البيت – المتحف استعاد الحكيم حياته الشخصية باعتباره فنانا متفرغا. كما أنه توصل إلى إقامة متحفه الشخصي من غير ضجيج إعلامي. فما يُحسب له أنه تربى متصالحا مع الطبيعة مسحورا بهباتها الكريمة ولم تكن عزلة الفنان لتشكل حاجزا بينه وبين الآخرين.

في إطار اللوحة – المنحوتة

يعود الحكيم دائما إلى نصيحة معلمه الفنان الرائد رشيد وهبي الذي اكتشف موهبته مبكرا وحثه على دراسة الفن أكاديميا. وهو ما فعله عام 1971 غير أنه حين وجد نفسه محاطا بتجربة لم يألفها هي تجربة اللون والخط لم يشعر بالإحباط بل حمله إصراره على النجاح إلى أن يوظف خبرته في الكتل والأشكال من أجل الوصول إلى نتائج مختلفة. كانت تلك النتائج هي محصلة الصراع بين الصلابة والرقة، العتمة والشفافية، الكتلة المدورة والسطح الأفقي.

تجربة من ذلك النوع وهبته القدرة على رؤية الأشكال والمساحات بطريقة ميزته عن أقرانه محمد الرواس، حسن جوني، عصام خيرالله وعماد أبوعجرم.

> الحكيم يقوده شغفه بالمواد الخشنة منذ طفولته إلى أن يرى صورته فنانا. لذلك فإنه لم يتخل عن تلك المواد حين صار فنانا، بل ومعلما للفن

باعتباره وسيطا جماليا بين الطبيعة والواقع. وهو ما جعله يندفع في اتجاه الإلهام البصري الذي يقيم على سطح اللوحة. كان الحكيم في أساس تربيته الفنية مخترع أشكال. وهي الصفة التي تتحكم بطريقة تفكيره في الفن. في وقت ما رأى ما لم يكن زملاؤه يتمكنون من رؤيته. لا لشيء إلا لأن عينه ذهبت إلى مكان آخر.

الحكيم هو ابن قريته غير أنه لم يكن فنانا ريفيا. وهو بالقوة نفسها ابن المدينة الذي رفض أن يكون رساما مدينيا مجردا من عاطفته.

ما فعله الحكيم إنما يلخص تجربته في التماهي مع سيرته الشخصية. وهي سيرة رجل ألهمته علاقته المبكرة بالمواد نوعا من الصلابة أهّلته لكي لا يستجيب للغوايات المؤقتة. إن ما يرسمه تجريديا يمكن النظر إليه باعتباره نوعا من الواقع.

"ذلك ما رأيته" ولن يقول "ذلك ما تخيلته"، ذلك لأن الحكيم لا يزال يملك القدرة على النظر بعيني الطفل الذي صنع خياله.

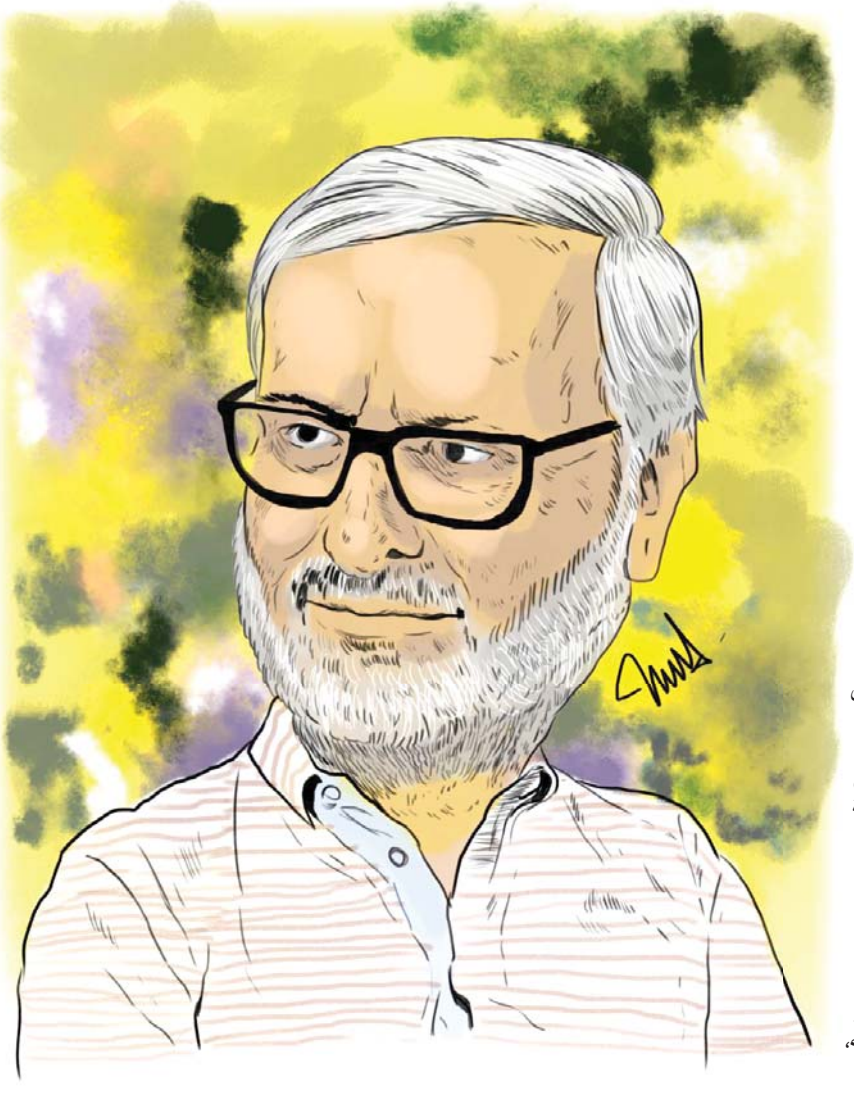

لن أستريح وأملّ حتى تنضب علب الألوان من مخزنها. ولن أستسلم للضجر ولن أتعب حتى القيامة. سأبتكر الاحتمالات حتى آخر الأنفاس"، ذلك ما كتبه في معرضه الذي حمل عنوان "سليل الضوء" والذي أقامه ببيروت عام 2015. ربما كان الحكيم من خلال قوله يشير إلى غزارته في الإنتاج غير أن تلك الجملة تشير إلى ثقته بالفن خلاصا.

في ذلك المعرض الذي يغلب عليه الطابع التجريدي يوائم الفنان بين الريف والمدينة. فلأنه ابن المكانين صار حاذقا في النظر إليهما من خلال تجربته الشخصية التي تستند إلى الخلاصات، أكثر من أن تعنى بالتفاصيل التي لا يمر بها الضوء.

الفنان الذي اخترق حياتي الريف والمدينة بالعمق نفسه كان يرغب من خلال الفن أن يطرح معادلته الشخصية التي لا علاقة لها بتجربة العيش المباشر، بقدر ما هي تعبير في النظر إلى الفن والتفكير فيه،

العرب الثقافي
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

تأملات في ثقافة السؤال

هل قدرنا أن نبقى مستهلكين لمنجزات الحضارة وليس في مقدورنا سوى كتابة المرثيات

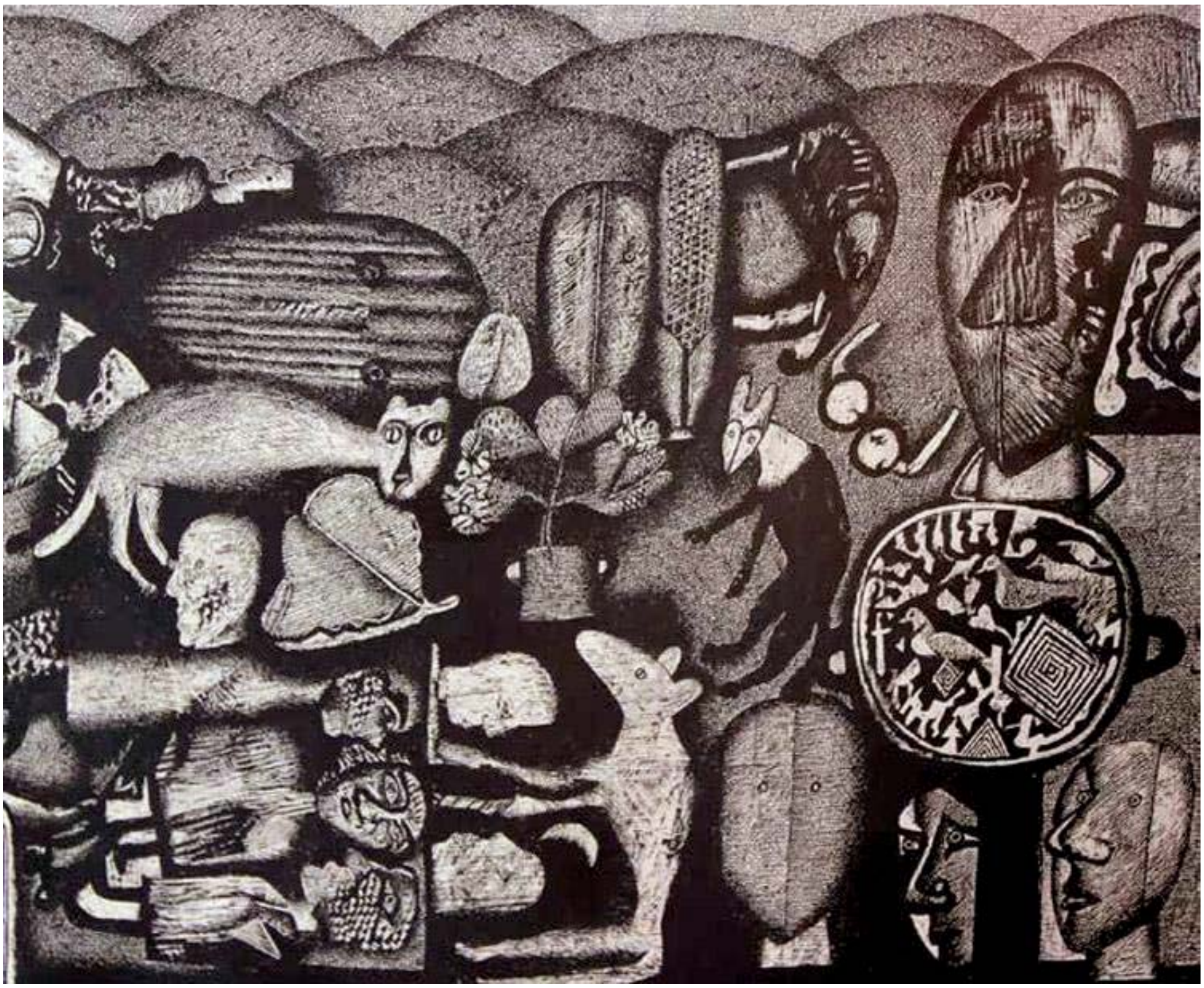

نوري الجراح
شاعر سوري

هل يمكن نعت الثقافة العربية بأنها ثقافة أجوبة ومسلّمات، أي ثقافة خضوع وخنوع واستسلام، لا ثقافة أسئلة تطرح نفسها على الفكر، ويصوغها العقل المنشغل بأحوال المجتمع ومشكلات العصر على نحو فاعل، ليجدد بطرحها الفكر وينتج من السؤال حواراً أكثر مما يبتغي أجوبة نهائية، أو يقبل بها؟

هل تجوز المجازفة بمثل هذا الحكم، وفي الإرث الثقافي الحديث، منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى اليوم، عشرات المفكرين والأدباء العرب الذين تصادموا بأفكارهم الجديدة مع البنى الثقافية السائدة، والأفكار القديمة البالية، وطرحوا على مجتمعاتهم طائفة كبيرة من الأسئلة المتعلقة بقضايا العصر وظواهره، وبالمشكلات المجتمعية المعاصرة لهم، من دون أن يكونوا أصحاب أجوبة جازمة تجد مرجعيتها في المسلّمات؟

قبل أن نقول نعم لهذا التصور، لأن الأمر هو حقاً على هذا النحو، أو أن نقول لا، لأن الأمر ليس أبداً على هذه الصورة، فلندفع بالسؤال إلى جهته المقصودة، متجاوزين أهل الفكر إلى أهل السلطة، ولنسأل:

هل حدث خلال الفترة الممتدة من نهايات القرن التاسع عشر وحتى اليوم، أن نشأت ظاهرة الحاكم الذي يجعل من السؤال أداة لإنتاج المعرفة بالمجتمع والسياسة، بالحكم والحاكم والمحكوم، آخذا في اعتباره أهمية السؤال في إنتاج معرفة بالعلاقة بين الأطراف الثلاثة للمعادلة؟

الجواب عن هذا السؤال لم يكن بالإيجاب في أيّ مرحلة من مراحل التاريخ العربي الحديث الذي لم تعرف مجتمعاته من النخب الحاكمة سوى تلك التي فرضت تصوّراتها على الناس فرضاً، وساستهم بمنطق الراعي الذي يسوس القطيع، وقد استمد شرعيته من منظومة أخلاقية متحدرة من إرث تسلطي ما برح يجدد نفسه، فترى لجماعة الرعية ما يصلح لهم، ولا تسمح لهم بأن يروا ما يريدون لأنفسهم. وليس في تاريخ الرعاة راع سأل القطيع ما يريد، ولا قطيع تطاول بأعناقه الخانعة وساعٍ الراعي، أو قال له: لا. ليس دائما خوفاً من العصى والكلب، وإنما استجابة طبيعية لغريزة الإذعان، المتوافقة والمنسجمة مع القدر الذي صاغ العلاقة، بل وحماية من الرعية المستسلمة للمنظومة التاريخية التي ما فتئت تجدد من عرى العلاقة بين السائس والمسوس، والتي دونها والعصيان أسباب وأسباب.

> **كيف حدث أن استسلمت الجماعة الإنسانية برمّتها إلى يقين الصيغ السائدة وأذعنت بصورة جماعية للمراسيم والتعاليم والأوامر المرسلة من قمة هرم السلطة إلى الأسفل، حيث لا إرادة فردية أو جماعية يمكن لها أن تطرح السؤال المتشكك في طبيعة ما يرسل إليها، ولا خيار آخر لها سوى الإذعان والقبول**

***

لربما كانت أسئلة الفكر في محطات معينة من التاريخ الثقافي العربي عرضة لمناوشين سبقت أجوبتهم الأسئلة، وصادرت حرية التأمل المجتمعي فيها، وذلك بفعل غلبة الأيديولوجيا على الفكر، وهيمنة السياسي على الثقافي والاجتماعي، وانسحار المجتمعات العربية الناشئة بشخصيات وطنية شعبوية، مالأت العواطف الجمعية الجياشة، وغلّبت اليقين على الشك الغريزة على العقل. لكن ذلك لم يمنع أبداً من ظهور نخب في الهوامش المجتمعية العربية انشغلت بالأسئلة أكثر مما قطعت بالأجوبة، وحاولت أن تفتّت صخرة السؤال بمطارق الفكر، وتنتج من حطام المسلّمات أسئلة جديدة ظلت دائما بلا أجوبة نهائية، لكونها صدرت أساسا عن وعي يرى في السؤال بابا للكشف، وفضاء لحرية الفكر.

وهكذا عرف الفكر العربي أسئلة غطّت جملة واسعة من القضايا والظواهر والمشكلات التي واجهت العرب، وأنتجت السؤال الأكبر: كيف يمكن لنا الخروج من كهوف الماضي واللحاق بالمدنية الحديثة، وقد تناسلت من هذا السؤال عشرات الأسئلة المتصلة به، وشكلت المادة التي ما برح الفكر العربي منشغلا بها إلى اليوم.

لكن المرء يتساءل اليوم، عن الأسباب التي حالت دون تطوير تلك الأسئلة حيث يمكنها توليد معرفة أعمق بالواقع، ورؤى خلاقة توسع من أفق التفكير المجتمعي العام؟ هل إن العلة كامنة في السؤال نفسه، أم في زمن طرح السؤال، أم في صيغ طرح السؤال، حيث تعذّر على النخب أن تحوّل الأسئلة الشاغلة إلى حاضنة حقيقية للوعي الجديد، وموئلا لإنتاج المعرفة الضرورية بحركة التطور، وفضاء حرّا لإرادة التغيير؟

ولماذا ظلت الأسئلة المتعلّقة بالتطور الاجتماعي محصورة بنخب قليلة من أهل الفكر، بينما بقيت جموع المتعلمين عبارة عن أميات مقنعة بالتحصيل العملي، وغارقة بالمسلّمات التي لا تحركها القضايا المنتجة للسؤال، ولا فكيف بها تنشغل بطرح الاسئلة؟

كيف حدث أن استسلمت الجماعة الإنسانية برمّتها إلى يقين الصيغ السائدة وأذعنت بصورة جماعية للمراسيم والتعاليم والأوامر المرسلة من قمة هرم السلطة إلى الأسفل، حيث لا إرادة فردية أو جماعية يمكن لها أن تطرح السؤال المتشكك في طبيعة ما يرسل إليها، ولا خيار آخر لها سوى الإذعان والقبول. فلا سائل ولا سؤال، ولا شبهة حتى في احتمال (لا)، فالـ(نعم) السعيدة هي الجواب المطمئن للمرسل والمستقبل. والغريب في الأمر أن لا تعاقد بين الجهتين، ولكن هناك تواطؤ من قبل المتلقي يلبّي استمرار الصيغة السائدة بين الحاكم والمحكوم، ودوام الحال. وبالعودة على مبتدأ الكلام، أتساءل: هل استنبطت النخب العربية، الهامشية منها والمتحركة صوب المركز، أسئلتها الشاغلة من حركة الاشياء في الواقع، وتفاعل الفكر مع القضايا والظواهر والصراعات المجتمعية المختلفة، وقراءاته للوقائع ومآلاتها، وبالتّالي كانت أسئلتها موجبة الطرح، وواجبة الانشغال بها من قبل مجتمعات الثقافة العربية، وفاعلة في حركة التفكير العام؟ أم أنها نزلت بها من علياء الفكر، ومتونه ومن النصوص الرائجة الصادرة عن تجارب الأمم الأخرى التي سبقت إلى الحداثة، فهي أسئلة لها مرجعياتها في حركة الواقع وحركة الفكر في مجتمعات قادتها تجاربها التاريخية، وحركة الأفكار إلى صوغ الرؤى والخلاصات، في أسئلة كبرى، وأعطتها الفرصة لتجيب عن أكثر تلك الأسئلة إجابات متعددة، أنتجت أسئلة جديدة، فتضافرت مجتمعة ومتعددة، متلاقية ومتعارضة لتشكل معاً منظومة الفكر الحديث وتياراته المختلفة.

***

بالنظر إلى حال الفكر في علاقته بالواقع، لا يبقى أمامنا سوى أن نتساءل بحرقة: هل قدرنا، في هذه البرهة من التاريخ، وقد بتنا في فوات حضاري مريع، أن نكون مستهلكين لأفكار سبقت، وأفكار لحقت، وليس في قدرنا أن ننتج الأسئلة القادرة على إبداع الأجوبة المفتوحة بدورها على شتى الأسئلة والتحديات المطروحة على البشر في الحضارة الحديثة، كيف لنا هذا، ما دمنا متخلفين علمياً وحضاريا (رغم كل ما يصدر عن نخبنا المتشوفة بتاريخها التليد والمتشدقة بالخطب والكلمات الكبيرة) ومنفعلين على الدوام بما تنتجه الأمم المنتجة.

> **هل قدرنا، في هذه البرهة من التاريخ، وقد بتنا في فوات حضاري مريع، أن نكون مستهلكين لأفكار سبقت، وأفكار لحقت، وليس في قدرنا أن ننتج الأسئلة القادرة على إبداع الأجوبة المفتوحة بدورها على شتى الأسئلة والتحديات المطروحة على البشر في الحضارة الحديثة، كيف لنا هذا، ما دمنا متخلفين علمياً وحضاريا**

هل قدرنا حقاً أن نبقى مستهلكين بامتياز لكل منجزات العلم والعمل في العالم، من دون أن يترك لنا هذا القدر التاريخي الأليم سوى كتابة المرثيات؟

أسئلة، أسئلة، في عهدة الصادقين مع أنفسهم والقادرين على طرح السؤال والإنصات إلى حركة الأشياء في العالم بعقل حالم، وموضوعية تتفوق على الهوى.

لوحة حسين جمعان

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

الرواية العربية فن من لا فن له والفيسبوك صوت الحمقى

الخير شوار: الحراك المجتمعي أعاد للجزائري صورته المسالمة

الخير شوار: المشهد الثقافي المغاربي موسوم بالقطائع

مع أنه يعد من أهم الأصوات الروائية في الجزائر إلا أن تواضعه وخجله يدفعانه بعيدا عن مركز الضوء، وهو كما يقول في هذا اللقاء "يشعر أنه دخيل على عالم الأدب والأدباء"، ومع ذلك كتب نصا روائيا جد متميز استثمر فيه الحكايا الشعبية والفولكلور وغيرها من التنوعات الثقافية التي يزخر بها عمق الجزائر.

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

في هذا الحوار ينقلنا الروائي الخير شوار إلى عالمه الأدبي، ويجيب عن أسئلة تتعلق بمساره في الكتابة، الرواية، المركزية الثقافية، والحراك المجتمعي، وغيرها من القضايا.

أن يكون بسيطا وصامتا حالما بهموم أخرى غير همّ الكتابة، ذلك ما كان يراود الروائي الخير شوار منذ الصغر، يقول "بداياتي الأدبية كانت متأخرة، عندما تجاوزت سن العشرين لم أكن أتصوّر نفسي كاتبا، درست الرياضيات وكنت أحلم بأن أكون مصمما معماريا على طريقة 'لوسيو كوستا' و'زهاء حديد' وغيرهما، لكن الحلم توقف عندما أصبت بوعكة صحية جرّتني إلى أزمة وجودية خطيرة، وجدت نفسي بعدها أمارس الرسم الكاريكاتيري، قبل أن أتحوّل إلى الكتابة الأدبية والصحافية في سن السادسة والعشرين".. فوجدت نفسي أكتب القصة القصيرة والرواية والمقال الأدبي، ولي تجربة في شعر 'الهايكو' أصدرتها قبل سنة، ورغم ذلك أجد نفسي لا أنتمي إلى الوسط الأدبي، وأحيانا أشعر بيني وبين نفسي أني 'دخيل' على عالم الأدب والأدباء".

الشهرة الوهمية

يقول الروائي الخير شوار مسترجعا مساره في كتابة القصة إلى ولوج عالم الرواية الصعب "أقصى ما كنت أحلم به حيث كان البلد غارقا في حرب دموية، سبقتها أزمة اقتصادية خانقة أتت على دور النشر العمومية تقريبا، وعلى المجلات والدوريات التي كانت موجودة قبل ذلك، هو أن أنشر نصوصي في الصفحات المتخصصة للصحف اليومية والمشاركة في بعض الملتقيات الأدبية المحلية التي كانت تقام هنا وهناك"، من هنا اتجهت إلى كتابة "نصوص قصيرة في القصة والشعر لسهولة نشرها في الصحف وقراءتها في الملتقيات. كان ذلك في زمن مضى".

> انفجر «الحراك في وقت عجزت فيه النخب الثقافية والسياسية عن تجديد نفسها، ومع مرور الأيام نكتشف أن جزائر جديدة ستولد بعد مخاض عسير

أما اليوم -يضيف- "فقد تحوّلت الرواية إلى 'فن من لا فن له'، الكل يكتبها أو يحلم بكتابتها، نجد العشرات من العناوين الجديدة في الرواية، أغلبها لشباب غير معروفين إطلاقا، كثير منهم ينشرون نصوصهم الأولى على حسابهم الخاص، طمعا في شهرة سحرية مفاجئة، وسرعان ما يتبدد الوهم، فلا يصمد أمام ذلك الكم المتراكم إلا بعض الأسماء القليلة جدا".

زمن الكتابة

أما عن روايته الأولى "حروف الضباب" فيقول إنها جاءت "قبل أوانها، كنت ساعتها أكتب القصة القصيرة بغزارة، وأنوي تأجيل مشروع الرواية إلى غاية نضج التجربة، وفجأة جاءت الفكرة التي ولدت قصة قصيرة ووجدت أحداثها وشخصياتها تتشعب في كل الاتجاهات. كانت تجربة غاية في القسوة، خاصة مع الظرف الاجتماعي الذي كنت أعانيه، كانت تحتاج إلى تفرغ لم أكن مهيئا له، إلى أن أنهيتها. والمفاجأة أنها كانت مختلفة عن السياق 'الحداثي' الذي كنت متجها إليه في القصة. لقد كشفت 'حروف الضباب' جانبي المتكئ على التاريخ والأسطورة، وكان يمكن أن تتطور إلى أجزاء أخرى أو إلى "ملحمة" مثلما صرخ في وجهي الراحل الطاهر وطار الذي قال إن العمل مجهض بذلك الشكل".

ويقول "اعتقد الجميع أن إصداراتي الروائية ستتوالى، كانت خيبتهم كبيرة عندما طال الأمر، إلى أن جاءت رواية 'ثقوب زرقاء' بعد سنين من ذلك، وكانت خيبة بعضهم أكبر عندما كانوا يبحثون عن أسلوب وروح 'حروف الضباب' في 'ثقوب زرقاء'، لكنها كانت مختلفة جذريا. بطل الرواية الثانية جاء فاقدا للذاكرة وأحداثها في مدينة كبيرة 'متوحشة' وهي الجزائر العاصمة، وبنيتها جاءت 'كابوسية' على حد تعبير الصديقة نوّارة لحرش، لكن ما يجمع العملين مثلما ذهب إليه البعض هو الغرائبية التي تجاوزت الأسطورة بمفهومها الكلاسيكي إلى البنية الداخلية".

متون الرواية

يبدو سؤال حضور المتن الروائي الجزائري شائكا ومركبا بحسب رأي الخير شوار في مشهد ما يكتب في العالم العربي، حيث أن "عبارة 'المتن الروائي الجزائري' تحيل إلى الرواية المكتوبة بالعربية فقط كما ينصرف إلى ذلك ذهن البعض أم أنها تشمل الرواية الجزائرية بمختلف اللغات التي كُتبت بها؟"..

فالرواية الجزائرية خاصة المكتوبة بالفرنسية -يقول- "ولدت ناضجة في خمسينات القرن العشرين على يد مالك حداد ومحمد ديب وكاتب ياسين وغيرهم، ولم تظهر الرواية بالعربية ناضجة إلا في سبعينات القرن نفسه على يدي الراحلين عبدالحميد بن هدوقة والطاهر وطار".. وأضاف "كان يمكن أن تستفيد الرواية العربية في الجزائر من تراث الكتاب المغاربة بالفرنسية وخصوصا الرواية الجزائرية، لتجد خصوصيتها، لكن الكتّاب المعربين منذ سبعينات القرن العشرين، في معظمهم راحوا يقتفون أثر الرواية المشرقية، وبعد كل تلك السنين، بدأت الرواية عندنا تقترب إلى حد ما من 'الروح الجزائرية' التي كتبها بها الرواد المفرنسون الذين لم نستفد من تجاربهم ولو فعلنا لربحنا نصف قرن من الزمن".

أدب العشرية السوداء

يقول الروائي الخير شوار، لم تظهر في بدايات العنف الدموي ضمن ما عرف بـ"العشرية الحمراء" أو "السوداء" كتابات قوية عن منجز تلك الحقبة؛ فقد غلب عليها "طابع الريبورتاج الصحافي الذي يتناول تلك المجازر والمآسي، وسرعان ما انفجر جدل حول 'أدبيتها'، وهنا ظهر مصطلح 'أدب الاستعجال' المستعار من تجربة الأدب الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية على غرار رواية 'صمت البحر' للكاتب جان برولي الذي نشرها باسم مستعار وهو 'فركور' عام 1942 إبان الاحتلال النازي لفرنسا"، وأدى هذا إلى انتشار معنى هذا "المصطلح في الجزائر، وأصبح يطلق على كل الكتابات الجديدة الخارجة عن السياق الرسمي، وأصبح كل من يتناول تلك التيمة المثيرة للجدل يوصف بـ'المستعجل'. ورغم المسافة التي تفصلنا الآن عن تلك الأحداث، ورغم بعض التجارب المهمة التي تناولت الموضوع إلا أنه لم يأخذ حقه من الدراسة والتناول الروائي، خصوصا من قبل الكتّاب الذين عاشوا تلك المرحلة، وقد برز جيل جديد لا يكاد يعرف شيئا عن تلك الأحداث".

بين مركزيتين

ينظر الروائي الخير شوار إلى مفهوم المركزية الثقافية على النحو التالي: "كثيرا ما يقحم الجزائري -والمغاربي عموما- نفسه في هامش لمركزيتين متجاذبتين، مركزية مشرقية ينجذب إليها 'المتمشرقون'، وأخرى غربية هي بمثابة بوصلة 'المستغربين'، وبين هاتين المركزيتين تضيع الجهود وتضيع الذات، ونغرق في معارك أيديولوجية لا علاقة لها بالأدب أو الفن".

ومع ذلك "انتبه المؤسسون الأوائل للرواية المغاربية المكتوبة بالفرنسية إلى الأمر، وكتبوا أدبا بلغة فرنسية لكن بكثير من العبارات والمصطلحات والروح المحلية، ولو ترجم ذلك التراث في حينه وقرئ باهتمام من قبل المعربين من أحادي اللغة، لاختصرنا الكثير من الوقت. وللأسف بعد تلك السنين لا نزال نطرح الأسئلة نفسها، وكأن قدرنا أن يبتلعنا 'الثقب الأسود' لهذه المركزية أو تلك".

فتنة وخيبة

كان الروائي الخير شوار من أوائل من أسسوا لأنفسهم حضورا افتراضيا على النت، وهي تجربة يقول عنها "أفادتني كثيرا، وقد كنت نشطا جدا في وقت سابق، لكن نشاطي تحوّل إلى غياب طويل، ولولا حاجتي إليه في عملي الصحافي، لأغلقته دون تردد"، وكنت "مفتونا بشبكات التواصل الاجتماعي منذ بدايتها الأولى، أسست عددا من المدونات، وحسابات في تويتر وإنستغرام و'ماي سبايس' وفيسبوك وغيرها كثير، لكن خيبتي كانت كبيرة، مثل خيبة أمبرتو إيكو، الذي صرح قبيل وفاته أن تلك الوسائل أصبحت فيها أصوات 'الحمقى' أعلى من أصوات العقلاء وأصحاب الفكر".

مشهد القطائع

لا يفاجئ المشهد الثقافي الجزائري الراهن الخير شوار، فبروزه كـ"ظاهرة ملفتة للانتباه، في شكل عبقرية، لا يعبّر عن تطور المشهد بقدر ما يعبّر عن الاستثناءات المكررة"، ويستطرد قائلا "المشهد الثقافي الجزائري -والمغاربي عموما- يتسم بالقطائع المتكررة، وهو ما عبّر عنه أحد الكتّاب المغاربة بأنه يفتقر إلى ثقافة 'السند' المعروفة بسلسلة الرواة، ولئن كان 'السند' يمتد في ثقافات أخرى في شكل تطور من جيل إلى آخر، إلا أنه يقطع عندنا بشكل مفاجئ، فلا نجد من 'يروي' حديث شيخه ويطوره، وإنما يلجأ كل مريد عندما يتمكن إلى قطع صلته تماما بشيخه في حالة 'فرويدية' متطرفة جدا"... وهو أمر ازداد "سوءا مع تعدد المركزيات المتجاذبة. وفي عصر الإنترنت هذا، اكتشفنا جيلا جديدا لا علاقة له تماما بالمشهد المعروف، وهو نفسه لا يعرف شيئا عن الكتّاب المعروفين في الجزائر، وهو يكتب أي شيء وينشر ما يشاء ويروج لنفسه عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، فلا عجب أن اكتشفنا مثلا أحد كتّاب الخواطر يطبع آلاف النسخ ويتحوّل إلى نجم في وقت لا يكاد فيه الكاتب الحقيقي يبيع شيئا".

صورة جديدة

أما عن رأيه كروائي في الحراك الشعبي الجزائري فيشدد على أن "أجمل ما فيه هو سلميته، ومساهمة كل أطياف المجتمع فيه. ومن أهم إنجازاته بعيدا عن السياسة، أنه أزال فكرة مسبقة عن الجزائري بأنه عنيف وعدواني، وأعطى صورة جديدة عن الجزائري الضاحك، في مشهد أدهش الجزائري نفسه قبل غيره"، وقد انفجر "الحراك في وقت عجزت فيه النخب الثقافية والسياسية عن تجديد نفسها، ومع مرور الأيام نكتشف أن جزائر جديدة ستولد بعد مخاض عسير. والعجيب أن هذا الحراك لم يكن للنخب السياسية والثقافية المعروفة دور في انفجاره، وعبثا حاول بعضهم تبنّيه وركوبه".

بطاقة أدبية

أصدر الكاتب الأعمال التالية: "زمن الماء" قصص/ "حروف الضباب" رواية، (ترجمت إلى اللغة الفرنسية)، "مات العشق بعده" قصص، "حكاية بني لسان"، قصة (ترجمت إلى الإنكليزية وصدرت في نيويورك)، "علامات" مقالات ثقافية، "الأوهام الشهية" مقالات ثقافية، "الجزائر EARTH" في أدب الرحلة، "عرائس العنكبوت" مقالات، "ثقوب زرقاء" رواية، "ملامح جزائرية" بورتريهات، "مغلق أو خارج نطاق التغطية" قصص، "إخوة النار" حوارات، "مثل صائد عصافير في منام" شعر هايكو.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

من دمشق إلى حيفا

يوميات أسري في سجون إسرائيل خلال حرب أكتوبر 1973

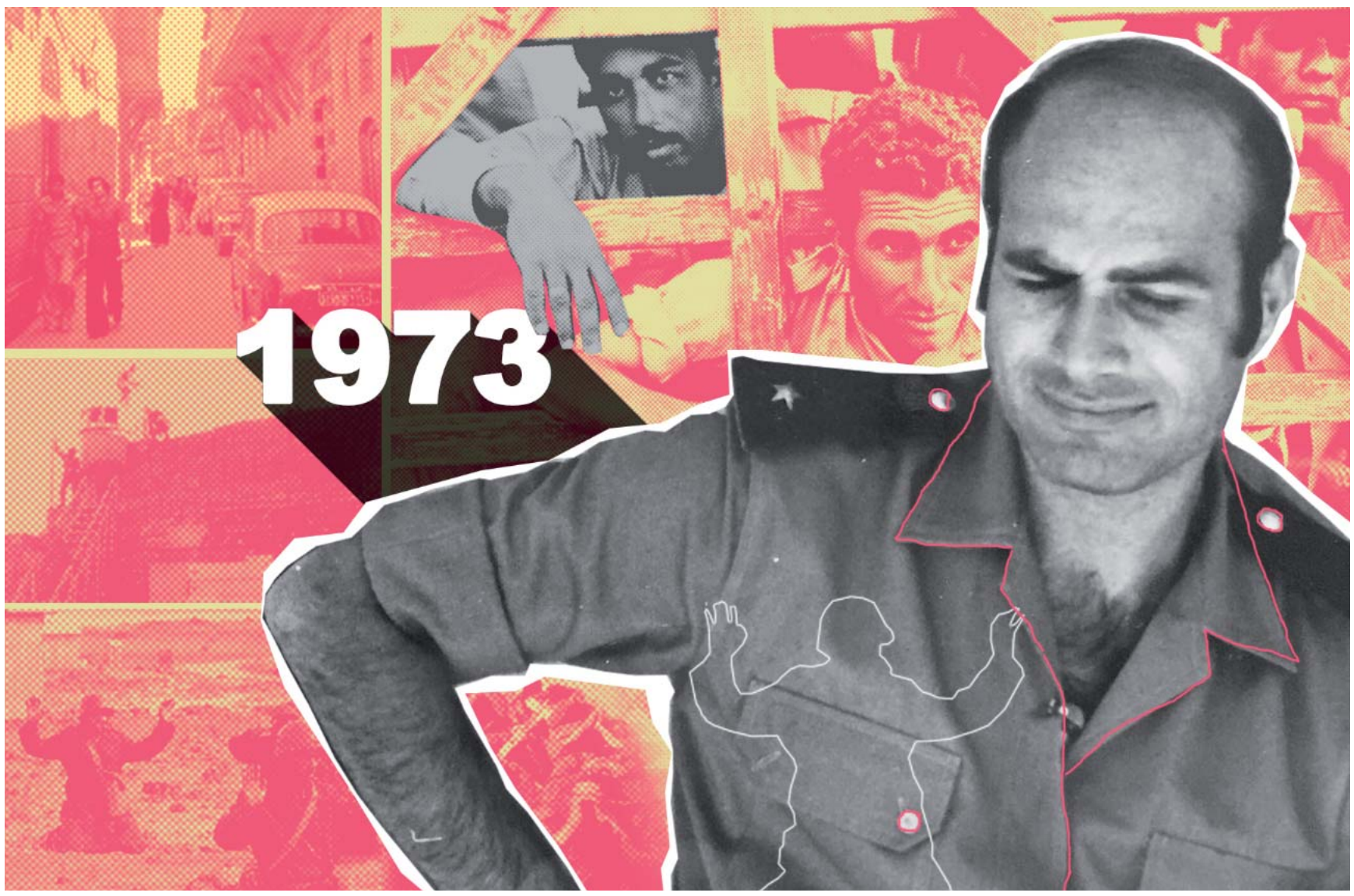

كم تمنّيتُ أن يكون هذا حُلماً سيّئاً، أو غفوة عن الواقع (غرافيكس «العرب»)

خيري الذهبي
روائي سوري

كانت الجبهة السّوريّة في الشمال قد سكنت، والانفجارات قد توقّفت، كان المهندسون الإسرائيليون قد أنهوا تمهيد الطريق المنطلق من خندق آلون عبر السهل حتّىٰ الطريق المؤدّي إلىٰ خان أرنبة، ثمّ إلىٰ طريق دمشق. كنتُ أراقبهم من مرقبي العالي غير المرئي منهم، أو هذا ما ظننت، حتّىٰ قال لي فيما بعد أسابيع المحقق مرّة: وماذا كان بإمكانكَ أن تُسبّب لجيشنا من أذى وأنتَ الأعزل المراقَب جيّداً من الجانب الآخر للسهل الأعزل، لا تملك إلا جهاز لاسلكي، كنّا قد قطعنا التواصل بينه وبين غرفة العمليات في دمشق، وكانت، جملته هذه هي الصفعة القاسية لما ظننتُهُ عوناً لجيشي في حربه ضدّ المستعمرين الأشكيناز، وكانت صدمة الإحساس بالسخافة والدونكيشوتية، كان لا بدّ منها للعودة بي إلىٰ الأرض حتّىٰ لو كان ثمن اصطدامي بالواقع المُرّ كسر ساقيّ أو صلبي.

كنتُ أتمزّق غيظاً من رؤية الشماتة في عيون زميليّ في المخفر، أو هذا ما تخيّلتُهُ مغموراً بالوحدة والخوف وتخلّي العالم عنّي، كان السؤال الملحّ عليّ في أكثر الأوقات: أهذه هي المكافأة علىٰ إقامتي في المخفر، أدافع بوجودي تحت راية الأمم المتّحدة عن الأرض السّوريّة؟

كانت علاقتي مع الأُمميّيْن قد اختُصرت حتّىٰ التّحيّة الصباحية أو المسائية، وحين كانا يجعلان من غرفة المراقبة التي كانت مزجّجة من جوانبها الأربعة مكان راحة مُكيّفاً بهواء الخريف المعتدل، يشربان البيرة، وهما يثرثران في استرخاء في أُمسيّات تشرين، أمّا أصوات التفجيرات التي تُسمَع في البعيد تقول إن الحرب ما تزال قائمة، وشعرتُ بالحرّ الشديد، ولستُ أدري أكانت بداية لَحمّىٰ داخلية؟ أم أنه الإحساس بالغيظ والخسارة؟

وفي إحدى المرّات، وكنتُ أعود إلىٰ بَرّاكتي، فاجأني النقيب الهولندي يحمل إليّ فنجان كافيه أوليه، ولكني اعتذرتُ شاكراً، واتّجهتُ إلىٰ البَرّاكة، أحاول الراحة حين خرج من الغرفة الزّجاجيّة قائلاً: لماذا يبدو عليكَ وكأنكَ غاضب من أمر فعلْناه، أنتَ لا ذنب لكَ، ونحن لا ذنب لنا. تعالَ نُثرثر قليلاً، وشدّني من ذراعي، فانسقتُ معه، فلقد سئمتُ الصمت المحيط بي وبالمخفر.

> **كانت فرحة رؤية الدَّبّابات السّوريّة تتقدّم لعبور معبر آلون الفخّ، وتتقدّم عند سفح تلّ الشيخة، أو عند تلّة الأرانب، هذه الفرحة كانت قد انقضت، وبدأت الإصابات في دبّابات الجانب السّوريّ**

جلستُ. ناولني النقيب فنجان النسكافيه الكبير، وكان ما يزال يُحرّك ملعقة فيه لاستكمال ذوبانه، ثمّ وضعَه أمامي علىٰ طاولة صغيرة، وعاد إلىٰ الجلوس، وما كدتُ أجرع الجرعة الأولىٰ حتّىٰ قال الهولندي: حاولْنا الكثير من أجل خروج سليم من هذا الفخّ. نظرتُ إليه في جمود، لا أفهم إلامَ يريد الوصول حين قال: عرضْنا علىٰ القيادة في جيروسالم إخراجكَ من المخفر في سيّارة الأمم المتّحدة، وحتّىٰ رأس الناقورة علىٰ الحدود اللّبنانيّة مع إسرائيل، ونظر إلىٰ الإيطالي، وكأنه يستنجد به، ثمّ تابع بعد صدمتي بالنظرة الجامدة للرائد الإيطالي: وبهذه الطريقة، تخرج من الفخّ تحت راية الأمم المتّحدة.

ولكنهم في جيروسالم تردّدوا في قبول الاقتراح، حين ردّ رئيس البعثة هناك: الإسرائيليون يعرفون بأن السّوريّ ما يزال في المخفر، وبوجوده في المخفر يبدو وكأنه في "عتليت"، وكانت صدمة الجهل في أني لا أعرف عتليت، ولا أعرف مدلول الاسم، واستمررتُ في صمتي، أجرع الكافيه أوليه، تابع الهولندي: ولن يسمحوا لكم بإخراجه في سيّارة الأمم المتّحدة، وتحت أنظارهم، ثمّ ماذا لو قبضوا عليه معكم، قبل تهريبه من إسرائيل رغماً عنهم؟ هل تريدون إدانة الأمم المتّحدة في سعيها إلىٰ التّدخّل غير السّلميّ في السياسات المحليّة؟

وأخيراً قال الهولندي بهمس المتآمر معي: ما رأيكَ لو خرجتَ في سيّارة الأمم المتّحدة، ودون إبلاغ السلطات الإسرائيلية، أي نائماً في المقعد الخلفي مُغطّىً ببضع ثياب مُلقاة في إهمال؟

ولا أدري إن كنتُ حسن الحظّ حين رفضتُ ذلكَ المعروف، وأصررتُ علىٰ انتظار الحلّ من الحكومة السّوريّة، أم سيّئ الحظّ كالعادة.

في اليوم التالي عدتُ إلىٰ الكراج المرتجَل في المخفر، لأجلسَ علىٰ كرسي الميكانيكي الملوّث بشحم السّيّارات، أتأمّل القرية التي كانت تضجّ بالحياة قبل أيّام فقط، وهي اليوم ميتة، لا تعرف متىٰ تبعث فيها الحياة! وعاد الضابطان الأُمميان إلىٰ السُّكْر، والنوم في الملجأ محتميَيْن بمقولة الإيطالي "هذه حرب ليست حربي، ولا أريد الموت المجّاني فيها"، وفي انتظار نجدة ما تأتيهم من دمشق، أو من تلّ أبيب، كانا يقضيان علىٰ زجاجات الخمرة بالترتيب غير العنصري، فالمشروبات كلها، بغضّ النظر عن مصنعها وصانعها، سواءً، ولم أكن علىٰ جرأتهما في الاستهانة بدماء البسطاء، فأقضي ساعات الحرب سكران.

كنتُ أشرب القهوة في مجلسي في الكراج، أتأمّل القرية، ولا أراها، فما كنتُ مُهتمّاً برؤيته لم أره، وما كنتُ أشتهي رؤيته من نصر يستحقّه جيلي، لم يسعدني الحظ بنواله. وفجأة، وقبل أن أنفض رأسي محاولا الرفض، أو التّأكّد ممّا أرى، رأيتُهُ أو بالتدقيق لم أره، بل رأيتُ غباراً يتحرّك علىٰ طريق المخفر القادم من القرية، غباراً يصعد إلىٰ الأعلىٰ، ويثيره شيء ما يمشي علىٰ الدرب التّرابيّ، خرجتُ من لامبالاتي ونعاسي، أحاول التّأكّد ممّا أرى، وفي عصفة ريح عابرة كشفتُ الغبار، فرأيتُهُ، كان كلباً ضخماً، كلباً؟ لا، بل كان أكبر من الكلب، بل هو أضخم من الكلب، ولم أستطع الجزم، فقد اندسّ في الغبار الذي أهاجه ثانية، وأخذت كتلة الغبار في التّقدّم نحو المخفر.

اهتممتُ لمرأى الكلب الضخم يتقدّم باتّجاه المخفر، وبحثتُ عن سلاح أدفعه به عنّي، ولكنْ، لا سلاح، فانحنيتُ إلىٰ الأرض، وحملتُ حجراً ضخماً كما كنّا نفعل صغاراً، وفجأة سقط الحجاب الغباري، وبدا الكلب، كان كلباً جميلاً قوياً، وكان يدلي لسانه نحو الخارج في ظمأ واضح، قرّرتُ سقايته، سكبتُ من برميل في الكراج ما يملأ سطلاً صغيراً، وحين سمع صوت الماء يكركر في السطل اهتمّ، وانتبه، حاولتُ تجاهله، حين التفتُ إليه، رأيتُ تكشيرته المرعبة عن أسنان صفر، فوضعتُ السطل علىٰ الأرض بعد خَضّ الماء فيه، ولكنه شخر بقوّة وهرّ، فارتَعبتُ، فلو قرّر عَضّي، فليس هناك مَنْ يدفع عنّي، وليس لَديّ في الكراج سلاح، أيّ سلاح بما فيها السّكّين.

قرّرتُ الانسحاب، فالمواجهة خطيرة، وشديدة الخطر، وما يدريكَ أن من الممكن أن يكون مسعوراً مكلوباً، وعضّته تعني الموت البطيء في هذه الصحراء الخضراء الخاوية من كل حياة، فالأحياء الوحيدون فيها سكارى كالأموات؟!

كنتُ قد قرأت مرّة أن التحديق في وجه الحيوانات المفترسة قد يؤدّي إلىٰ هجومها عليكَ، فالتحديق في العيون تحدّ علىٰ السيادة، ولم أنظر في وجه الكلب مباشرة، وإن تخيّلتُ حجمه وتقاسيمه، فخطر لي أنه ليس كلب رعاة، بل كلب من سلالة طيّبة مُقدّرة عند مربّي الكلاب، وبرز السؤال: ولكنْ، ما الذي جاء به إلىٰ هذه القرية التي رأيتُهُ يخرج منها؟

سمعتُ صوت لعق متعجّل، فالتفتُ لأكون في اتّجاهه، ورأيتُهُ يلعق الماء بسرعة العطشان من السطل، فكّرتُ بإطعامه، ولكنْ، ليس لديّ ما يصلح لأكله إلا علبة مارتيديلا، تُرى هل سيستطيبها؟ وبدأتُ زحف الأقدام خارج الكراج، ولكنه شعر بحركتي، فرفع رأسه عن السطل، وأطلق هريرا، سمعته شديد القوّة، ما دفع الرعشة إلىٰ عمودي الفقري، فتوقّفتُ مرعوباً، أنتظر خطوته التالية، ولكن ذلك الكلب لَمْلَمَ نفسه، وخرج إلىٰ البعيد، حيث اختار جذع شجرة صغيرة، واستلقىٰ تحتها وهو ينظر إليّ، حينها أحسستُ بأنه لن يغادر، وبأنه سيتحوّل إلىٰ عنصر أساسي من جماليات هذا المخفر البرّيّ.

تمطّيتُ سَئِماً من الأرق الطويل، وصوت الانفجارات تغطّي الأفق السّوريّ فقط، ولو بعيداً في الأرض السّوريّة التي لا أراها، رفضني السرير، فقمتُ، وأعدتُ التّمطّط، ثمّ خرجتُ من البَرّاكة، وتأمّلتُ قرية جباتا الخشب التي فرضوا علىٰ سكّانها الهجرة إلىٰ الداخل السّوريّ، والتّخلّي عن أشيائهم البسيطة وحيواناتهم وطيورهم شبه البرّيّة، وكأنها لم تسكن من قبل.

لاحظتُ أن الانفجارات قليلة باتّجاه قرية جباتا الخشب، فعدتُ إلىٰ البَرّاكة، أعدّ لنفسي فنجاناً كبيراً من القهوة بالحليب، وربّما استهلك تنظيف فناجين النسكافيه وكؤوسها وقتاً، لم أحسبه قبل وَضْع الماء البارد ليغلي علىٰ البوتو غاز، فحين خرجتُ من البَرّاكة أحمل فنجان القهوة بالحليب، كانت الشمس أو نورها المنكسر قد أضاء الحقول أمامي، فاتّجهتُ إلىٰ غرفة الكراج المحميّ جيّداً براية الأمم المتّحدة. جلستُ علىٰ الكرسي العتيق، وبدأتُ رشف قهوتي.

نظرتُ ثانية إلىٰ القرية المهجورة، حيث تتبدّى القرية، كانت الحمائم الكثيرة، والتي لم يستطع سكّان القرية اصطحابها، فتركوها لنصيبها، كانت تطير طيرانها الصّباحيّ علىٰ عادتها، وكانت أصداء الانفجارات قد توقّفتْ لسبب ما، فانتهزت الحمائم من بيض، وسود، وحمر، ومختلط الألوان، لتطير سعيدة بالسلام والهدوء، كانت تطير في مجموعات كبيرة، تُرى هل استعادت سلامها الخاصّ؟ ترى هل للحمائم سلام بعيداً عن تدخّل الإنسان، وتدريبها الذي يجعلها تُنهك الحمامة الضالّة عن مطارها، ثمّ تحطّ، فتحطّ الحمائم جميعاً، بما فيها الحمامة الضالّة، مطيعة لصاحبها الذي أطعمها وجوّعها للأنثىٰ، وأطلقها مُقيّدة بشهوتها لشيء واحد فقط، للأنثىٰ؟

فجأة انفجرت القذائف والقنابل والصواريخ دفعة واحدة، واستجاب الطرف الآخر، واندلع تبادل القتال من جديد، تُرى كيف يفكّر السّكّان الآمنون في سوريا الآن؟ كيف يتصرّف البسطاء الساعون إلىٰ جَلْب الخبز لأطفالهم الآن؟ الفول؟ الحمّص؟ فطور الصباح العادي؟

يبدو أن أُذُنيّ اعتادتا التفجيرات، واعتادتا تجنُّب الطّرَفيْن لمواقع الأمم المتّحدة، فلم تقربنا حتّىٰ اليوم قنبلة ضالّة، ولا رصاصة عيار خمس مئة طائشة، ولمفاجأتي كانت غيوم الحمائم تعلو مرعوبة من انفجارات لا عهد لها بها، كانت تعلو، وتعلو حتّىٰ تصبح لطخة ملوّنة في السماء الصّباحيّة، لا يمكن تمييزها، جرعتُ جرعة مطمئنّة في مخبئي في الكراج المؤقّت لسيارة قوّات الطوارئ، ثمّ تحوّلتُ بنظري إلىٰ الغيمة الملطخة باللون الأحمر المبكّر حين رأيتُ قطعة صغيرة تتسلّل من الغيمة، وتهوي باتّجاه الأرض، تهوي وتكبر، وتهوي وتكبر حتّىٰ استعادت حجمها الحمامي.

> **كانت علاقتي مع الأُمميَّين قد اختُصرت حتّى التّحيّة الصباحية أو المسائية، وحين كانا يجعلان من غرفة المراقبة التي كانت مزجَّجة من جوانبها الأربعة مكان راحة مُكيَّفاً بهواء الخريف المعتدل**

وتوقّفتُ عن جرع النيسكافيه مشدوداً إلىٰ مغامرة الحمامة المنفصلة عن الغيمة، وفجأة غابتْ عن ناظري، وقبل أن أقف لأتابع حركتها الغريبة، سمعتُ صوت ارتطام بالصفيح المغطي للكاراج، ولم أستطع فَهْم ما جرى حتّىٰ رأيتُ الحمامة تهبط ساقطة عن باب الكراج المفتوح علىٰ طريق جباتا الخشب، اقتربتُ من الحمامة الساقطة، أحاول تهييجها فتطير، ولكنها كانت ساكنة، فتجرّأتُ، ورفعتُها عن الأرض، ولكنها كانت دافئة دفء الموت القريب، وفزعتُ من لقاء الموت علىٰ هذا الشكل، ولكن استمرار الانفجارات والقذائف جعلني أنظر إلىٰ غيمة الحمائم في خوف، وإذ بي أرى الشهب تنفصل عن الغيمة، وتهوي، وارتعبتُ ممّا أرى، فدخلتُ إلىٰ الكراج أحتمي من شهب الحمائم التي لم تخيّب ظنّي، إذ علت فجأة أصوات ارتطام الحمام الميت رعباً وتعطّشاً إلىٰ الأرض، بالسقف الصّفيحيّ، ثمّ صوت ارتطامها بالأرض، بالبساتين البعيدة.

كان يوماً عادياً لا تميّزه إلا الانفجارات من العمق السّوريّ

نزهة لاكتشاف تاريخ الأثاث

تصميم الأثاث وكيف تحول إلى فن مستقل في القرن العشرين

صور من داخل المعرض

توصف العمارة أحيانا بأنها الجهد البشريّ الأشد قدرة على التحكم بسلوكنا كبشر، ولا نتحدث فقط عن الصروح الكبرى وجهود زحزحة التراب وتكوينه، بل عن تلك التفاصيل الصغيرة واليوميّة المتمثلة بالأثاث، الذي يظهر كجزء طبيعي من حياتنا، ويخفي وراءه رسائل ومتخيلات تحولت من فكرة في رأس "المصمم" إلى غرض ماديّ، نستطيع امتلاكه والتعامل معه، غرض ذو قيم جمالية ووظيفيّة قد تبدو خفيّة، لكنها تشكّل رؤيتنا لمساحتنا الخاصة، وخصوصا المنزل الذي لا يُسكن دون أثاث وكتل ماديّة نجلس أو نستلقي أو حتى نتأملها في كل غرفة، والتي تلعب ذات الوظيفة المنوطة بصرح ضخم، وهي رسم إدراكنا للمكان ودورنا فيه.

عمار المأمون
كاتب سوري

تستضيف "مدينة العمارة والتراث الوطني" في العاصمة الفرنسيّة باريس معرضا باسم "عمارة الأثاث من 1960 إلى 2020، والذي يأخذنا في رحلة ضمن فضاء يتداخل فيه التصميم الكنسيّ مع المعاصر لاكتشاف أكثر من 300 قطعة فنيّة لأكثر من 100 معماريّ اشتغلوا في التصميم الداخليّ، وأنتجوا قطع أثاث مختلفة تحمل كل منها لمسة جمالية وتختزن خصائص العصر السياسية والاقتصاديّة.

نتعرّف من خلال هذه الأعمال على الأسلوب الذي تطور فيه فن تصميم الأثاث على يد عدد من المعماريين الذين اشتهروا كمصمّمين داخليين، خصوصا خلال السنوات الستين السابقة، إذ نشاهد أعمالا من مرحلة ما بعد الحرب العالميّة الثانيّة وصولا إلى المتخيّلات المستقبلة عن الأثاث، بوصفه يحرك الحس بالاستقرار داخل المنزل المُهدد بالزوال إثر التغيّرات البيئية التي يشهدها العالم.

أثاث ما بعد الحرب

كان للدمار الذي خلّفته الحرب العالميّة الثانيّة في أوروبا أثر كبير على مفهوم العمارة، إذ أعاد الكثيرون النظر في مفهوم المنزل ووظيفته وأسلوب جعله صالحا "للاستقرار"، بصورة تضمن السرعة في الإنجاز، والقدرة على الانتقال السريع بالأثاث، وهذا ما لجأ إليه حسب المعرض العديد من المعماريين في فرنسا، الذين بسببهم ظهرت مهنة "المصمم الداخليّ"، ومن هذا المنطق، الذي يحاول خلق توازن بين "الخفيف" و"المريح" و"العصري" نرى مثلا الكنبة الشهيرة بريمو كولباتو، التي أنجزها المصمم والمعماري الفرنسيّ مارك هيلد عام 1967، والتي تحوّلت إلى جزء من الثقافة الشعبيّة، كونها في متناول الجميع، وخفيفة، وذات تصميم طريف، أقرب لعرش ملكيّ يمكن أن يمتلكه أي واحد منّا في منزله.

الأثاث والأيديولوجيا

هذه النظرة الفنيّة والنقديّة للأثاث نراها بصورة أوضح لدى المعماريين الذي تبنّوا تيارا مفاهيميا وموقفا من العالم انعكس في أعمالهم كحالة الراديكاليين الإيطاليين، الذين نشطوا بين الستينات والثمانينات من القرن الماضي، إذ ركّزوا على التصميمات الغريبة التي تتلاعب بالعلاقة بين الشكل والملمس، وتوظف عناصر وانحناءات مستمدة مع عناصر الطبيعة والجسد البشريّ في ذات الوقت غرائبيّة وتخاطب القطاعات الفنيّة والأدبيّة، لتتحول قطعة الأثاث إلى عمل فني ذي حكاية وتاريخ، إذ نشاهد الكنبة الشهيرة التي صممها أليساندرو ماندیني مستفيدا من كنبة تعود لعصر النهضة، أراد عبرها التحرر من قيود "الحداثة" والرصانة التقليدية نحو شكل أقلّ انضباطا، في ذات الوقت حاد الحواف، ما يهدد من يريد الجلوس، إذ يرى الفرد نفسه محاطاً بالموتيفات والزخارف المتكررة والألوان الفاقعة، فماندیني حسب تعبيره يعيد إنتاج أثاث الماضي ليجعله ذا علاقة مع الآن وهنا ليعكس روح العصر، وهذا ما نراه أيضا في تصميمه لـ"كرسي بروست"، الذي كل تفصيل فيه أشبه بمحاولة لاستعادة ذاكرة ما، كتلك التي كان يسعى إليها بروست في "البحث عن الزمن المفقود".

> نتعرّف من خلال هذه الأعمال على الأسلوب الذي تطور فيه فن تصميم الأثاث على يد عدد من المعماريين الذين اشتهروا كمصمّمين داخليين، خصوصا خلال السنوات الستين السابقة

نرى في المعرض تصميمات نادرة، لا يوجد منها الكثير، لا لأنها فقط غير وظيفية وتعتمد على البعد الجماليّ، بل لأن بعض المعماريين اكتفوا بعدد قليل من قطع الأثاث، كمجموعة كراسي إيزابيل سير التي أنتجتها في الثمانينات من القرن الماضي، بوصفها محاولة طليعيّة لدمج الأشكال الهندسية اللاتقليديّة مع الحديد، من أجل خلق كتل تمتد في الفضاء، كُتل تُشعّ بهالة جمالية، تراهنُ على الإتقان والاتزان لا على توظيف أقل مساحة.

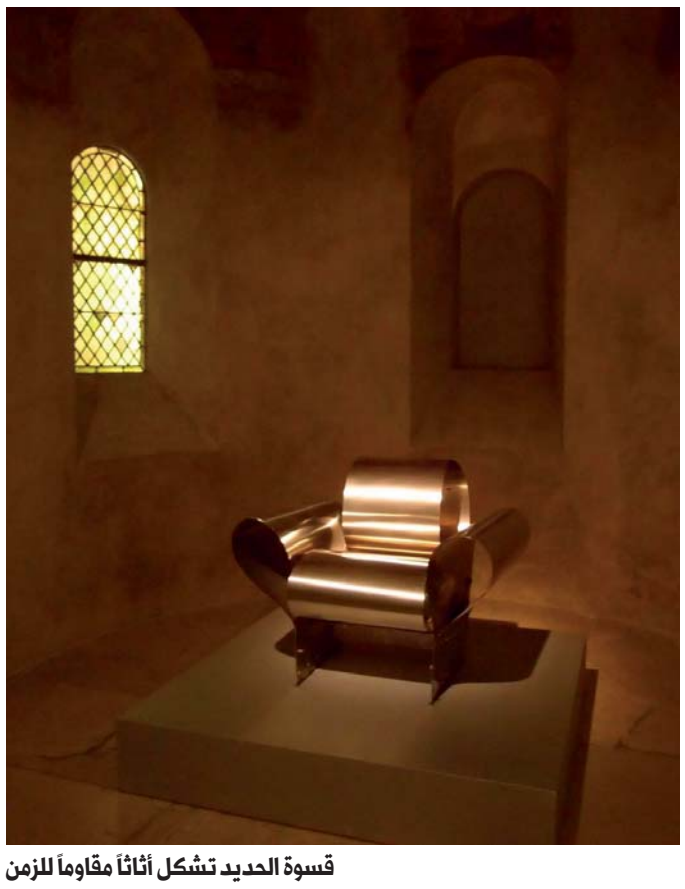

قسوة الحديد تشكل أثاثاً مقاوماً للزمن

تصميمات مستقبلية

ينقلنا المعرض إلى روّاد ما بعد الحداثة في التصميم الداخليّ، إذ نشاهد مجموعة كراسي من تصميم غريغ لين، الذي يدير مركزا للأبحاث الرقميّة، والذي تبدو مقاعد كراسيه أشبه بأمواج صوتيّة، كذلك نشاهد التصميمات الخلابة لزها حديد، وكنبتها الشهيرة "جبل الثلج"، التي تشابه في اسمها وملمسها جبل ثلج على وشك الذوبان، لكنها مصنوعة من الخشب والحديد والبلاستيك، لتبدو أقرب إلى ثلج يندفع للأعلى متحديا الجاذبية نفسها، وإلى جانبها الكرسي الشهير "la Tippy Lounge Chair" الذي صممته ليبدو وكأنه على وشك السقوط، موحيا للناظر بأنه لا يمكن تحريكه، ما يولّد شعورا بالحذر حين الاقتراب منه.

أثاث الماضيّ ملوناً

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

الانتحارية التي غيرت حياتي

الممثّلة والمخرجة العراقية اللبنانية زهراء غندور: لم أكن أفكر في التمثيل إلى أن التقيت سارة

أنا مخرجة أفلام أصلا واستغرقني التفكير سنتين حتى أتحول إلى ممثلة

عرفان رشيد
كاتب عراقي

فلورنسا - فاجأت الممثلة العراقيّة زهراء غندور جميع من شاهدوا أداءها الرائع في فيلم "الرحلة" للمخرج العراقي محمّد الدرّاجي، الذي أدّت فيه دور "سارة"، الشابة الانتحاريّة التي دخلت المحطّة العالميّة للقطارات في بغداد بهدف تفجير نفسها.

لم تكن المفاجأة تلك وليدة مجيء هذه الممثلة من وراء كاميرا الأفلام والبرامج الوثائقية، بل للكثافة الهائلة التي حقّقتها للشخصية التي أدّتها، والتي دخلت منذ الوهلة الأولى إلى ذهن المشاهدين ونالت إعجاب لجان التحكيم والنُّقّاد، بحيث صار أمر "جائزة أفضل ممثلة"، محسوما لها منذ اللحظة الأولى لعرض الفيلم، وحتى قبل انتهاء المهرجان أو التظاهرة السينمائية التي عُرض فيها فيلم "الرحلة". ومنذ اللحظة الأولى من حضورها على الشاشة قبل بضع سنين، سطع ضياء نجمة مُقتدرة ورفيعة الحضور، سيكون لها شأن هام في الأداء التمثيلي.

صاغ المخرج العراقي محمّد الدراجي فيلمه "الرحلة" على مقاس زهراء غندور، بعد أن اكتشفها عبر التقارير والوثائقيّات الصحافيّة التلفزيونية التي تُعدّها للقنوات التلفزيونيّة، وأدرك استحالة قيام "الرحلة" دون هذه المسافرة التي تحمل في ناظريها المئات من التلاوين والتنويعات من المأساة العراقيّة، والقادرة على إثارة المئات من الانفعالات لدى مشاهد الفيلم، وينبغي الاعتراف لمحمّد الدراجي قدرتيه الأساسيّتين: في بناء صورة مشهده الفيلمي؛ وفي اختياره لممثّليه، بالضبط كما فعل لدى اختياره في عام 2010 للثنائي بشير الماجد والسيّدة شازادا حسين، التي أدّتْ دور "دايكي إبراهيم – أم إبراهيم" في فيلم "إبن بابل".

وعلى الرغم من براعة زميلها في الفيلم، الممثل الشاب أمير الدراجي وخفّة حضوره في المشهد، فقد أدرك محمّد الدرّاجي، أن "لا فيلمَ دون زهراء غندور!"، وهكذا جاءت النجاحات التي حقّقتها زهراء وحقّقها الفيلم في العديد من المهرجانات.

فضول إنساني

تقول زهراء غندور، في اللقاء الذي أجريته معها في مدينة مالمو السويديّة، "لم تكن فكرة الوقوف أمام الكاميرا كممثلة قد خطرت ببالي إطلاقا، ولم أكن معنيّة، لا من قريب أو من بعيد، بفكرة الاشتراك في فيلم روائي، بدأت الفكرة بمفاجأة أو بصدفة، وكان الجواب الأول على طلب المخرج 'لا' حاسمة. لكن بعد السماع عن شخصيّة 'سارة' التي عُرضت عليّ، اكتشفت أنّها من القوّة التي جعلتني أتوقّف للتفكير بشأن الانتقالة الهامة في حياتي المهنيّة، بالذات لأنّني لم أمتلك حتى تلك اللحظة أي دافع لقبول عرض محمّد الدراجي، إلاّ أنّ 'سارة' –(الفتاة الأم الانتحاريّة) في الفيلم– حرّكت فيّ فضولا كبيرا، ما دفعني إلى السعي لاكتشافها".

بعد خوض تلك التجربة تكتشف زهراء غندور بأن التمثيل عبارة عن عالم أعمق بكثير ممّا كانت تتصوّره من قبل، وذلك لما يختزنه من صدق أصيل لا علاقة له بمفردة التمثيل، التي تعني في صلبها "التلفيق" الذي لا غنى عنه لتلبّس الشخصيات، وتقول "في التمثيل كمّ هائل من الصدق، إضافة إلى تمكينك من بذل جهود هائلة لبلوغ ناصية الشخصية"، التي ينبغي أنْ تُقنع المشاهدين، بصرف النظر عن انتماءاتهم وثقافاتهم وسني أعمارهم، لذا صار الأمر بالنسبة لي، شغفا وتحدّيا مع ذاتي لحرث وزراعة أرض كنت أجهل مقدار قساوة ترابها، ومقدار سخائها في منح الثمر الوفير، إذا ما حُرثت، وبُذرت وسُقيت، بشكل صحيح وصادق".

تمثل سارة

تكمن خاصيّة أداء زهراء غندور لشخصية سارة في أنّ ذلك الأداء ينطلق من أعماق الممثلة ويرتسم فِعْلا وإيماءات في ملامحها، وقد تحقّق لها هذا الأمر عبر اشتغالها على الشخصية والبحث في مكامنها ودواخلها، واشتغالها على الصراعات التي تضطرم في داخل تلك الفتاة المُتحرّكة في المساحة الضيّقة بين الغضب والموت خلال تلك الساعات التي تقضيها في "المحطّة العالميّة" للقطارات في بغداد، وهي تحمل في حضنها وليدها الصغير، وحول خصرها تحمل الحزام الناسف، أي أنّ سارة تحمل، في اللحظة ذاتها، الحياة والموت معا، وذلك بغلبة حاسمة للموت، الذي سيقضي ليس على الآخرين فحسب، بل عليها هي، وعلى الوليد الذي تحمله في حضنها؛ والمثير في الأمر أن البحث العميق الذي أجرته زهراء غندور على شخصيّة سارة قادها إلى اختزال هائل لكلّ ما هو زائد في تفاصيل الإيماءة والحركة، ذلك "الاختزال" الذي ذكّرني بالمخرج المسرحي العراقي الراحل عوني كرّومي الذي كان يبني شخصياته خالية من أيّ فائض في الحركة والإيماءة، وأقول ذلك من خلال معرفة مباشرة وعمل مشترك معه في عدّة مسرحيّات في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي.

سنتان من البحث

ولدى سؤالها عن الزمن الذي صرفته في بناء شخصيّة لإيصالها إلى ما وصلت إليه، تقول زهراء غندور "امتدّ العمل على تحضير شخصيّة سارة لوقت طويل، وبالذات من جانبي، عبر البحث سواء في العالم الخارجي، الذي يُحيط بها، وفي البحث في داخلي أيضا، أنا زهراء غندور. وقد أعانني ذلك على فهم عالمها، إلاّ أنّ هذا كلّه، رغم أهميّته، لم يكن من الجوهرية بمقدار ضرورة فهم تكوين شخصية سارة، للعثور على الخيطين الرفيعين: خيط الطيبة الإنسانيّة في داخلها، وخيط الشر الموازي لتلك الطيبة الإنسانية"، وتُضيف "لم أكن أرغب في أن تظهر سارة شخصية جامدة بشكل كبير، وسعيت إلى أن أُظهر في نظراتها خيطا من الإنسانيّة، التي تنزاح في حالات لتُخلي المجال للشرّ القادم"، وتصف زهراء غندور الاشتغال على شخصية سارة بـ"التحدّي الأكبر بالنسبة لي".

ولضرورة العامل الجسدي الذي اشتغلتْ عليه زهراء غندور في تشكيل شخصية سارة، فقد استدعى ذلك منها، كما يفعل كبار الممثلين المحترفين، عملية طويلة تطلّبت تدريبات قامت بها بنفسها، وتقول "غيّرت جسمي وطريقة حياتي، لما يربو على سنتين، لأتمكّن من الاقتراب من الشخصيّة، وقد أثّرّ كل ذلك عليّ، وعلى الطريقة التي أفكّر وأحسّ فيها، ومع مرور الوقت، صار جزء كبير منّي هو 'سارة'؛ ربّما كان ذلك في غاية الأهميّة للفيلم، إلاّ أنّه كان مُنهكا بالنسبة لي، كزهراء، التي هي إنسانة، قبل أن تكون ممثلة".

واستعانت زهراء في اشتغالها على الشخصية بخزين مشاهداتها وقراءاتها ورأيها بأداء الممثلين، وتقول "كمشاهدة، لم أحبّ أبدا الممثلين الذين يُفرطون في تحريك ملامحهم ووجوههم كثيرا، وأقول دائما إنّ بإمكان الممثلين الذين يُحركون وجوههم كثيرا، إيصال ما يريدون دون الحاجة إلى الإسفاف والإفراط في تلك الحركات". وتؤكّد زهراء غندور رأيها بأن شخصية سارة "كانت تحتاج إلى الاختزال شبه الكامل لحركات وإيماءات الوجه، وهذا ما أتعبني أكثر من غيره. كثير من الممثلين يُحجمون بعد فترة قصيرة عن الاشتغال في هذا الإطار، لكنّي واثقة بأن من يمتلك العزم في بلوغ ناصية الشخصية، فإنّه سيبلغها بالتأكيد".

وتأكيدا لما تقوله زهراء غندور، فإن هناك اختزالا كبيرا لإيماءات وحركات سارة بشكل عام، فهناك ثبات في النظرة، وثمةَ شبه ميكانيكيّة، مقصودة بالطبع، في الحركة، وما الحركة بمجملها إلاّ فعلا يسعى إلى بلوغ هدف مُحدّد، وأن تبلغ ذلك الهدف في اللحظة التي قرّرت هي تحقّقه".

مَدِينةٌ لوالدتي

لم تكن زهراء غندور ممثّلة محترفة ولم تدرس هذا الفن، لكنّ من يستمع إليها وهي تتحدث عن الأداء التمثيلي يُستثار فضولا لمقدار ما تمتلكه من معرفة لفن التمثيل ولفضاءاته، فمن أين أتَتْها هذه المعرفة الدقيقة بتفاصيل التمثيل، لاسيّما وأنّها لم تعمل في الماضي إلاّ في إطار الوثائقي؟

"أعتقد بأنّ المشاهدة هي عامل أساسي لأي شخص يحاول اكتشاف عمل الممثلين"، تقول زهراء غندور "وأنا غادرت عالم الكارتون وابتدأت بمشاهدة الأفلام الروائية في عمر تسع سنوات، وأتذكّر جيّدا أين كنّا نسكن في بغداد وكل ما شاهدت من أفلام روائية، وأعتقد بأن والدتي، واهتمامها الهائل بمشاهدة الأفلام الروائية، كانت حافزا هامّا. أتذكّر أنّها كانت تُصنّف الممثلين عبر أدائهم وتمنحهم درجات، من الدرجة الأولى، وصولا إلى الدرجة العاشرة، وهي الدرجة التي كانت تعني بأن الفيلم سيء بدرجة كبيرة ولا ينبغي لنا أن نُشاهده؛ وكما ترى كان لديها تقدير واعتبار عاليّين لعمل الممثل وأدائه في الفيلم".

كانت والدة زهراء غندور تستحث أبناءها على مشاهدة حتى الأفلام غير المروّج لها وغير المشهورة، فقط لأنّ أداء الممثل فيه كان مُميّزا، وبذلك تحولّت بالنسبة لزهراء، دون تخطيط مسبّق أو مستقبلي، إلى ما يُشبه الـ"كوتش – معلّم الأداء التمثيلي"، وتقول "هذه كانت تجربتي الأولى مع الممثلين، عبر المشاهدة المنتقاة والمرشّحة من والدتي، بعدها جاءت مرحلة البحث، ولكوني أشتغل في مجال الوثائقيات، فأنا أحب البحث، فتحوّلت شخصية سارة بالنسبة لي إلى مشروع بحث هائل، وهو ما دفعني إلى الاطلاع على تجارب أخرى وإلى مشاهدة العشرات من الأشرطة التي يتحدّث فيها الممثلون الكبار عن تجاربهم، أفدت من جميعها، لكنّي، ككلّ الآخرين، حاولت نحت طريقتي الخاصة. وقد قادتني عملية البحث في التجارب التمثيليّة إلى اكتشاف طريقة قسطنطين ستانسلافسكي حول كيفية وطرائق مُعايشة الحالة التي تجتازها وتعيشها الشخصيّة، أهداني صديق لبناني كتابه "إعداد الممثل"، وأعتبرهُ من بين أثمن الهدايا التي حصلت عليها حتى الآن. هذا الصديق يُعلّم التمثيل، لكنّي لم أكن طالبة لديه، فقال لي "اقرئي هذا الكتاب وستتعلّمين منه الكثير!"، وكان على حق مئة في المئة.

بإمكان الممثلين الذين يُحركون وجوههم كثيرا، إيصال ما يريدون دون الحاجة إلى الإسفاف والإفراط في تلك الحركات

وتؤكّد زهراء غندور بأنّها لم تقتصر على حبّ شخصية سارة، بل أيضا بالوثوق بها للترحال برفقتها، وهو ما جعلها تثق بالعمل أكثر فأكثر، وتقول "تجسّدت هذه الثقة في الإصرار على إنجاز بحثي الخاص عن سارة والذي طال كثيرا، ومرّة قلتُ للمخرج بأنّ "الناس سيرون وجهي على الشاشة وسيتذكّرون هذا الوجه، وأنا أخذت الأمر بجدّية عالية ولا أرغب في أن يُشكّك أحد بمقدار الجدّية التي أتعامل بها مع هذه الشخصية".

تنشر الصفحات 10 و12 بالاتفاق مع مجلة «الجديد» اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

انفعالات عميقة في مشهد من فيلم «الرحلة»

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

كوينتن تارانتينو: المتهم بالسطحية والسرقة والادعاء

المزاوجة بين الأدب والسينما في فيلم «جاكي براون»

تارانتينو.. المثير للجدال دائما

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

لم يسلم المخرج الأميركي الشهير كوينتن تارانتينو من الاتهامات الشديدة المستمرة منذ سنوات. فهو متهم تارة بمعاداة المرأة والتقليل من شأنها في أفلامه، وتعمد إغفال دورها أو تهميشه وتسطيحه. وقد اتهمته إحدى الصحافيات في المناقشة التي أعقبت عرض فيلمه الأحدث "ذات مرة في هوليوود" في مهرجان كان (مايو الماضي) بأنه جعل مارغوت روبي التي قامت بدور شارون تيت، صامتة في معظم المشاهد التي ظهرت فيها!

وتارة أخرى يتم اتهامه بسرقة مشاهد من أفلام غيره، أو بالإفراط في الاستعراضي الشكلي في التعامل مع أدوات السينما (حركة الكاميرا والمونتاج) للإيحاء بالتجديد، كما يتهمه كثيرون بالإفراط الشديد في تصوير العنف بغرض الإثارة، وبأنه مولع باستعراض عضلاته كأي مراهق يمسك بالكاميرا.

لويس ماكيفوي على سبيل المثال، يقول إن تارانتينو ليس مخرجا عظيما، بل مجرد صانع أفلام للتسلية، يسرق الكثير من المشاهد من أفلام غيره، يزعم أنه ضمها إلى أفلامه على سبيل "التحية" لهؤلاء المخرجين، ويرى أن شخصيات أفلامه فارغة، تدعي الحكمة، وأنه "مدمن مشاهدة أفلام قديمة، متخصص في تقديم ما يتوقعه الآخرون، أي خليط من التسلية وليس فنا".

ويستنكر الكاتب لي سيغال أن يكون هناك من لا يزالون بعد فيلم "أوغاد مجهولون"، ينظرون إلى تارانتينو بجدية، مضيفا أن الهدف الوحيد من أفلامه هو التعليق على أفلام أخرى لترسيخ مبدأ المحاكاة باعتباره نوعا من "الأصالة الخاصة".

أما ديفيد فرنش فقال موجها حديثه إلى تارانتينو "أفلامك رديئة، ليس لأي سبب، ولكن لأنها ببساطة رديئة. ولكن لا تقل للصحافة السينمائية، فمن النادر أن يرى المرء مثل هذا الاحتفاء الكبير بمخرج يصنع هذه القمامة"!

ومن الطريف أن معظم من يهاجمون تارانتينو ويرفضون أفلامه، يتفقون على براعته في إخراج فيلم "جاكي براون" (1997) ويعتبرونه أفضل أفلامه على الإطلاق، غير أن المفارقة أن هذا الفيلم تحديدا يمكن اعتباره أقوى رد عملي على الكثير من هذه الاتهامات وأولها موضوع تهميش المرأة واحتقارها.

صحيح أنه الفيلم الوحيد من أفلام تارانتينو (9 أفلام روائية طويلة حتى الآن) الذي يستند إلى أصل أدبي، فهو يقوم على رواية ذائعة الصيت للكاتب الأميركي إلمور ليونارد بعنوان Rum Punch (اسم مشروب مكون من عصير الفواكه والروم)، صدرت عام 1992 وأصبحت من أكثر الروايات توزيعا. إلا أن تارانتينو لم يلتزم بالرواية تماما، بل شأنه شأن كل فنان حقيقي، ترك لخياله العنان، وكتب السيناريو بحيث نقلها إلى مستوى آخر يتعلق بالجذر واللون، مع إضفاء نكهة خاصة ممتعة على الحوار، والاستلهام من نوع من الأفلام التي تعيش في ذاكرة تارانتينو. هذا النوع عرف باسم أفلام "الاستغلال الأسود" blaxploitation أي مجموعة الأفلام التي ظهرت في أوائل السبعينات من إخراج وتمثيل عدد من الفنانين السود، وكانت تعلي كثيرا من شأن البطل الفردي الأسود العنيف في رد مباشر على سينما البطل الأبيض، وجميع أبطالها ومخرجيها من الأميركيين السود. ومن أشهر هذه الأفلام "شافت" 1971 (Shaft) الذي أخرجه غوردون باركس ثم أعادت هوليوود إنتاجه مؤخرا في فيلم جديد من إخراج تيم ستوري وبطولة صامويل جاكسون.

أفلام "الاستغلال الأسود" تسمية غير دقيقة كونها لم تستغل أحدا، والأفضل تسميتها بـ"أفلام الموجة السوداء"، نالها هجوم من جانب الكثير من النقاد والكتاب والمثقفين السود الذين رأوا أنها تدمغ السود بالعنف والجريمة وتساهم بالتالي في ترسيخ صورة سلبية عنهم لدى البيض الأميركيين. وهي فرضية صحيحة خاصة إذا تأملنا سلسلة الأفلام التي قام ببطولتها الممثل جيم براون.

أما صامويل جاكسون فهو حاضر كشخصية رئيسية في فيلم "جاكي براون"، بعد أن قام تارانتينو بتحويل شخصية "أورديل" التي يقوم بها، من تاجر سلاح ومجرم أبيض إلى رجل أسود لا يكف عن استخدام كلمة "زنجي" neger طوال الوقت لتحقير الجميع بما في ذلك البيض. وجعل تارانتينو الشخصية الرئيسية التي يحمل الفيلم اسمها، امرأة سوداء (بدلا من بيضاء في الرواية) وأسند دورها إلى نجمة أفلام "الموجة السوداء" في السبعينات، باميلا غرير التي تقوم بدور "جاكي براون" وهي مضيفة طيران في الرابعة والأربعين من عمرها، أمضت 19 عاما في العمل لحساب شركة طيران مكسيكية صغيرة. لا يكفيها راتبها البالغ 16 ألف دولار سنويا، لذلك تقبل العمل لحساب "أورديل"، تنقل له دفعات من أمواله المودعة في حساب خارجي في المكسيك.

لا تقدم "جاكي" في الفيلم ما ينتظره الجمهور من بطلة أفلام الموجة السوداء، أي العنف والقتل وسفك الدماء والقفز فوق الأسوار والمطاردة بالسيارات.. إلخ، بل هي شخصية هادئة تماما، تتمتع بالحكمة والذكاء، تدبر خطة عبقرية تجعلها تتلاعب بجميع شخصيات الرجال على الجانبين، وتنتصر عليهم جميعا، وتفوز في النهاية بالغنيمة!

التلاعب بالرجال

هذا فيلم "فيمنست" مثالي، ربما لم تكن لتخرجه امرأة على كل هذا النحو من القوة والتماسك وتصوير قدرة امرأة على التلاعب بالرجال بذكائها وليس بجسدها. وهو يختلف دون شك، عن فيلمي تارانتينو السابقين اللذين منحاه شهرته الكبيرة: "خيال رخيص" Pulp Fiction و"كلاب المستودع" Reservoir Dogs.

يستوحي تارانتينو من خياله السينمائي، يعود إلى أغاني السبعينات الشهيرة يجعلها الخلفية الموسيقية لفيلمه. ورغم أن لدينا في هذا الفيلم مجرما، وشرطة، وجرائم قتل، وتهريبا، إلا أن الفيلم لا يعتمد على "الحبكة" وتطورها وما تثيره فينا. فهو ليس فيلم حبكة بل فيلم شخصيات ومواقف، فيها من الخشونة والقوة بقدر ما فيها من طرافة. ورغم أن زمن الفيلم يمتد لأكثر من ساعتين ونصف الساعة إلا أنه يشدك تماما. ورغم بروز أداء صامويل جاكسون وقوة شخصيته في دوره كمجرم يمارس القتل بدم بارد تماما، إلا أنه يتمتع أيضا بالطرافة وخفة الظل والجاذبية، أما الجاذبية الأكبر فتتركز في شخصية باميلا غرير التي تأسرك بتلونها من مشهد إلى آخر، من الضعف والتردد والفزع، إلى القوة والسيطرة والتحكم، ومن التظاهر بالخوف والتلعثم أمام الشرطة، إلى الجرأة والاقتحام والتهديد المبطن، ثم الثقة التي لا تفتقد الرومانسية أيضا وتخفي مسحة من الحزن.

هناك 8 شخصيات رئيسية في الفيلم، يمنحها تارانتينو اهتمام سلاسة وبحيث تتضح لنا ملامحها أكثر فأكثر مع كل مشهد. أولها "أورديل" (صامويل جاكسون) الذي يبيع الأسلحة للمجرمين، وهو يتطلع الآن إلى نقل نصف مليون دولار مودعة في المكسيك لكي يكمل المليون ويتقاعد تقاعدا مريحا في جزر الباهاما. تعمل المضيفة الجوية "جاكي" (بام غرير) لحسابه في تهريب المال له من المكسيك. لكنها تقع في قبضة ضابط الشرطة "مارك" (مايكل بوين) وضابط مكافحة التهريب في المطار "راي" (مايكل كيتون). تقيم مع أورديل فتاة شقراء مدمنة كوكايين ومشاهدة مسلسلات هي "ميلاني" (بريجيت فوندا)، هي ليست عشيقته لكنها إحدى الفتيات اللاتي يستخدمهن. ينضم إليه مساعده "لويس" (روبرت دي نيرو) بعد أيام خروجه من السجن. يرتكب "بومونت" (كريس تاكر) أحد رجال أورديل جريمة حمل سلاح بينما هو في فترة العفو المشروط. يلجأ أورديل إلى "ماكس" (روبرت فورستر) المتخصص في دفع الكفالات لكي يدفع 10 آلاف دولار كفالة ويخرج بومونت من مأزقه.

طرافة الحوار

هذه هي الشخصيات الثماني، والخيوط الرئيسية التي تربط بينها. نحن نعرف من البداية أن أورديل يفرج عن "بومونت" لكي يقتله بعد أن تأكد من وشايته به للشرطة. إنه يذهب إليه في مسكنه في منتصف الليل ويطلب منه أن يقدم له خدمة مقابل دفعه الكفالة. ومن خلال حوار غاية في الطرافة، يغري أورديل "بومونت" بأن يأتي معه في إحدى عملياته. بومونت متردد، يخشى العواقب، يضغط عليه أورديل، ويذكره بالكفالة، يمنحه سلاحا آليا ويطلب منه أن يختبئ في الصندوق الخلفي لسيارته.. يرفض بومونت بشدة. يغريه أورديل بأنهما بعد القيام بالعملية سيذهبان معا لتناول حساء الدجاج والحلوى التي يحبها بومونت. يتأوه بومونت بعد أن سال لعابه لهذه الوجبة. يختبئ في مؤخرة السيارة التي يقودها أورديل ثم يتوقف في مكان خال، ويخرج لكي يطلق الرصاص على بومونت فهذا هو هدفه الأول من "اصطياده". لا تملك سوى أن تضحك وأنت تشاهد مشهدا كهذا.

بعد القبض على جاكي يلجأ أورديل إلى "ماكس" مجددا لإطلاق سراحها بكفالة. يعرض ماكس توصيلها إلى منزلها. يبدو أنه وقع في غرامها من أول نظرة. لقد أسرته شخصيتها وجاذبيتها. لكنها ليست امرأة سهلة. وهي تدرك أن أورديل سيسعى لقتلها متصورا أنها وشت به للشرطة. وهو لا يضيع الوقت بالفعل، فيأتي إلى منزلها في نفس الليلة. لكنها تكون قد استعدت للموقف. لقد سرقت مسدس ماكس وهي الآن تغرزه في بطن أورديل. هي لن تقتله لكنها بدلا من ذلك ستقنعه بأنها يمكن أن تخدع رجال الشرطة الذين يطلبون تعاونها معهم للايقاع به، وأنها ستتمكن من تضليلهم وتهريب مبلغ نصف مليون دولار في المرة القادمة وتسرد له الخطة التي تبدو شديدة الإقناع. في مشهد من أكثر المشاهد طرافة يأتي ماكس في الصباح إلى جاكي، لكي يستعيد المسدس الذي تقول جاكي إنها "اقترضته" منه. لكنه مشدود إليها.

ستدخل في الخطة أطراف أخرى، منها ماكس ولويس وميلاني. ماكس سيساعدها في تنفيذ خطة لخداع كل من أورديل والشرطة بعد أن أقنعت كل طرف بأنها تعمل لحسابه.

في أحد المشاهد التي تجمع جاكي وماكس. تسأله فجأة: ألا تشعر بتأثير الزمن؟ يقول إنه يلحظه لكنه لا يهتم كثيرا بالأمر. تقول إنها تشعر بالخوف من التقدم في العمر. لقد قضت 19 عاما من حياتها تدور في هذه الحلقة المفرغة. الشعور بالوحدة، وتعاقب الزمن، يثقلان عليها إنها تحتاج إلى الشعور بالحب والتمتع بما بقي من العمر. ماكس وجاكي يشعران بالوحدة. ولكن تارانتينو لم يشأ أن يجعل فيلمه ينتهي نهاية تقليدية سعيدة من تلك التي يتوقعها الجمهور.

أمامنا شخصيات وحيدة حزينة يائسة. أورديل يريد المال لكي يتقاعد ويعيش حياة مريحة. وميلاني تبحث عن الأمان الذي حرمت منه منذ طفولتها. ولويس الأحمق يعتبر أورديل الملجأ الذي يأويه بعد خروجه من السجن الذي قضى فيه 4 سنوات، لكنه يتورط بحماقته ويدفع الثمن. والشرطي "راي" يراهن على أنه يمثل المؤسسة الرسمية التي يخشاها الجميع. إنه أيضا فيلم عن "الثقة": ثقة كل منهم في نفسه وفي قوته وفي الآخر، أورديل يثق في جاكي وكذلك راي وماكس، لكنها تخدع المجرم والشرطي لكنها لا تخون أبدا الشخصية الوحيدة التي تتمتع بالوضوح والاستقامة والصدق، أي "ماكس". لقد كانت صادقة معه من البداية.

في الفيلم مباراة ممتعة في السرد والأداء.. يستغرق المشهد الرئيسي قرب النهاية، مشهد الخداع والتضليل نحو 20 دقيقة، ويدور داخل "مول" تجاري، من ثلاث وجهات نظر. في كل مرة نشاهد المزيد من التفاصيل التي كانت خافية علينا. ويعكس المشهد براعة تارانتينو في التلاعب بالسرد كما سيفعل دائما في أفلامه. ليس كوسيلة مراهقة للإبهار أو مجرد الابتكار في تصوير القصة، بل أساسا للكشف عما تخفيه الشخصيات.

"جاكي براون" عمل أصيل رغم اعتماده على أصل أدبي. فقد صبغ تارانتينو السيناريو بأسلوبه، وجعل الشخصيات تعيش وتتنفس واقعها. والمساحات المتروكة في ما بينها، تسمح لنا بالتأمل وألا نفكر في ما سيحدث لها، بل في كيف ستجعل هي الحدث يحدث، فكلها على نحو أو آخر، شخصيات فاعلة، لكن معظمها خاسرة. المرأة فقط هي التي تربح اللعبة، وتارانتينو طبعا!

> من الطريف أن معظم من يهاجمون تارانتينو ويرفضون أفلامه، يتفقون على براعته في اخراج فيلم «جاكي براون» (1997) ويعتبرونه أفضل أفلامه على الإطلاق

تارانتينو أعاد اكتشاف بطلة «الموجة السوداء»

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

تكدس يرهق المعالم

ضرائب ورسومات سياحية تنظم تدفق عشاق السفر والاستجمام

السياحة تعود متعة للأثرياء وحدهم

يشهد العالم انتعاشا سياحيا مع تحسن مستوى دخل الفرد وانتشار الإنترنت الذي ساهم في التعريف بالمواقع السياحية الشهيرة وتسهيل خدمات قطع تذاكر الطيران وحجز الفنادق، لكن هذا الانتعاش الذي تحول إلى ازدحام أصبح يشكل مصدر قلق للسياح والسكان المحليين ربما يتوقف مع فرض الرسومات والضرائب على السياح.

لندن - يثير الازدحام الشديد المزمن في بعض المناطق السياحية الشهيرة، غضب السكان المحليين واستياءهم، واتخذ عدم رضاهم أشكالا متنوعة، من الاحتجاج المهذّب، إلى كتابة "ارجعوا إلى بلادكم" على الجدران، فيما لجأ بعض آخر إلى ترويع السياح.

قمة إيفريست التي وطأتها الأقدام أول مرة سنة 1953، أصبحت في الآونة الأخيرة تستقبل أعدادا هائلة من المتسلقين الذين يريدون خوض تحدي الوصول إلى هذه القمة الشاهقة، حتى أصبح المتسلقون يموتون بسبب الاكتظاظ.

> يتم استخدام العائدات من ضريبة السياحة، لمعالجة مشاكل البنية التحتية والبيئية والحفاظ على التراث الثقافي

وتضاعف عدد السياح المتنقلين بين الدول منذ منتصف القرن العشرين، وبلغ عددهم نحو 1.4 مليار سنة 2018، شهدت أوروبا الحصة الأكبر منه، لكن يبقى النصيب هاما لمنطقة آسيا والمحيط الهادئ أيضا.

ويعود ارتفاع عدد السياح في العالم إلى ارتفاع دخل الفرد في العديد من البلدان، ولعبت التكنولوجيا دورا رئيسيا في هذه الظاهرة، فمع انخفاض كلفة السفر جوا لتصبح في المتناول، أصبح من الممكن للمسافرين حجز التذاكر والفنادق والرحلات عبر الإنترنت قبل انطلاق عطلهم.

وأصبحت السياحة تمثل رافدا اقتصاديا مهما للبلدان التي تمكنت من جذب أعداد كبيرة من الزوار، حيث بلغ إجمالي الإيرادات المباشرة من السياحة 1.6 تريليون دولار في سنة 2017، أي 2 بالمئة من الاقتصاد العالمي بأكمله.

هذا التدفق السياحي يحمل جانبا سلبيا أيضا، حيث أصبح السفر إلى الوجهات الأكثر شعبية يسبب ما يسميه الاقتصاديون "العوامل الخارجية للازدحام"، فأصبحت تجربة السائح حين يتوجه إلى مكان مشهور غير مريحة، كما يُشعر الازدحام الشديد الآخرين الإحساس بالمضايقة.

وعبر جنوب أوروبا، من شوارع برشلونة المزدحمة إلى الأعداد الكبيرة من سفن الرحلات السياحية المكتظة بالركاب في دوبروفنيك في كرواتيا والبندقية في إيطاليا، يشكو السكان المحليون من أن زيادة كبيرة في حركة السياحة جعلت الحياة لا تُطاق بالنسبة إليهم.

وأذكى هذا الاستياء مخاوف بشأن السياحة، أحد أكبر المحركات الاقتصادية في أوروبا ودفع السلطات إلى التحرك، إذ تدرس روما تقليص أعداد الزوار لبعض الأماكن، مثل نافورة تريفي، وتخطط دوبروفنيك لتقييد سفن الرحلات السياحية، في حين تتجه برشلونة إلى فرض ضريبة جديدة على السياحة.

وفي البندقية، يسير بعض السكان من حين لآخر وسط مجموعة من الزوار، للاحتجاج على فيالق السياح وهم يرفعون لافتة كتب عليها "مستقبلي هو البندقية".

وفي برشلونة، يتنامى الغضب منذ فترة، وتحولت الكتابة على الجدران إلى تهديدات، وكُتب على أحد الملصقات "لماذا نطلق عليه موسم السياح ونحن لا نستطيع إطلاق النار عليهم؟".

وعُرضت فيديوهات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تحت شعار "السياحة تقتل الأحياء"، وبلغ سمع السياح أن السكان المحليين في العديد من المدن لا يرحبون بالسياح.

وقلصت مدينة دوبروفنيك الكرواتية الواقعة على ساحل البحر الأدرياتيكي عدد السفن السياحية التي تتردد على الميناء يوميا، نظرا إلى القلق من الازدحام الشديد في موقع تصنّفه «يونسكو» ضمن التراث العالمي.

ويتناقص عدد السكان المحليين في المدينة مع نزوحهم، هربا من الازدحام واختناقات حركة المرور والضوضاء.

وتزايدت حركة السياحة في جنوب أوروبا بشكل كبير على مدى السنين الماضية، لأسباب من بينها تفضيل السياح تلك المنطقة على المواقع السياحية الأخرى في منطقة البحر المتوسط، حيث تشكل المخاوف الأمنية مبعث قلق بالنسبة لدول مثل تونس ومصر وتركيا.

وتشهد الدول الآسيوية ازدحاما سياحيا وخاصة في ما يتعلق بمعابدها كمعابد كمبوديا وبالي وتايلاند وماليزيا والصين لقلة تكاليف السفر إليها، ما قد يعرض هذه المعالم المقدسة إلى التلف.

بنية تحتية تترهل

قال الخبير الاقتصادي في البنك الدولي كياتيبونغ آريابروشيا، إن نجاح تايلاند في جذب عدد ضخم من السياح يثقل كاهل بعض قطاعات البنية التحتية التي تتعامل مع هذا الطوفان السياحي مثل المطارات.

ويرى خبراء السياحة، أنه على المدى الطويل لن تكون فكرة إبقاء المواقع السياحية على استعداد لإيواء وإطعام أفواج السياح على حساب السكان المحليين فعالة على المدى الطويل، خاصة وأن الطبقات الوسطى من مختلف دول العالم تبحث عن فرصة زيارة جبال الألب ورؤية البيغ بان وبرج إيفيل في لندن وباريس والمعالم الأثرية الإيطالية والقنال الكبير في البندقية وتايمز سكوير في نيويورك.

وقد أدى الارتفاع القياسي في السياحة في السنوات الماضية إلى نمو الاقتصاد النيوزيلندي المثير للإعجاب، لكنه ترك البنية التحتية في البلاد مضغوطة، حيث يشتكي السكان المحليون من صعوبة السير في الطبيعة الهادئة بسبب ازدحامها بالسياح والقمامة.

أداءات إضافية

هذا الازدحام والعدد المرتفع للسياح لسوء الحظ، سيجعلان السفر عملية غير مريحة وغير ممتعة للجميع، لذلك بدأت العديد من المدن والمواقع السياحية وخاصة الأوروبية في البحث عن حلول أخرى، فأمستردام مثلا، تعمل على تقليص الإعلانات والترويج لنفسها كوجهة سياحية، فيما تفكر دول أخرى في توجيه السياح إلى أماكن سياحية أخرى لتخفيف الضغط السياحي كما تفعل اليابان.

وفرضت البندقية رسوما إضافية على السياح تتراوح بين 2.5 و10 يوروهات حسب الموسم، قال عنها عمدة البلدية لويجي بونارو، "الهدف هو جعل المدينة أكثر ملاءمة للعيش" بالنسبة للمقيمين و"تقليل التكاليف الإضافية" التي تتكبدها المدينة بسبب السياحة الجماعية، مثل جمع النفايات والحفاظ على تراث المدينة.

ما يثير الجدل لدى السياح متوسطي الدخل هو الاتجاه إلى فرض رسوم سياحية في المدن السياحية الشهيرة، في إجراء يمكن أن يحد من الاكتظاظ السياحي الذي يخنقها، فبدأت تأخذ رسوما مالية من الزوار الراغبين بدخولها، كما هو الحال في الجزر الإيولية ولامبيدوزا في صقلية.

وتعمل مختلف البلدان والمدن الأوروبية الأخرى على التخطيط أو تطبيق الضرائب على الفنادق وأماكن الإقامة الليلية الأخرى.

ووافق مجلس العاصمة الاسكتلندية إدنبرة على فرض ضريبة السائح لتصبح أول مدينة بريطانية تطبّق الضريبة السياحية.

الضريبة الجديدة هي جنيهان إسترلينيان لكل ليلة على جميع أنواع أماكن الإقامة باستثناء المعسكرات، وينتظر أن تدر 14.6 مليون جنيه إسترليني سنويا على خزينة المدينة.

هذه الضريبة تأتي لتمويل البنية التحتية وتخفيف الضغط على القطاع السياحي المزدهر في الدولة الواقعة في جنوب المحيط الهادئ.

وقال وزير السياحة كلفن ديفيس في بيان، "من العدل أن يقدموا (السياح) مساهمة صغيرة حتى يمكننا المساعدة في توفير البنية التحتية التي يحتاجونها وحماية أفضل للأماكن الطبيعية التي يستمتعون بها".

وبدأت مدينة كيوتو القديمة باليابان، وهي مقصد سياحي شهير، في تقاضي ضرائب على المقيمين في الفنادق والنزل التقليدية والسكن الخاص للتخفيف من مشكلات مثل الازدحام وتحسين الخدمات السياحية.

وقد حذت مدن يابانية أخرى حذوها في تحصيل ضريبة الإقامة مثل مدينة كانازاوا ومدينة فوكوكا التي سنت قانونًا يحث المدينة على إنشاء مثل هذه الضريبة.

وتعتزم جزيرة بالي الإندونيسية فرض ضريبة قيمتها 10 دولارات على السائحين الأجانب.

ويتم استخدام العائدات من ضريبة السياحة، لمعالجة المشاكل البيئية للجزيرة والحفاظ على التراث الثقافي في جزيرة بالي.

ومن أغرب الضرائب المفروضة على السياح تلك التي تفرضها النمسا على الخدمات الطبية في الضريبة السياحية العادية، لكن لا يوجد مبلغ محدد لها، وتجمع مباشرة من خلال المنتجع الذي يقيم فيه السائح.

وتستضيف جزر البليار نحو 11 مليون سائح سنويا، ما يفرض ضغوطا كبيرة على الموارد المحلية للمنطقة، لهذا السبب فرضت ضريبة سياحية جديدة عام 2016، سميت بـ"ضريبة الشمس".

وتفرض التكلفة على جميع زوار جزر مايوركا ومينوركا وإيبيزا وفورمونتيرا، وتتراوح قيمتها بين دولارين و4 دولارات في اليوم، وتستخدم لتحسين البنية التحتية للسياحة، مثل تنظيف الشواطئ والمناطق الساحلية، والحفاظ على مواقع التراث، واستعادة التوازن البيئي المحلي على وجه الخصوص.

ويرى الخبراء أن اعتماد دفع الرسومات من قبل السائح ستكون الحل الوحيد لحل معضلة الازدحام السياحي، لكنه سيمثل حتما خبرا سيئا بالنسبة للسياح من ذوي الدخل المتوسط، وهي الطبقة التي ساهمت في إنعاش القطاع السياحي في السنوات الأخيرة.

مع الرسومات الجديدة سيصبح السفر والإقامة في المدن السياحية الشهيرة متعة تقتصر على الأثرياء، ولن تكون السياحة رفاهية في مستطاع الطبقة المتوسطة.

قوانين غير مشهورة في مناطق سياحية

جزء من متعة السفر إلى دولة جديدة هو مدى اختلافها، ولكن أحيانا ما تكون هذه نقطة سلبية عندما يخرق السياح القانون الخاص ببلد معين عن جهل أو عن قصد.

الضوضاء والعلكة في سنغافورة

من المعروف أن مضغ العلكة يعاقب عليه القانون في سنغافورة، حيث تفرض الحكومة غرامة قد تصل إلى ألف دولار أميركي لانتهاك هذا القانون ويرجع تاريخ هذا القانون إلى عام 1992 حيث تسببت علكة قام بإلصاقها أحد الركاب في إعاقة عمل جهاز فتح وغلق أبواب إحدى عربات مترو سنغافورة.

الأشخاص الذين يزعجون من حولهم بالموسيقى أو غيرها من أشكال الضوضاء يمكن أن يواجهوا غرامة تصل لألف دولار سنغافوري (726 دولارا أميركيا). وبالنسبة "للأغاني الفاحشة أو القصائد القصصية"، فإن العقوبة يمكن أن تصل إلى ثلاثة أشهر في السجن.

السومبي مدمنو الهواتف في ليتوانيا

السومبي هم زومبي السمارت فون الذين يمشون في الشوارع وهم يحملقون بهواتفهم، وفي ليتوانيا من يعبر الطريق بينما يستخدم الهاتف يمكن أن يكلفه ذلك ما يصل إلى 12 يورو (13 دولارا) غرامة.

وانطلاقا من تزايد خطورة الحوادث جراء تنامي ظاهرة عدم الانتباه يطبق قانون ينص على منع المشاة من استخدام هواتفهم خلال عبورهم الشوارع. وكي لا يتم وضع المدمنين على الهواتف بين خيارين إما مواصلة التحرك وإما استخدام الهاتف تم استحداث ممشى خاص لمستخدمي الهاتف بسهام مرسومة على الأرض وخط وردي.

ملابس الجيش في ترينيداد وتوباغو

الملابس الموهة المستوحاة من الجيش بكل ألوانها وأشكالها محظورة بموجب قانون عسكري في ترينيداد وتوباغو. أي شخص يحضرها إلى البلاد أو يشتريها أو يرتديها يجب أن يدفع غرامة وسوف تصادر الملابس أيضا.

وتعتبر ترينيداد وتوباغو أرخبيلا مكونا من جزيرتين رئيسيتين هما ترينيداد، أكبر جزر البلاد، وتوباغو، بالإضافة إلى 21 جزيرة صغيرة أخرى.

وتعتبر جزيرة توباغو الجميلة أصغر حجما من ترينيداد، وكلاهما مليء بمناطق الجذب السياحية خاصة الشواطئ الجميلة المناسبة للسباحة والغوص.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

الذكاء الاصطناعي يدخلنا في مغامرة عالم بلا كذب

مكاسب أمنية وجنائية تقابلها مخاطر سقوط جميع الأقنعة الشخصية

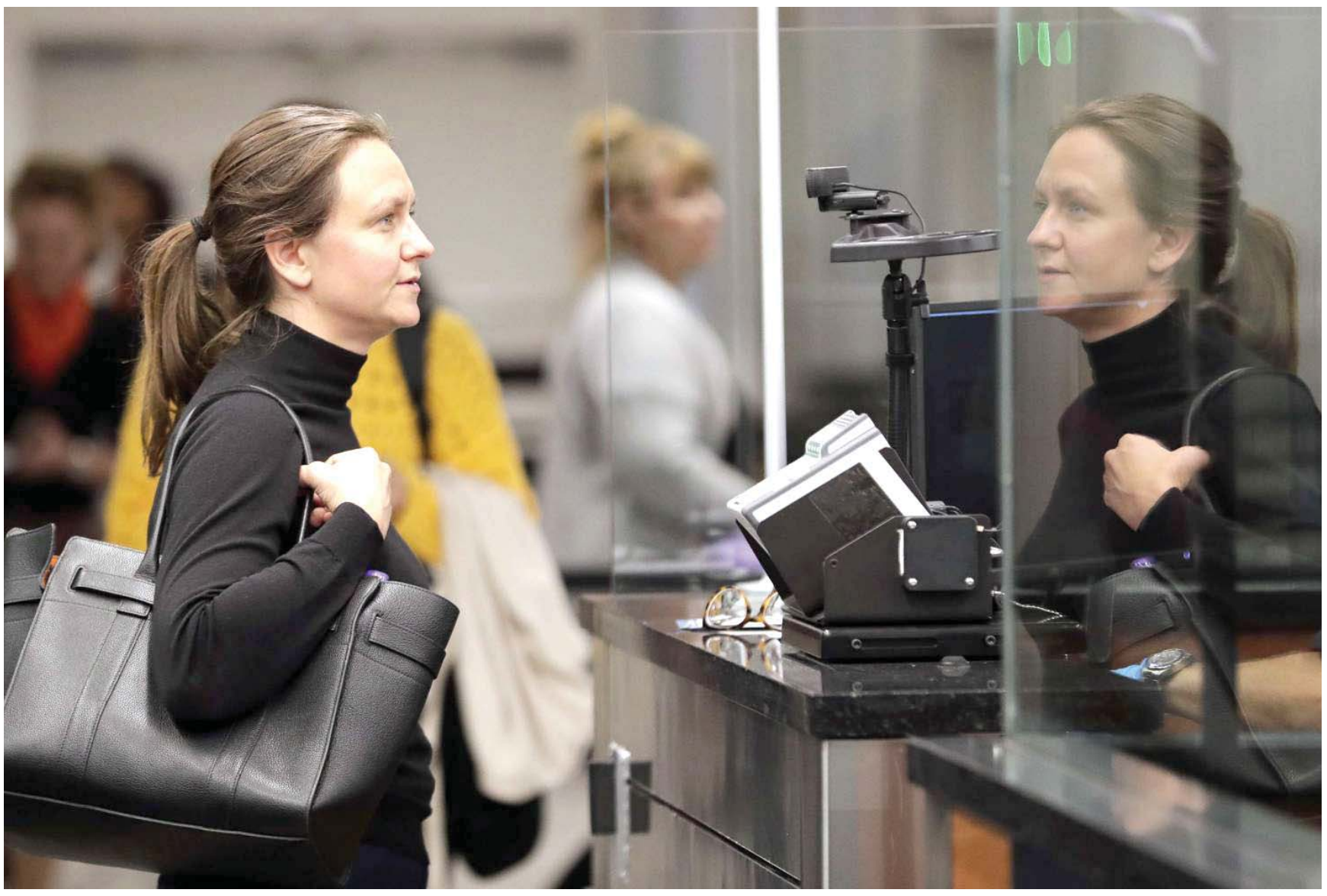

حارس حدود افتراض يطرح أسئلة على المسافرين لاكتشاف الكذب ومعرفة ذوي النوايا الخطرة وغير القانونية

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

قد لا يبدو استخدام الذكاء الاصطناعي في اكتشاف الكذب، الفتح العلمي الأكثر إثارة، لكنّ ارتفاع دقته واتساع انتشاره يمكن أن يكون التحول الأكثر تأثيرا في حياتنا، ليس من حيث الفوائد الكبيرة فقط بل المخاطر الكارثية أيضا.

يمكن أن يؤدي ذلك إلى تعزيز الأمن والتحقيقات الجنائية مع المتهمين والانتباه إلى أصحاب النوايا الخطرة في نقاط التفتيش والمنافذ الحدودية والمطارات، وربما يقودنا أيضا إلى كشف خداع السياسيين ووعودهم الكاذبة ومجالات مفيدة أخرى.

لكن ماذا لو اتسع نطاق استخدامه ليصل إلى نطاق شخصي من خلال تطبيقات على الهواتف الذكية؟ قد يبدو ذلك طريفا في البداية لكنه يمكن أن يحدث زلازل اجتماعية لا يمكن علاجها.

مخاطر إسقاط الأقنعة

من البديهيات أن جميع البشر يلبسون الكثير من الأقنعة لأسباب إنسانية بريئة وأخرى معقّدة لكنها ضرورية، فمعظم علاقات الأزواج والعشاق وعلاقات الأبناء والآباء تنطوي على الكثير من الكذب الأبيض، الذي يمكن للكشف عنه أن يسمم تلك العلاقات.

قد نضطر إلى عدم الحديث إطلاقا في الكثير من المواضيع، التي لدينا في شعور ملتبس لكيلا يكتشف الشخص الآخر أننا لم نكن صادقين. وحتى في هذه الحالة فقد تطاردنا التكنولوجيا ذات يوم لتكتشف مشاعرنا دون أن نتكلم!

ماذا عن المجاملات الضرورية مثل إطراء سيدة عن جمالها أو ملابسها أم مذاق الطعام الذي طبخته لك؟ هل ستكتشف من خلال تطبيق في هاتفها أنك تكذب حين تخبرها بأنها تبدو جميلة أو أن مذاق الطعام رائع.

هناك أيضا غابة الكذب البريء أو المبيّت بين العاملين ورؤسائهم، التي يمكن أن يؤدي الكشف عنها إلى تسميم أجواء العمل وربما فقدان الكثيرين لوظائفهم.

القمة الطافية من جبل الجليد هي اليوم هي محاولات تجري في مختبرات الكثير من الشركات لتطوير أجهزة للكشف عن الكذب بدقة عالية لأغراض محددة، هي غالبا لتعزيز الأمن والتحقيقات الجنائية والكشف عن الأشخاص الخطرين مثل الإرهابيين.

قد لا يشكّل انطلاق تسويق جهاز جديد للكشف عن الكذب لتعزيز أمن المطارات، سوى إشارة صغيرة إلى ما ينتظرنا من ثورة عاصفة إذا انتشرت تلك الأجهزة وتحولت إلى تطبيقات في متناول الجميع.

الجهاز طوره فريق الباحثين في شركة ناشئة هي "ديسيرن ساينس انترناشونال" والتي لم تقفز بعيدا في طموحاتها واكتفت بوعود كشف الكذب في المطارات، بمجرد توجيه أسئلة روتينية إلى المسافرين للتأكيد من غرضهم من الزيارة من أجل تعزيز الأمن.

ويقول جاي نوناميكر، الذي قاد تطوير جهاز أفاتار إن التجارب أثبتت أنه نجح في تعزيز عمل الجهات الأمنية في المطارات والمعابر الحدودية وأحدث نقلة نوعية في عملها.

فوائد أمنية

تؤكد الشركة أن الجهاز يمثّل حرس حدود افتراضي ويمكن أن يمثل ثورة في تعزيز أمن المطارات، من خلال الكشف عن الأشخاص ذوي النوايا الخطرة أو غير القانونية بشكل أكثر دقة بكثير مما يستطيع الحراس البشر القيام به.

وأطلق فريق الباحثين على الجهاز اسم "أفاتار" ربما في إشارة إلى الفيلم الذي يحمل ذات الاسم، والذي فيه كائنات لا تعرف الكذب.

وجرى اختبار الجهاز في المعابر الحدودية والمطارات في الولايات المتحدة لجعل عملية التفتيش والتدقيق من قبل حرس الحدود ونقاط تفتيش الجوازات أكثر فاعلية، والكشف عن الأشخاص من ذوي النوايا الخطرة، والذين يحاولون دخول البلاد بطريقة غير قانونية أو يحاولون تهريب مواد ممنوعة مثل المخدرات.

ورغم الحديث عن نجاح الجهاز في الكشف عن الأشخاص الذين قدّموا إجابات كاذبة، إلا أنه لا يزال يثير تساؤلات حول ما إذا كان يمكن قياس ميل الشخص إلى الكذب بدقة باستخدام خوارزمية.

ويضم الجهاز شاشة تظهر عليها شخصية افتراضية توجه إلى المسافرين عددا من الأسئلة التي تم إعدادها مسبقا، ليقرر الجهاز ما إذا كانوا يكذبون أم لا من تحليل الأجوبة وتعابير الوجه ونبرة الصوت.

وتقول شركة ديسيرن دقة جهاز أفاتار في كشف الكذب تتراوح حاليا بين 80 إلى 85 بالمئة، وأن ذلك يتجاوز بكثير متوسط دقة البشر في أداء هذا المهمة والذي يبلغ 54 بالمئة.

وتشير إلى أن أفاتار اختزل الكثير من الجهود وعزز دقة أعمال التفتيش في المطارات ونقاط الحدود التي تمت تجربته فيها. وتؤكد أن هناك آفاقا كبيرة لتطوير درجة الدقة استنادا إلى التجارب العملية.

ويبحث الجهاز باستخدام الذكاء الاصطناعي عن "إشارات الخداع" والحركات غير التلقائية، التي يمكن أن تنجم عن ضغط التفكير في محاولة الالتفاف على الأسئلة في محاولة الخداع.

ويتخذ جهاز أفاتار بعد ذلك قرارا بشأن مدى صدق الأشخاص الذين يجري معهم تلك المقابلات السريعة، ويصنّفهم في ثلاث فئات هي الأحمر والأصفر والأخضر.

واستنادا إلى تلك النتائج في سيناريو مراقبة الحدود، فإن الأشخاص الذين يصنفهم أفاتار في فئة الأخضر يتم السماح لهم بالمرور دون مزيد من عمليات التفتيش، ويتم التحري بدرجة معتدلة مع الأشخاص المصنفين في فئة اللون الأصفر، والذين يعتقد أفاتار أنهم ربما لم يكونوا صادقين.

أما المصنفين في فئة اللون الأحمر، وهم الذين يرى أفاتار أنهم كذبوا في إجاباتهم، فيتم إخضاعهم لتحقيق مفصل بحضور حراس، لأنهم قد يمثّلون خطورة كبيرة.

وتقول الشركة إن جهاز أفاتار، الذي يستخدم الذكاء الاصطناعي لكشف الكذب في الوقت الفعلي، جرى تطويره حاليا من خلال أبحاث أكاديمية ممولة من الحكومة الفيدرالية وأنه يمكن أن يطرح للتسويق التجاري في غضون ستة أشهر.

سوق استخدامات واسعة

تأسست شركة ديسيرن ساينس انترناشونال العام الماضي من قبل علماء من جامعة أريزونا، كوسيلة لاستثمار التكنولوجيا التي طوروها في بيئة أكاديمية خلال العقد الماضي.

وتقول الشركة إنها دخلت في أكتوبر الماضي في مشروع مشترك مع شريك في صناعة الطيران، تؤكد أنها شركة راسخة لكنها لا تستطع الكشف عن اسمها حتى الآن، من أجل تسويق جهاز أفاتار للمطارات العالمية.

وأضافت ديسيرن أن شريكها يختبر حاليا النماذج الأولية، وسيبدأ بتسويق الأجهزة في الأشهر المقبلة بعد إجراء تعديلات نهائية على صياغة الأسئلة، التي أدى بعضها إلى ردود غير متوقعة.

يأتي تطوير أفاتار وسط اهتمام متزايد من قطاعي الأمن والطيران بتحليل السلوك، حيث تبحث السلطات الحكومية وإدارات المطارات عن تلك الابتكارات لتعزيز سلامة الركاب وتقليل المخاطر.

لكن لا تزال هناك شكوك بشأن مدى موثوقية الذكاء الاصطناعي في قياس الخداع والكذب حين يكون عن نية مبيتة.

وفي بداية الشهر الحالي فشل جهاز مماثل تجري تجربته من قبل الاتحاد الأوروبي في اختبار قام به صحافي في موقع "ذي انترسبت" حين صنّف الجهاز ربع أجوبته الصادقة على أنها أكاذيب.

من بين التحديات أن هذه الأجهزة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي، قد تشكك في صدق الأشخاص الذين يعانون من تشوش أو ألم خلال الإجابة على الأسئلة، وهي ذات المشكلة التي عانت منها أجهزة كشف الكذب التقليدية سابقا، والتي لم يسمح باستخدامها في محاكم الولايات المتحدة.

ويقول ميرسيا زلوتينو، أستاذ علم النفس بجامعة تيساید لصحيفة فايننشال تايمز إن "الناس يكذبون باستمرار. لا يوجد ما يمكن أن يكتشف الكذب بدقة عالية طوال الوقت. الخوارزميات لا يمكنها قياس أو فهم النية أو الأساس المنطقي لسلوك البشر.

لكن ديفيد ماكستالر، كبير مسؤولي الاستراتيجية في ديسيرن يقول إن دمج العديد من العوامل المختلفة، التي تشمل السلوك المتعمد واللاوعي، جعل جهاز أفاتار عالي الدقة.

ويضيف أن الإنسان يستطيع التحكم ببعض الإشارات التي يصدرها، لكنه لا يستطيع التحكم بها جميعا طوال الوقت، ولذلك فإن الخوارزميات ستحدث فارقا نوعيا.

أسباب للقلق

يبدو أن الجدل لن يحسم في المستقبل القريب، ومن المستبعد أن يتم الاعتماد بشكل كامل على الأجهزة لتحديد ما إذا كان الشخص كاذبا ويشكّل خطرا أم لا.

> إسقاط جميع الأقنعة يمكن أن يكون له ثمن باهظ يدمر جميع الأواصر الاجتماعية والعائلية إذا تحولت التقنية إلى تطبيقات في متناول الجميع

ويقول برايان وود، الذي يقود أبحاث مشروع "ذي سيلفر لوجك" لتطوير فهم الذكاء الاصطناعي للعواطف، "سأكون قلقا للغاية إذا أصبحت أجهزة الكشف عن الموثوقية والكذب هي الحكم النهائي الذي يتولى اتخاذ القرار".

وتؤكد ديسيرن أنها واثقة من أن أفاتار سيتمكن من الوفاء بمتطلبات المعايير الدولية للفحص الأمني في المطارات، رغم أنها تقول إن المؤسسات التي ستقتني الأجهزة ستتحمل مسؤولية الأخطاء التي ترتكبها الأجهزة.

وذكرت أن أفاتار جرى اختباره في السنوات القليلة الماضية من قبل وكالة خدمات الحدود الكندية ومطار بوخارست في رومانيا وفي معبر حدودي في ولاية أريزونا الأميركية.

ورغم تركيز ديسيرن على المطارات والمعابر الحدودية، إلا أنه ميدان سيبقى مثيرا للجدل، في حين أن استخدام هذه التقنيات بدأ ينتشر بشكل كبير في قطاعات أخرى دون اعتراضات تذكر.

ويؤكد مختبر "نيورو داتا" أنه مع تحسن تقنية الكشف عن المشاعر وتحليل السلوك، فقد تصبح أكثر موثوقية كأداة لاكتشاف الكذب. ولكن يجب أن يقتصر على "مجموعة محددة للغاية من التطبيقات".

ويؤكد أننا لا يمكن أن نتحدث عن عصا سحرية يمكن أن تجعل الذكاء الاصطناعي قادرا على كشف جميع مظاهر الكذب.

لكنها هذا السباق لكشف الكذب، ليس سوى جبهة واحدة للتوغل إلى أعماقنا ومعرفة كل ما يدور فيها. وهناك جبهات عديدة تتعرف على وجوهنا ومشاعرنا وتحصي أنفاسنا ودقات قلوبنا وخارطتنا الجينية.

كل ذلك يعزز قبضة الروبوتات وهيمنتها على حياتنا، وقد لا يكون أمامنا سوى الاقتناع بالجهود التي يقودها الملياردير المغامر إيلون ماسك لإدخال القدرات الخارقة إلى أدمغتنا لنتمكّن من مواكبة السباق وتفادي إمكانية خنقنا وإقصائنا من مسرح الحياة.

برايان وود:
سأكون قلقا للغاية إذا أصبحت أجهزة الكشف عن الموثوقية والكذب هي الحكم النهائي الذي يتولى اتخاذ القرار

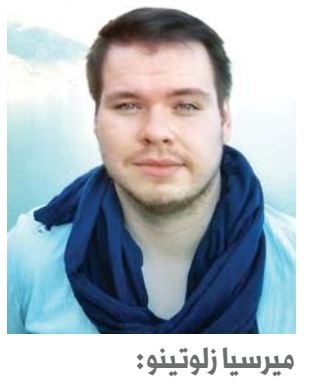

ميرسيا زلوتينو:
الناس يكذبون باستمرار. الخوارزميات لا يمكنها قياس أو فهم النية أو الأساس المنطقي لسلوك البشر

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

«فنون» تناول الطعام أنجع من الحميات القاسية

توقيت أكل الوجبات يساعد في التحكم في الوزن

العلماء ربطوا بين تناول الطعام في أوقات متأخرة من الليل بزيادة الوزن

الأجدى من الحميات القاسية هو اتباع مجموعة من "الفنون" أو الاستراتيجيات التي قد تساعد على تخفيض الوزن، وتجعل الإنسان يتناول كميات أقل من الطعام وتتيح له فرصة للاستمتاع بأطباقه المفضلة، مع المحافظة على قدر من التفاؤل وتقبل حقيقة أنه لا يوجد حلّ سحري للحصول على جسم مثالي.

محمد اليعقوبي

يتطلع معظم الأشخاص الذين يعانون من البدانة أو الوزن الزائد إلى حلول خارقة تجعلهم يتخلصون من الكيلوغرامات الزائدة في أوزانهم، والتمتع بأجساد أنحف وأكثر لياقة وصحة، ومن أكثر أمنياتهم أن تكون تلك الحلول سهلة ولا تنطوي على حرمان من تناول أطباقهم المفضلة.

إلا أن خبراء التغذية يقدمون منذ عقود طويلة من الزمن النصيحة نفسها وهي ضرورة "تناول طعام أقل، وممارسة أكثر للرياضة"، لكن الالتزام لا يبدو بالأمر السهل، وخاصة في ظل نمط الحياة العصرية، والغذاء السريع وتراجع العادات المنظمة لتناول الغذاء التقليدي.

وبينما يتبع البعض أنظمة غذائية توصف بـ"القاسية" من أجل تخفيض الوزن والحصول على قوام رشيق، فإن البعض الآخر يجرب حميات متعددة ولا ينجح في الغالب في الالتزام بأي منها.

لكنْ ثمة أبحاث جديدة أثبتت أن طرق تناول الطعام، وأوقات الوجبات، يمكن أن تكون من أفضل الحلول التي قد تساعد من يتبعها على التخفيف من وزنه وتمنع عودة هذا الوزن.

ويعكف الخبراء الآن على البحث في ما إذا كانت عاداتنا الغذائية، من بينها الأوقات غير المنتظمة في تناول الوجبات والأكل المتأخر، لا تشكل خيارات مثالية لإيقاعاتنا الداخلية.

وربط البعض من العلماء تناول الطعام في أوقات متأخرة من الليل بزيادة الوزن، وذلك لترجيحهم أن الجسم لا يجد وقتا كافيا لحرق هذه السعرات الحرارية، لكن يبدو أن المسألة أكثر تشابكا مما يعتقدون.

ويعتزم البعض من الباحثين تعميق أبحاثهم حول كيفية حدوث هذا التأثير، ولكنهم متأكدون بأن إيقاع الساعة البيولوجية للجسم ودرجة حرارته والهرمونات تلعب دورا في كيفية اكتساب الجسم للوزن الزائد.

وقالت جيردا بوت، المحاضرة المتخصصة في علوم التغذية بكلية كينغز كوليدج لندن، التي تدرس إعادة تأهيل النظام الغذائي "لدينا ساعة بيولوجية للجسم، فمثلا تناول وجبة كبيرة في المساء هو في الواقع، وفي ما يتعلق بالتمثيل الغذائي، خيار ليس مناسبا، لأن جسمك بدأ يتأهب لليل".

وتشير بعض الأدلة إلى أن كمية الطاقة التي يستهلكها الجسم في معالجة الطعام الذي نتناوله في الصباح، تفوق ما يستهلكه في معالجة الطعام الذي يتناوله الناس في ساعة متأخرة من الليل، أي أن أجسامهم تحرق كميات أكبر من السعرات الحرارية إذا تناولوا الطعام في ساعات مبكرة من النهار. لكن ثمة تفسير آخر مفاده أن تناول الطعام في ساعات متأخرة من الليل، يقلص الوقت المتاح للجهاز الهضمي ليستريح ويستعيد نشاطه، وكذلك الوقت المتاح للجسم لحرق الدهون، إذ لا تحدث التفاعلات الكيميائية لحرق الدهون إلا عندما تدرك أعضاء الجسم أننا توقفنا عن تناول الطعام.

ويقول جوناثان جونستون، المتخصص في دراسة العلاقة بين الساعة البيولوجية والطعام بجامعة سري في بريطانيا، إن "الناس يفترضون أحيانا أن التفاعلات الكيميائية في أجسامنا تتوقف أثناء النوم، لكن هذا ليس صحيحا".

ويضيف "إذا أمكننا القول إنه لا يتعين عليك بالضرورة تغيير كثير مما تأكله، ولكن إذا تمكنت فقط من تغيير أوقات تناول الطعام، فإن هذا التغيير الطفيف في حدّ ذاته يمكن أن يشكل عنصرا مهما في طرق تحسين وضعنا الصحي".

وقد خلص ساتشين باندا، العالم البيولوجي بمعهد سالك بولاية كاليفورنيا الأميركية في أحد أبحاثه التي أجراها حول توقيت تناول الوجبات، إلى أن الغالبية العظمى من الأميركيين يتناولون الطعام على مدار 15 ساعة أو أكثر يوميا، ويستهلكون أكثر من ثلث السعرات الحرارية اليومية بعد السادسة مساء، وهذا يختلف عن نمط حياة أجدادنا قبل اختراع المصباح الكهربائي.

ويقول باندا مؤلف كتاب "شفرة الإيقاع اليومي"، إن طلاب الجامعات قلّما يخلدون إلى النوم قبل منتصف الليل، وربما يأكلون ويشربون قبل النوم مباشرة. ويضطر الكثيرون للاستيقاظ مبكرا في اليوم التالي لحضور المحاضرات، وإذا تناولوا الإفطار بعد الاستيقاظ مباشرة، سيقلصون الفترة التي يفترض أن يمتنعوا فيها عن تناول الطعام.

وربما لا يأخذون أيضا كفايتهم من النوم، ومن المعروف أن قلة النوم تزيد من احتمالات الإصابة بالسمنة وتضعف القدرة على اتخاذ القرارات والسيطرة على النفس، ومن ثم يقبلون على أطعمة قليلة النفع قد تزيد معدلات الهرمونات التي تدفعهم إلى تناول المزيد من الأطعمة.

وأشار الخبراء إلى أن هناك أدلة على أن نحو 40 بالمئة ممن هم في نطاق الوزن الطبيعي يعانون من مشاكل في التمثيل الغذائي كالتي يعاني منها المصابون بالسمنة.

وتوصلت دراسة أعدتها جامعة غلاسغو إلى أن اضطراب أنماط النوم يزيد من مخاطر التعرض لزيادة الوزن لدى من لديهم استعداد وراثي للإصابة بالبدانة.

وبحث العلماء آثار التقليل من النوم لأقل من سبع ساعات في الليلة الواحدة، والإفراط فيه بما يزيد عن تسع ساعات إلى جانب أخذ قسط من النوم أثناء النهار، والعمل بنظام النوبات.

وخلص الباحثون إلى أن من يعانون مخاطر وراثية عالية للإصابة بالبدانة، سواء الذين يفرطون في النوم أو يقللون منه، يزيد لديهم خطر زيادة الوزن، مقارنة بالذين ينامون فترات طبيعية تتراوح من سبع إلى تسع ساعات في الليلة.

> فترات النوم القصيرة تزيد لديهم الرغبة في تناول الوجبات الخفيفة بين وجبات الطعام الرئيسية وتزيد الإفراط في تناول الطعام

وأشارت النتائج إلى أن الذين ينامون لساعات طويلة ممن يعانون خطر الإصابة بالبدانة كانت أوزانهم أثقل بنحو أربعة كيلوغرامات، في حين كانت أوزان الذين ينامون لساعات قليلة أثقل بنحو كيلوغرامين من أولئك الذين يعانون مخاطر وراثية عالية للإصابة بالبدانة وينامون لفترات طبيعية.

وأكد الفريق البحثي أن الآثار السلبية ظهرت دون وجود أي علاقة بنوعية الطعام الذي تناولوه، أو مخاوفهم الصحية، أو العوامل الاجتماعية والديموغرافية.

وقال كارلوس سيليس، المشارك في الدراسة "يبدو أن الذين يعانون مخاطر عالية للإصابة بالبدانة في حاجة إلى أن يكونوا أكثر حرصا إزاء العوامل المرتبطة بنمط الحياة للحفاظ على وزن صحي للجسم".

وتابع أن "البيانات تشير إلى أن النوم من العوامل الأخرى التي نحتاج إلى العناية بها، إلى جانب النظام الغذائي والنشاط البدني".

كما تتسبب قلة النوم أيضا في إحداث تغييرات في مستويات هرمونات الجوع، إذ يقل مستوى مادة الليبتين في الدماغ، وهي المسؤولة عن تنظيم الجرعات والإشارات الخاصة بالطعام عندما يكون لدى الأشخاص ما يكفي منه في أمعائهم، بينما ترتفع مستويات مادة الغريلين المسؤولة عن تحفيز الشهية، وإنتاج الدهون، ونمو الجسم.

المشي النورديّ يحسن حياة ولياقة مريضات السرطان

مدريد - أظهرت دراسة إسبانية حديثة أن رياضة "المشي النورديّ" أو ما يطلق عليه أيضا المشي الشمالي تحسن حياة المريضات بسرطان الثدي، وتسهم في إعادة تأهيلهن.

الدراسة أجراها باحثون بكلية العلوم التربوية والرياضية في جامعة (فيجو) الإسبانية، ونشروا نتائجها، في دورية (يوربين جورنال أوف كانسر كير) العلمية.

ورياضة "المشي النورديّ" هي عبارة عن مجموعة من الحركات المتتالية للساقين والفخذين والذراعين والجسم، مصحوبة بعصا مصممة خصيصا لهذه الرياضة.

وتكتسب رياضة المشي النورديّ ثقة شعب بلدان أوروبا الوسطى والشرقية، باعتبارها تمارين بدنية ترفيهية، تسهم في إعادة التأهيل ولها تأثيرات جيدة على مختلف أجهزة الجسم، خاصة لمرضى السكري والقلب ومشاكل العظام، والأشخاص الذين يعانون من مشكلات في الحركة والذين يخضعون لإعادة التأهيل، بالإضافة إلى مكافحة السمنة لدى كبار السن.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، راجع الفريق بيانات 9 دراسات بحثية أجريت في هذا الشأن، لكشف تأثير هذه الرياضة على مرضى سرطان الثدي.

ووجد الباحثون أن رياضة المشي النورديّ تعتبر استراتيجية لإعادة التأهيل مثيرة للاهتمام بالنسبة إلى النساء المصابات بسرطان الثدي، كما لم يتم رصد أي تأثيرات ضارة لتلك الرياضة على المرضى.

وتوصل الفريق إلى أن هذه الرياضة تعود بالنفع على مريضات سرطان الثدي، من خلال تأثيرها الإيجابي في الحدّ من انتشار الأورام، إضافة إلى تحسين اللياقة البدنية ونوعية الحياة، والحدّ من الإعاقة وتراجع الإدراك.

وقالت عالمة الرياضة الألمانية كارولين هايلمان إن رياضة المشي الشمالي تتمتع بفوائد صحية جمة، حيث أنها تحمي المفاصل وتساعد على مواجهة الشد العضلي، الذي يُصيب مؤخرة العنق بسبب العمل المكتبي.

وأوضحت هايلمان أن رياضة المشي الشمالي تناسب الأشخاص الذين لم يمارسوا الرياضة من قبل، مشيرة إلى أنها تحتاج إلى أدوات بسيطة للغاية، ألا وهي: اثنتان من العصيّ الخفيفة والمناسبة لطول القامة وحذاء ركض خفيف.

وأضافت أنه ينبغي على المبتدئين ممارسة الرياضة باعتدال؛ حيث يكفي في البداية ممارستها بمعدل 3 مرات في الأسبوع لمدة تتراوح بين 8 و10 دقائق في المرة الواحدة وبسرعة معتدلة.

وبدءا من الأسبوع الرابع يمكن للرياضيين زيادة المدة لتتراوح من 15 إلى 18 دقيقة، وبدءا من الأسبوع الخامس يمكن زيادة درجة الشدة، على أن يمتد البرنامج التدريبي لمدة 10 أسابيع.

وفي الأيام المتبقية من الأسبوع يمكن ممارسة رياضة ركوب الدراجات الهوائية أو السباحة أو اليوغا لتدعيم تأثير رياضة المشي باستخدام العصي.

وتعد المواظبة على ممارسة رياضة المشي الشمالي، التي تقوم على استخدام عصي أثناء المشي، مفيدة لمرضى القلب.

وأوضح نوربرت سميتاك، رئيس الرابطة الألمانية لأطباء القلب بمدينة ميونيخ، أن الدراسات الحديثة أثبتت أن المشي الشمالي يزيد قوة تحمل الجسم لدى مرضى القلب أكثر من المشي العادي دون استخدام العصي.

وأوضح طبيب القلب الألماني مميزات المشي الشمالي، بقوله "أثناء ممارسة رياضة المشي الشمالي لا يتم تدريب الساقين فحسب، وإنما عضلات الجزء العلوي من الجسم والذراعين أيضا".

وأشار إلى أن ممارسة رياضة المشي الشمالي على نحو بطيء تعود بالفائدة أيضا على مرضى القلب.

وأكدّ سميتاك على ضرورة استشارة طبيب قلب مختص قبل البدء في ممارسة المشي الشمالي بالنسبة إلى مرضى القلب، حيث يُمكن للطبيب تحديد جدول زمني لممارسة هذه الرياضة لكل مريض على حدة، وفقا لطبيعة مرضه وشدته.

كما أكدت الخبيرة الألمانية إليزابيث غرازر، أن ممارسة رياضة المشي الشمالي (بالعصا) تتمتع بتأثير فعّال في عملية إنقاص الوزن، إذ تعمل هذه الرياضة بفضل استخدام العصي على إدخال الذراعين والكتفين في تأدية النشاط الحركي، ما يُسهم في زيادة معدل حرق السعرات الحرارية عمّا يحدث عند المشي العادي.

وأضافت غرازر أنه على عكس ما يحدث عند ممارسة رياضة الركض، التي تُسهم أيضا في إنقاص الوزن بشكل فعّال، لا تتسبب ممارسة المشي باستخدام العصي في التحميل على المفاصل بشكل كبير.

> المشي النورديّ هو عبارة عن مجموعة من الحركات المتتالية للساقين والفخذين والذراعين والجسم، مصحوبة بعصا مصممة خصيصا لهذه الرياضة

وأوضحت الخبيرة الألمانية أن رياضة المشي تعمل أيضا على تقوية عضلات الأذرع والأكتاف وجذع الجسم والمقعدة وكذلك الساقين؛ لذا فهي تتمتع بتأثير فعّال في علاج آلام الظهر وهشاشة العظام وكذلك الشد العضلي في الرقبة والكتفين. وكي تتم الاستفادة من ممارسة المشي باستخدام العصي، أكدت الخبيرة الألمانية أهمية اختيار طول العصي المناسب، مع العلم أن الطول المثالي للعصي هو حاصل ضرب طول القامة في القيمة 0.65، أي إذا كان طول القامة 170 سنتيمترا فسيكون الطول المثالي للعصي هو 110 سنتيمترات.

وأردفت غرازر أنه يجب أن تتحرك الأذرع بشكل طبيعي، بحيث يتم تحريك الذراع اليمنى مع الساق اليسرى إلى الأمام، وفي الوقت ذاته تتلامس العصا والقدم مع الأرض.

ووفقا للوكالة الدولية لأبحاث السرطان، التابعة لمنظمة الصحة العالمية، فإن سرطان الثدي هو أكثر أنواع الأورام شيوعا بين النساء في جميع أنحاء العالم، ومنطقة الشرق الأوسط خاصة، إذ يتم تشخيص نحو 1.4 مليون حالة إصابة جديدة كل عام، ويودي بحياة أكثر من 450 ألف سيدة سنويا حول العالم.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

اليوم العالمي للشباب نداء عالمي للاستثمار في التعليم المهني

النهضة بالمجال المهني تسد الفجوة بين التجربة الأكاديمية واحتياجات سوق العمل

سوق العمل يحتاج مهارات الشباب المهنية

تم إحياء اليوم العالمي للشباب هذا الأسبوع تحت شعار "النهضة بالتعليم" للتوعية بأهمية التركيز على هذا المجال في ظل تغير احتياجات سوق العمل، حيث تشير توقعات اليونسكو إلى أنه بعد مرور 5 سنوات لن تتمكن بلدان العالم من الوفاء بالتزاماتها في مجال التعليم بموجب أهداف التنمية المستدامة، إلا إذا أحرزت تقدما جادا خلال العقد المقبل.

تونس – تطلق الحكومات العربية تصريحات وردية عن واقع الشباب ومستقبلهم في إطار خططها للتنمية وتطوير التعليم وتوفير فرص العمل، بينما يعتبر الشباب أن ما يعيشونه أمر مختلف تماما عما تصوره الجهات الرسمية، ويؤكدون أن شعار يوم الشباب العالمي؛ "النهضة بالتعليم"، لهذا العام هو مطلب أساسي لهم ويجب أن يجد تطبيقا على أرض الواقع لا أن يبقى مجرد شعار.

واقعيا يحاكي هذا الشعار حاجة المجتمعات العربية إلى إيجاد حلول لآلاف الشباب الخريجين الذين لا يحتاجهم سوق العمل فعليا، فلا يكفي إنشاء مدارس وجامعات دون الاهتمام بنوعية التعليم وتوعية الأجيال باحتياجاتهم المستقبلية بعيدا عن النظرة التقليدية لهذه المجتمعات التي تبحث عن المكانة الاجتماعية للمهنة بغض النظر عن الكفاءة أو المردودية.

واختلفت نظرة الشباب اليوم حول نوعية التعليم الذي يفضلونه حيث أصبحوا أكثر وعيا بمتطلبات سوق العمل، ويقول ياسين (28 عاما) خريج قسم الفلسفة من جامعة دمشق، إن الشهادة الجامعية التي حصل عليها قبل سنوات لم تقدم له أي إضافة في سوق الشغل، واضطر للعمل كعامل يومي كي يؤمن احتياجاته الأساسية، وفي بعض الأحيان بقي عاطلا عن العمل.

ويضيف أن الزمن لو عاد به إلى الوراء لاختار أي نوع من التعليم المهني الذي يضمن له إيجاد فرصة عمل سواء في سوريا أو خارجها.

وكانت عدة تقارير محلية ودولية قد تناولت في ما سبق، الحالة المزرية للتعليم بشكل عام، في العديد من البلدان العربية، من حيث انهيار البنية التحتية، وتردّي وضع المعلم وعدم توافر الكوادر المدربة، إضافة إلى وجود حالة من الفوضى في قطاع التعليم الجامعي، في ظل تردّي مستوى الجامعات الحكومية، ومطالبة الجامعات الخاصة بتكاليف باهظة، دون توفير تعليم جيد.

لكن وإلى جانب ما يقوله كثيرون عن أن النظام السياسي، يبدو غير راغب في إحداث نهضة حقيقية في قطاع التعليم، بالعديد من الدول العربية، فإن نسبة كبيرة من الشباب في العالم العربي، باتت عازفة عن التعليم، أو تتشكك في إمكانية أن يُوفر لها مستقبل أفضل، بسبب تخريج الجامعات لآلاف الشباب سنويا، ممن ينضم معظمهم إلى طابور البطالة الطويل، في ظل عجز الحكومات عن وضع خطط تنمية حقيقية تنهض بمستوى التعليم، وتوفر فرص العمل اللازمة.

الجامعة للقادرين

يشكل الشباب الشريحة الأكبر من السكان في المنطقة العربية، وكان تقرير صادر قبل أيام عن منظمة اليونيسف التابعة للأمم المتحدة، قد أشار إلى أنه حاليا في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يشكل الأطفال والشباب دون الـ24 عاما حوالي نصف عدد سكان المنطقة. ويعتبر بعض المختصين بالتعليم في عدة دول عربية، أن التعليم الجامعي، يجب ألا يكون إلا للقادرين والنابهين فقط، وأن فتح الباب على مصراعيه، لتخريج أفواج كبيرة من المتعلمين الجامعيين، يؤثر على مستوى الشباب بما يجعله غير قادر، على العثور على فرص عمل جيدة في سوق الشغل، وينادي هؤلاء بضرورة التوسع في التعليم الفني، عوضا عن استمرار التوسع في التعليم الجامعي.

نموذج تدريبي رائد

وتتجه العديد من الدول العربية إلى استثمار طاقات الشباب في مجال التعليم والتدريب المهني لمواكبة احتياجات سوق العمل، تزامنا مع اليوم العالمي للشباب، وأعلنت النشرة التي يصدرها مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية في افتتاحيتها الأسبوع الماضي تحت عنوان "استثمار أمثل في منظومة التعليم المهني" عن إطلاق "المدرسة المهنية لشباب الإمارات" التي ستفتتح أبوابها قبل نهاية العام الجاري، وتُدار بالكامل من قبل الشباب، لتكون أكبر منظومة تعليم تنفيذي ومهني في الدولة والمنطقة، هدفها سدّ الفجوة بين التجربة الأكاديمية والاحتياجات التي يوفرها سوق العمل للشباب، من خلال تطبيق مبدأ المشاركة الجماعية على منظومة التعليم التنفيذي، وتوفير نمط جديد من البيئة التشاركية القائمة على التجارب والدراسات المهنية والبرامج العملية.

وأشارت نشرة المركز إلى أن هذه المدرسة ستركز على الشباب في الدولة من الفئة العمرية البالغة 15 سنة حتى 35 عاما. وأضافت أنه لحاجة المنظومة التعليمية إلى تطوير وتحديث مستمرين، جاء إطلاق "المدرسة المهنية لشباب الإمارات" لتتضمن نموذجا تعليميا وتدريبيا رائدا، يسهم في تأهيل الشباب في المجالات التنموية كافة، وتجهيز ثروة بشرية مجهزة بالأدوات الأكاديمية والعلمية والمهنية كافة لقيادة مسيرة المستقبل المستدام، الذي يسدّ الفجوة بين التجربة العلمية الأكاديمية وبين سوق العمل، نتيجة لتطور القطاعات المهنية والوظائف المستجدة التي تحتاج إلى التأهيل العملي والتدريب المهني والفني، بشكل يوازي التطورات الجارية في التعليم النظري.

وأوضحت أن انفتاح دولة الإمارات واطلاعها المتواصل على التجارب الدولية الناجحة في مجال التعليم المهني والفني، جعلها تمعن النظر في أهمية استحداث منظومة تعليمية تعنى بصقل المهارات الشابة وضمّها إلى قطاع العمل الفني والمهني الذي يواكب مستجدات أسواق العمل.

وأشارت إلى التجربة الفنلندية على سبيل المثال التي أثبتت تأثير التعليم الفني والمهني والتدريب التقني المباشر في الاقتصاد الوطني، ودوره في تزويد المؤسسات الوطنية بالخبرات والمهارات النوعية، بما يوائم المعروض من التخصصات مع الطلب على المهارات في سوق العمل، من المهندسين والعلماء والفنيين، وبما يجنب الدولة الاعتماد على العمالة الأجنبية لتلبية الطلب المرتفع على ذوي المهارات الحرفية والتقنية والفنية.

وإضافة إلى فنلندا يبدي الشباب في الدول المتقدمة توجهات جديدة بشأن نوعية التعليم ومجال العمل، وذلك بخروجه عن الأنماط التقليدية للمهن المتعارف عليها بين الجنسين، فقد رصد تقرير حديث أعدته غرفة التجارة والصناعة الألمانية أن الفتيات والفتيان في ألمانيا يبتعدون ببطء عن الأدوار التقليدية للجنسين عند اختيار مهنهم.

وأظهرت قائمة من المهن الأكثر شعبية التي تم اختيارها بين عامي 2016 و2018 تحولا تدريجيا في المجتمع، حيث أبدت الفتيات اهتماما أكبر بممارسة وظائف في مجالي التكنولوجيا والهندسة، بحسب التقرير الذي نشرته صحف مجموعة "فونكة" الألمانية الإعلامية الصادرة الثلاثاء الماضي.

ووضح نائب رئيس الغرفة، أخيم ديركس، في تصريحات لـ"فونكة" قائلا "هذا النمو يتباطأ في ضوء انحصار معرفة الكثير من الشباب والشابات على أشهر 10 مهن، في حين أنه بإمكانهم توسيع اختياراتهم في ما بين مئات الوظائف".

تبادل الأدوار

وأظهر التقرير أنه في عام 2018 ارتفع عدد الفتيات المهتمات بأن يصبحن متخصصات في مجال تكنولوجيا المعلومات مقارنة بعام 2016، ليرتفع هذا المجال من المرتبة 41 إلى 33 بين قائمة أكثر المهن شعبية بالنسبة للفتيات، بينما يحتل هذا المجال المرتبة الثالثة في قائمة الفتيان.

كما رصد التقرير اتجاها مشابها في مجال الميكانيك، الذي ارتفع من المرتبة 43 ليصبح الاختيار السادس والثلاثين المفضل لدى الفتيات.

وفي المقابل، رصد التقرير ميلا مماثلا للفتيان نحو المهن التي كانت تشغلها النساء تقليديا. ويتضح هذا بشكل خاص بالنسبة لمهنة المساعدين في مجال طب الأسنان، التي تحتل المرتبة الثالثة بالنسبة للفتيات، وارتفعت من المرتبة 131 إلى المرتبة 113 بالنسبة للفتيان.

وتشير توقعات جديدة صادرة عن منظمة اليونسكو إلى أنه بعد مرور 5 سنوات من اعتماد الأمم المتحدة على أهداف التنمية المستدامة لعام 2030 فإن بلدان العالم لن تتمكن من الوفاء بالتزاماتها في مجال التعليم بموجب أهداف التنمية المستدامة ولاسيما الهدف الرابع منها، إلا إذا أحرزت تقدما جادا خلال العقد المقبل.

ووفق الموقع الرسمي للأمم المتحدة، يوجد في الوقت الحالي نحو 1.8 مليار شاب، تتراوح أعمارهم بين 10 و24 سنة في العالم، وهذا هو أكبر عدد من الشباب على الإطلاق، غير أن أكثر من نصف عدد من هم بين سني 6 و14 عاما، يفتقرون لمهارات القراءة والحساب على الرغم من أن معظمهم يذهبون إلى المدارس.

وتفيد التقارير بأنه في الوقت الذي ينبغي فيه على جميع الأطفال أن يكونوا على مقاعد الدراسة، سوف يبقى طفل واحد من بين كل 6 أطفال، تتراوح أعمارهم بين 6 و17 عاما، خارج أسوار المدرسة.

وتشير التحليلات أيضا إلى أن نسبة 40 بالمئة من الأطفال على مستوى العالم لن تتمكن من إكمال تعليمها الثانوي، ومن المتوقع أن تصل هذه النسبة إلى 50 بالمئة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التي تشهد انخفاضا في نسبة المعلمين المدربين منذ عام 2000.

وينص الهدف الرابع من خطة التنمية المستدامة لعام 2030 على "ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع"، فالمراد هو البحث في كيفية تركيز الحكومات والشباب والمنظمات المعنية بقضايا الشباب وغيرها من أصحاب المصلحة على النهضة بالتعليم بما يصنع منه أداة قوية لتحقيق خطة التنمية المستدامة لعام 2030.

> فتح الباب على مصراعيه، لتخريج أفواج كبيرة من الجامعيين يؤثر على الشباب بما يجعله غير قادر، على العثور على فرص جيدة في سوق الشغل

وتجدر الإشارة إلى أن التوقعات الجديدة الصادرة بعنوان "الوفاء بالالتزامات: هل البلدان ماضية في المسار السليم لتحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة"، من إعداد معهد اليونسكو للإحصاء وفريق التقرير العالمي لرصد التعليم، تزيد من القلق حيال هذه الأرقام لكون الهدف 4 من أهداف التنمية المستدامة يدعو إلى التعلم الفعّال، وليس فقط إلى الالتحاق بالمدارس.

ومن المتوقع بحلول عام 2030، وفي ظل الاتجاهات الراهنة، ركود معدلات التعلم في البلدان ذات الدخل المتوسط وأميركا اللاتينية، وانخفاضها بنسبة الثلث تقريبا في البلدان الناطقة باللغة الفرنسية في أفريقيا.

ولا بدّ من الدفع بعجلة الجهود المبذولة في هذا السياق، وإلا سيبقى ما يقدر بـ20 بالمئة من الشباب، و30 بالمئة من الراشدين في البلدان ذات الدخل المنخفض غير ملمين بمهارات القراءة بحلول الموعد المرجو القضاء فيه على الأمية.

مهن تقليدية تحتاج دماء جديدة

لا بديل عن الأيدي الماهرة

نظرة جديدة لسوق العمل

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

الصمت لغة النساء في عالم لا يكف فيه الرجال عن الثرثرة

«النساء الصامتات» عاجزات عن كسر الحجر الذكوري على أصواتهن

"كوني جميلة واصمتي"، مقولة شهيرة للشاعر الفرنسي شارل بودلير تلخص موقفا اجتماعيا متحيزا ضد النساء ما زال سائدا بكثرة في عدة دول من العالم، وهناك أبحاث أظهرت أن النساء عاجزات عن إيصال أفكارهن بالكلمات بسبب التحيز الذكوري ضدهن، والرغبة في الحجر على أفكارهن وطموحاتهن.

كم من نساء صامتات بينما لديهن الكثير ليقلنه

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

يمثل التعبير عن الرأي في اللقاءات العامة أهم مهارة يمكن أن تؤهل أصحابها للنجاح في الحياة، وتجعلهم من الشخصيات الجديرة بالثقة، وتعزز إحساسهم بالسيطرة على الأمور، وتحميهم كذلك من الشعور بـ"التجاهل" و"النبذ" على الصعيد الاجتماعي.

غير أن طرق الحديث وآدابه المتعلقة بـ"الجنس" ما زالت تطوق النساء في كل مكان من العالم، وتفرض عليهن "الصمت الإجباري" حتى في القضايا المصيرية التي ترتبط بحياتهن الشخصية.

في الكثير من المجتمعات، يعزز هذا التحيز القائم على أساس الجنس الصورة النمطية التي تكرّس فكرة أن النساء ليس لديهن أي إرادة تتجاوز ما يمليه الرجل من أوامر وقرارات.

ويمكن أن يُشكّل ذلك مثالا على معضلة تواجهها النساء في التواصل مع الآخرين في الأماكن العامة، وتتمثل في تلقيهن ردود فعل متضاربةً ومتناقضةً بشأن طريقة حديثهن، أي أن يعتبر الآخرون تحدث المرأة بصوت مرتفع سمة سلبيةً، في حين أنهم قد يغدقون الإشادة والثناء إذا أتى الرجل الفعل نفسه.

ومن المثير للاهتمام ما وصفت به وسائل إعلام طريقة خطاب هيلاري كلينتون أثناء ترشحها للانتخابات الرئاسية الأميركية في عام 2016 وخسارتها أمام الرئيس الحالي دونالد ترامب، إذ اعتبرتها إما "حادة" للغاية وإما "غير عاطفية" إلى أقصى درجة.

وعانت عدّة نساء من هذه التجربة، في الندوات الفكرية وفي اجتماعات الشركات ومجالس المدارس ووسائل الإعلام، وحتى في وسائل الإعلام والأعمال التلفزيونية والدرامية.

وتفيد بيانات توصل إليها فريق عمل سيريتيل (Ceretai) –وهي مجموعة سويدية متخصصة في برمجة الآلات لتحليل مدى التنوع في الثقافة الشعبية السائدة– بأن الأجزاء الثمانية من المسلسل الشهير "صراع العروش" طغى عليها كلام الرجال؛ حيث وصلت نسبه ذلك إلى 75 بالمئة من زمن المسلسل.

وقالت أستاذة الإعلام في جامعة نوتنغهام ترينت، ستيفاني جينز، إن النساء –خصوصا في الأجزاء الأولى من المسلسل– "تحدثن بأجسادهن"، حتى أن الجمهور "لن يلاحظ بالضرورة قلة كلامهن".

وأضافت "هذا تأكيد على واقع نعرفه في المجتمع وهو أنه لا متسع لأصوات النساء".

التحيز الخفي

ترى الكثيرات ممن تحدثن لـ"العرب" أن هذا النوع من الإساءات لا يمثل سوى جزء من قضية واسعة النطاق، تضم طائفة من السلوكيات العدائية والكارهة للنساء بشكل عام، والتي لا تنظر إلى المرأة على أنها "كائن عاقل" يمتلك القدرة على التعبير عن رأيه بكل حرية.

واعتبرت الإعلامية الجزائرية سميحة صياد أن النظرة الاجتماعية للمرأة في المجتمعات العربية والمغاربية بشكل خاص، ما زالت ذكورية رغم ما حققته النساء من نجاح واستقلالية، وتقيد حريتها في التعبير وإبداء الرأي وتكبل حركتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمجموعة من القيود والأعراف البالية التي عفا عليها الزمن.

وقالت صياد لـ"العرب" "المرأة تعاني من التسلط الذكوري منذ نعومة أظفارها بسبب اختلاف أساليب التربية الموجهة إلى الذكور والإناث، وعملية التنشئة الاجتماعية التي تعطي للذكر حق التسلط على الأنثى، في حين يجب على الأنثى أن تمتثل لكل ما يقوله الرجل أو يأمر به، وتكتفي بأدوارها التقليدية كزوجة ومربية وطباخة، ولا يجب أن يُسمع لها صوت لأن صوتها عورة".

وأضافت "النساء العاملات –خصوصا في مجال الإعلام– يعانين من الممارسات المجحفة التي تنتشر بكثرة، وهنا أخص بالذكر تجربتي الخاصة كإعلامية جزائرية، لقد تعرضت إلى عدة مواقف مجحفة ومقصية وأشعرتني بالإحباط".

واسترسلت صياد في حديثها قائلة "أن تكون المرأة نجمة وناجحة في المجال الإعلامي فذلك مرهون أساسا بمهارتها ومدى اجتهادها في عملها. لكن إذا امتلكت المرأة هذه المقومات، بالإضافة إلى أنها جميلة، فإنها قد تُرمى بالكثير من التهم الجاهزة وتلاحقها الإشاعات، ويقال إنها توظف جمالها للحصول على مناصب أو ترقيات، وهذه هي الضريبة التي تدفعها معظم النساء الناجحات في عملهن".

ونصحت صياد النساء بالسعي إلى تأسيس ثقافة جديدة من خلال العمل على فرض أنفسهن داخل الأسرة والمجتمع ومواجهة التحديات بروح العزيمة والإصرار من أجل إثبات ذواتهن، لأن "النجاح ليس شيئا يأتي بمفرده" على حد تعبيرها.

هيمنة الرجل

أما الطبيبة الليبية سمية مختار الغول فترى أن "وضع المرأة الليبية قد شهد بعض التحسن، فيما يتعلق بحقوقها الشخصية وقرارها داخل الأسرة، حيث تتم استشارتها عند الزواج وتراعى حقوقها في حالات الطلاق، لكن الأمر مختلف في مجال العمل، حيث لا ينظر إلى المرأة باعتبارها فردا من المجتمع ولديها الحق في أن تبدي رأيها ويؤخذ به، بل يعتبر الرجل دائما الأحق بأمور القيادة وإصدار القرارات، ويجب الامتثال لأوامره، وأخطاؤه تغتفر ولا يتم التعليق عليها".

وقالت الغول لـ"العرب" "عقلية الرجل الليبي ترفض أن تأمر المرأة وتنهى، وهنا أتذكر حادثة في مجال عملي وإن كان الأمر نسبيا، لقد اجتاحت أحد الموظفين نوبة غضب من تأنيب المديرة ليرد عليها بصوت مرتفع: أنا لا (أرضى بحكم النساء)".

وأكدت الغول أن المرأة بإمكانها إثبات جدارتها وجعل الآخرين ينصتون إليها ويلتفون حولها إن هي أصرت على تصدر الصفوف الأمامية ورفضت أن تكون مواطنة من الدرجة الثانية.

ويرى البعض من خبراء علم الاجتماع أن الأفكار المسبقة حول المرأة تنعكس على النتائج أو المكاسب التي تحققها النساء، حتى وإن تبوأت المرأة موقع الرجل نفسه، وتصرفت التصرف ذاته، فليس بالضرورة أن تحصل على التقدير نفسه والاحترام ذاته من قبل المجتمع.

ونوّه الدكتور فيصل المحارب –عضو هيئة التدريس في قسم علم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– إلى أن الكثير من المجتمعات –وخصوصا القبلية– ما زالت تعاني من هيمنة ذكورية تمنح الرجال سلطة اتخاذ القرارات نيابة عن النساء، سواء كان ذلك في المجتمع أو داخل نطاق الأسرة، مشددا على أن المرأة لا يسمح لها بالمشاركة في اتخاذ القرارات وأحيانا لا تتم استشارتها في العديد من المسائل المتعلقة بحياتها الشخصية.

وقال المحارب لـ"العرب" "العادات والتقاليد البالية تعزز هيمنة الرجل وتلغي حق المرأة في اتخاذ القرار وتقلل من قدرتها على ذلك، وأيضا التفسير الخاطئ لبعض الأحاديث النبوية مثل حديث 'ناقصات عقل ودين' الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد به أن العاطفة أحيانا تغلب العقل عند المرأة، ولكن هذا لا يعني أن المرأة عاجزة عن اتخاذ القرار أو صنعه سواء داخل المجتمع أو في نطاق الأسرة، ولا أحد يستطيع أن يشك في أن المرأة قادرة على اتخاذ القرارات الصائبة حتى في مواقف الحياة الصعبة".

وأضاف "في الوقت الحاضر شهدت عدة مجتمعات حراكا اجتماعيا واضحا وتعزيزا كبيرا لدور المرأة في المجتمع، حيث أصبح نصف المجتمع (المرأة) يقوم باتخاذ العديد من القرارات المجتمعية والأسرية، وذلك راجع إلى عدة أسباب، لعل أهمها ارتفاع المستوى التعليمي للمرأة واقتحامها مختلف مجالات العمل، ما عزز وضعها الاقتصادي، ومنحها فرصة المشاركة في عملية صنع القرار".

وختم المحارب بقوله "في الماضي كان الرجل هو الذي يعمل ويعيل المرأة، أما اليوم فالمرأة تعمل وتشارك في الإنفاق على الأسرة، وبالتالي اكتسبت الحق بشكل أكبر في اتخاذ القرار".

معتقدات راسخة

رغم أن معظم المجتمعات قطعت شوطا طويلا، بعيدا عن تلك الممارسات الجائرة التي كانت فيها المرأة محرومة من الكلام، وبات حق النساء في التعبير عن رأيهن مكفولا بحكم القانون في مجمل دول العالم، فإنه يبدو أنّ من الصعب على الكثيرات تحدي النظم التقليدية والاجتماعية التي تجعل من قرارات الرجال هي الثقافة السائدة، وتضفي عليها الشرعية حتى وإن لم تكن صائبة، فضلا عن كونها تكرس الأنظمة الذكورية التي تغذي النظرة الدونية للمرأة، وتضيق الآفاق أمامها في الحياة العامة.

وهذا الأمر ليس بجديد، وفق ما تقول أمانادا فورمان، المؤرخة البريطانية من أصول أميركية، التي أشارت إلى أن أول القوانين التي كتبت في العصر السومري سنة 2400 قبل الميلاد، وعثر عليها في العراق الحديث مدونة على صحائف مخروطية الشكل جاء فيها أن "المرأة إذا تحدثت بما يسيء إلى الآخرين، فيجوز تهشيم أسنانها بآجرة".

أما اليوم فمن الشائع أن تبادر النساء بالتحدث أمام الرأي العام ويعبرن عن رأيهنّ، ويمثل ذلك مؤشّرا قويّا على أن المرأة قد أحرزت قدرا مهما من التقدم. غير أن أحد الفروق المهمة التي لا تزال موجودة بينها وبين الرجل هو أن معظم من يتولون المناصب القيادية من الرجال، وهو فرق يجعل الرجال أكثر هيمنة على مواقع صنع القرار واتخاذه، ما يجعلهم من الشخصيات المؤثرة في المجتمعات.

وأظهرت الأبحاث التي أجريت في السنوات الأخيرة أن الرجال ما زالوا يمثلون الجنس الأكثر تمثيلا في الندوات والمؤتمرات الصحافية والفكرية والبرامج التلفزيونية، فضلا عن سيطرتهم على مجرى الحديث وعدم فسح المجال للنساء ليعبرن عن رأيهن.

وكشفت دراسة أنجزها علماء من جامعتي برينستون وبريام يانغ في عام 2017 أنه بالرغم من التقدم الحاصل في تمثيل المرأة في الحياة الاجتماعية وتمكينها سياسيا، فإن الرجال هم الذين يتصدرون المشهد.

وأكد الباحثان كريس كاربوويتز وتالي مينديلبيرغ في خلاصة دراستهما التي عَنْوَناها بـ"الجنس الصامت"، أن "الوقت الذي خصص للنساء للحديث أقل بكثير من الوقت الذي خصص للرجال بالنظر إلى عددهن في الاجتماع، أي أن حديث الرجال استغرق من الوقت ما يقارب الـ75 بالمئة من الوقت الإجمالي".

وترى الأكاديمية البريطانية، ماري بيرد المتخصصة في الدراسات الكلاسيكية، أن هناك حاجة إلى تعزيز الوعي بقلة الفرص المتاحة أمام المرأة للحديث مقارنة بما يتاح للرجل.

وبينما ينطبق مثل هذا الأمر على مختلف بلدان العالم، فإن الحال قد يكون أسوأ بالنسبة إلى المرأة العراقية، المحاطة بكم هائل من الأفكار المتشددة، فضلا عن التخلف الاجتماعي الذي ساد البلاد بعد صعود الأحزاب الدينية والطائفية إلى الحكم، ما يجعل الرجال يتخذون في معظم الأحيان القرارات نيابة عن النساء.

وقال مالك أبوعطا، الإعلامي العراقي المقيم في الدنمارك، إن "المرأة العراقية تعرضت إلى المزيد من الحرمان والظلم والتعسف على مر العصور وأمعنت السلطات الدكتاتورية والاستبدادية في سلب واغتصاب حقوقها وتهميش دورها".

وأضاف أبوعطا لـ"العرب" "على الرغم من أن القوانين العراقية تؤكد على مكانة المرأة ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلا أن طبيعة المجتمع العراقي ما زالت ذكورية، وهو الموقف العام للنظام الاجتماعي الذي يتبنى معاييرَ تنتهك حرية المرأة، وتعلي شأن الرجل، وفي ظل هذه السيادة الذكورية تفتقد المرأة حريتها واستقلاليتها الاقتصادية ونشاطها الاجتماعي، وتتحول إلى تابعة لسلطة الرجل، فضلا عما تعانيه من ظلم من قبل الحكومة".

وتابع "المرحلة التي أعقبت الاحتلال الأميركي للعراق في عام 2003 شهدت المزيد من الإجراءات التعسفية في التضييق على حرية المرأة ومصادرة حقوقها، استنادا إلى تعاليم (دينية) لا تمت بصلة إلى جوهر الإسلام".

وأشار أبوعطا إلى أن المرأة العراقية قد تعرضت إلى القتل من قبل جهات مسلحة مدعومة من الأحزاب (الإسلامية)، مشددا على أن أبرز تحدّ تواجهه المرأة العراقية حاليا هو ممارسة حياتها بشكل طبيعي ودون ضغوط نفسية واجتماعية.

واعتبر أبوعطا أن ما يعمق المشكلة الاجتماعية والاقتصادية، ويدفع بالعديد من النساء العراقيات إلى الانتحار أو الهروب أو الهجرة، هو عدم جدية الدولة في معالجة المشاكل الاجتماعية ووضعها ضمن برامجها العامة.

صوت المرأة عورة

شرّعت مختلف البلدان العربية العديد من القوانين لحفظ حقوق المرأة العربية وحمايتها، ومنْحها فرصة إيصال صوتها، إلا أن الجدل القديم بشأن أن صوت المرأة "عورة" ما زال متجددا إلى اليوم.

واعتبر بعض الباحثين الإسلاميين أن تطرف بعض رجال الدين هو الذي وصم صوت النساء بـ"العورة"، بهدف إبقائهن صامتات وعزلهن عن المجتمع.

ودعا الشيخ بدري المدني، الباحث التونسي في الفكر الإسلامي، إلى هدم خرافات دعاة الدين المتشددين الذين يريدون أن يلزموا المرأة بتعاليمهم هم وليس بتعاليم الدين، على حد تعبيره.

وقال المدني لـ"العرب" إن "الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر كلماته في خطبة حجة الوداع قال 'استوصوا بالنساء خيرا'، لكن الفكر الذكوري المتكلّس والعادات والتقاليد الجامدة لم تصن هذه الوصية فصارت المرأة تحت سيف الحجر والمنع إلى حدّ التحقير من شأنها وسلبها حقوقها المشروعة".

وأضاف "ما زلنا إلى اليوم نسمع الرؤى البالية نفسها التي تدعو إلى قمع المرأة ووأدها واغتصاب ميراثها... والأخطر من ذلك استمرار سوء الفهم للمرويات الإسلامية، بحثا عن مرجعية شرعية لقيم التخلف والانحطاط التي سادت عالم المرأة".

وتابع "يكفينا الوقوف أمام أكبر وثيقة تحريرية من عقدة الانتقاص للمرأة وهي 'سورة المجادلة' التي احترم فيها الإسلام قرآنا ونبيئا رأي المرأة، وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول صلى الله عليه وسلم، وجمعها وإياه في خطاب واحد وهو 'والله يسمع تحاوركما' ".

وشدد المدني في خاتمة حديثه على أن "سورة المجادلة تعد أثرًا من آثار الفكر النسائي، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على مر العصور صورة احترام الإسلام لرأي المرأة، فالإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة، ينعم الرجل بشم رائحتها، وإنما هي مخلوق عاقل مفكر، له رأي، ولرأيها قيمته ووزنه، كما أنه فارق ديني بين المرأة والرجل في التكليف والأهلية والحقوق، إلا في ذهنيات المرضى بلوثة الفهم البليد والظلامي لدين أصله نور وجمال.. وهل ثمّة جمال كجمال المرأة جسدا وروحا؟".

فمتى تتخطّى المرأة الأطر الاجتماعية للمرأة "الضحية" و"الضعيفة" وتعبر عن رأيها بكل حرية واستقلالية؟

الشيخ بدري المدني

الإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ينعم الرجل بشم رائحتها

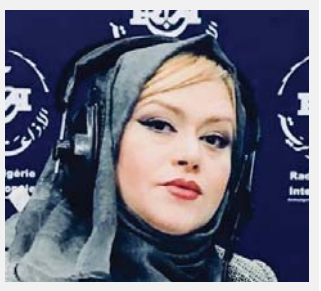

سميحة صياد

يجب أن تسعى النساء إلى تأسيس ثقافة جديدة داخل الأسرة والمجتمع

فيصل المحارب

العادات والتقاليد البالية تعزز هيمنة الرجل وتلغي حق المرأة في اتخاذ القرار

مالك أبوعطا

طبيعة المجتمع العراقي ما زالت ذكورية بامتياز وتنتهك حرية المرأة

سمية مختار الغول

المرأة قادرة على جعل الآخرين يستمعون إليها ويلتفون حولها

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

هل ابن أمه زوج مرفوض

سيطرة الأم تُفقد الابن نموه الاجتماعي والنفسي والشخصي

تتسم العلاقة بين أم الزوج وزوجة الابن في أغلب الأحيان وعلى مر العصور بالتأزم، وتتسبب حتى في قطع أواصر العلاقات بين العائلات كما أنها تعتبر من بين الأسباب الرئيسية في زيادة نسب الطلاق في العالم العربي، وتزداد العلاقة بين الزوجة وأم زوجها توترا إذا أفرط هذا الأخير في التعلق بأمه، وأظهر عدم قدرته على الاستقلالية بعد الزواج وتحمل مسؤولياته الأسرية دون الرجوع إلى أمه.

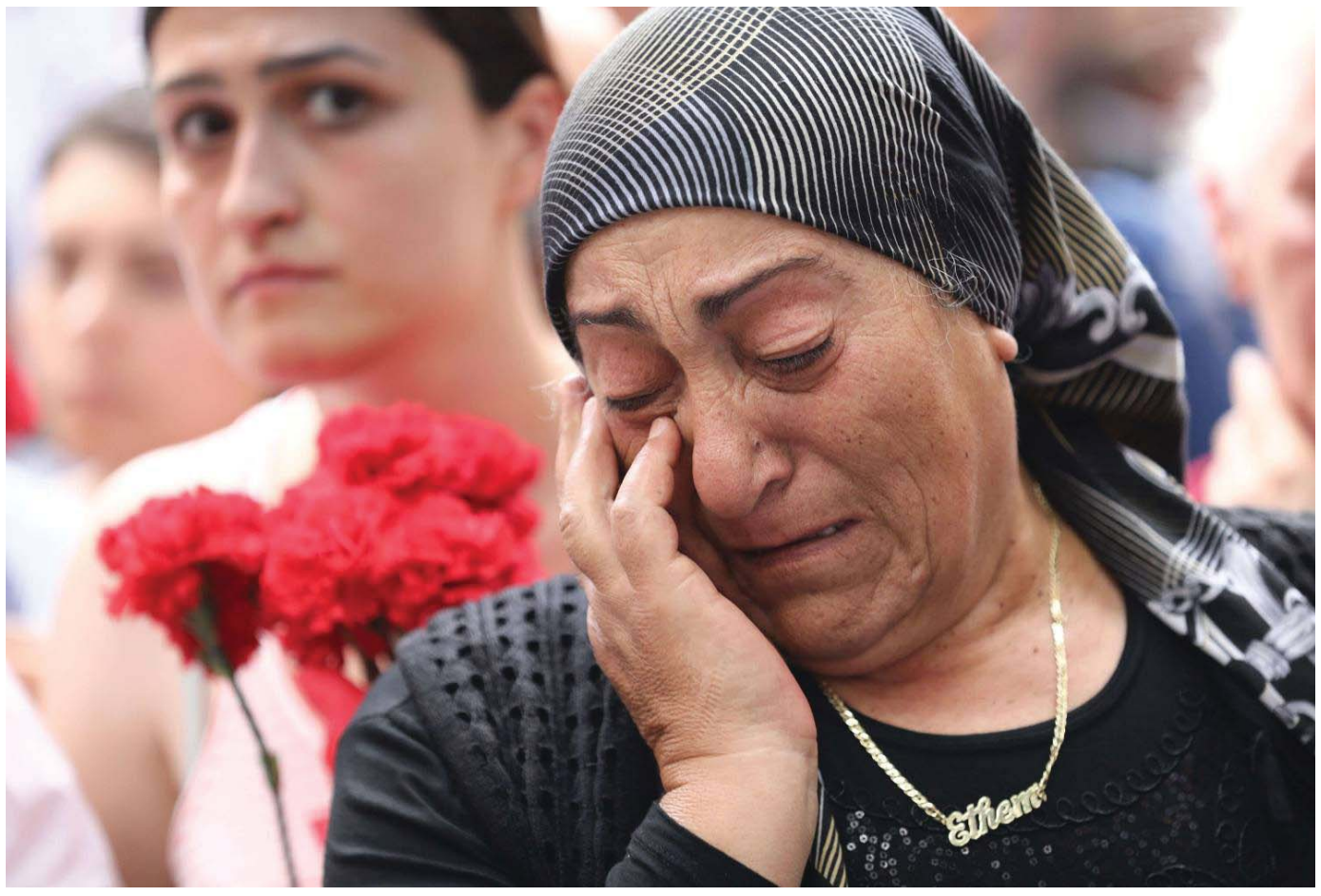

فطام صعب

سعاد محفوظ

شخصية الشاب الذي يربط كل حياته وتفاصيلها بوجود أمه، شخصية موجودة في مجتمعاتنا العربية، هذا الشاب يستشير أمه في كل شيء ولا يقدم على تنفيذ فكرة أو تحقيق غرض في الحياة إلا إذا استعان برأي أمه. فما موقف هذا الشاب حين يتزوج؟ هل سوف تقتنع به الفتاة التي سوف يتزوجها؟

تقول سارة، خريجة جامعية ومتزوجة حديثا "تزوجت شابا، وفوجئت أنني تزوجت أمه أيضا، فهي التي تختار كل شيء لنا، ولا يستطيع زوجي أن يشتري لي شيئا إلاّ بعد علمها واستشارتها.. وإذا جاءت لزيارتنا تدخل كل مكان في البيت لتبحث عما اشتراه ابنها لي ولأولاده فتحاسبه عليه، وتتدخل في كل شيء بيني وبين زوجي.. وحتى في تصرفاتي وعلاقاتي مع أهلي، كل هذا لا يهمني ولكن موقف زوجي كان موقفا سلبيا مطيعا لكل أوامرها.. فأحسست أنني لا أمثل شيئا بالنسبة له، فقررت أن أنفصل عنه".

> الالتصاق الشديد بالأم في مرحلة ما بعد المراهقة يعد نوعا من عدم الفطام عن الأم، ويعتبر مرضا نفسيا ترجع جذوره إلى عمليات التنشئة الاجتماعية في مراحل العمر المبكرة

وتروي ف.ع، طبيبة تحاليل، حكايتها مع مثل هذه الشخصية الاعتمادية فتقول: كنت مخطوبة لشخص وانفصلت عنه بسبب سيطرة أمه عليه وغيرتها الشديدة مني، فهو لا يزورنا ولا يدعوني للخروج معه إلا إذا أخبر أمه بذلك، وعندما ترفض أمه شيئا ما فهو على الفور يوافق على رأيها ويساند قراراتها ولا يستطيع أن يعارضها إطلاقا.

وترى نادية مندور، مهندسة مدنية أن مثل هذه الشخصية غالبا ما تكون ضعيفة ولا تستطيع أن تتخذ أي قرار فهي ضحية فعلا لتصرفات مثل هذه الأم المخطئة في طريقة تنشئتها له، وهذه الشخصية من الصعب أن يكون لها أسرة مستقلة عن تحكم الأم، ولذلك أرفض الارتباط به، لأن الأم لن تسمح بأن أحتل مكانها في قلب ابنها لذا سوف تتدخل في كل كبيرة وصغيرة وغالبا ما ينتهي مثل هذا الارتباط بالفشل.. فالحياة مع مثل هذه الشخصية ستكون مليئة بالمشاكل والنزاع المستمر.

وأكدت الدكتورة زينب شاهين أستاذة علم الاجتماع أن مثل هذه الشخصية غير سوية، لأنها تمتثل لسطوة وسيطرة شخص آخر، حتى وإن كان هذا الشخص هو الأم أو الأب، وهذه المظاهر السلوكية نعزوها بدرجة أولى لطريقة التنشئة والتربية الاجتماعية، حيث كانت الأم مسيطرة على الابن ومتخذة للقرارات نيابة عنه وتوجهه بالشكل الذي يتراءى لها دون أن تضع في اعتبارها أن هناك فرقاً بين احتياجات الابن ورغبته وميوله.. ومن ثم أصبح هذا الابن يعاني من شخصية اعتمادية لا تستطيع أن تستقل بالرأي أو تتمتع بالثقة بالنفس من حيث القدرة على المبادرة أو اتخاذ القرار.

وأضافت موضحة "هذه الشخصية لا تتخذ القرار إلا بعد الرجوع لمن يعطونه هذا القرار.. وهي شخصية مترددة لا تمتلك الثقة بالنفس.. ومن السهل قيادتها من قبل الزوجة، أي يتبع رغبات زوجته، وبالأخص في حالة عدم وجود أمه التي هي مصدر قراراته".

وقال مختصون إن الزوج ابن أمه هو غالبا شخصية اعتمادية، تعوّد تعزيز أفعاله من أمه دائما، محذرين من الاصطدام بسلوكيات الزوج الذي تنقصه مهارات اجتماعية كثيرة، بسبب نمط تنشئة والدته الخاطئ لمكتسبات ومهارات الحياة المعقدة.

ومن جانبها قالت الدكتورة إلهام فرج أستاذة علم الاجتماع بجامعة القاهرة إن هذه الشخصية لا تكون لها سيرة غير الأم وفي كل نقاش يقول "سأسأل ماما".. وأيضا هي شخصية ليست لديها القدرة على المواجهة.. وهي شخصية لا تتمتع بالاستقلالية الذاتية في أفكارها أو تطلعاتها فمن الممكن أن يعتمد على شخص أو جماعة أو مجتمع كامل. وغالبا ما يكون هذا الشخص هو الأم لوجودها فترة أطول في البيت مع أبنائها، وكذلك لقدرة الأم على إعطاء الحنان والحب الزائد عن أي فرد آخر..ومن الممكن أن تجعل الأم ابنها معتمدا عليها قاصدة ذلك أو دون قصد أو نتيجة لسمات فسيولوجية وبيولوجية وسيكولوجية للابن.

ومن وجهة نظر الدكتورة نادية رضوان أستاذة علم الاجتماع بجامعة السويس فإنه لابد أن نفرق بين الوفاء للأسرة أو للأم وبين الانصياع للأم دائما.. "وأنا أرى أنه من المفترض أن يظل الابن في حضن أمه يستقي من تجاربها وخبراتها ونظرتها الواسعة للحياة حيث تكون أكثر قدرة على الأخذ بيده وتوجيهه من وجهة نظر امرأة ناضجة ذات تجارب وخبرات، وتسعى إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من مصالح هذا الابن.. وفي مرحلة ما قبل الزواج ترسم خطوط حياته لأنه من الممكن أن يكون الشاب غير قادر على إقامة علاقات مع الجنس الآخر بسبب عدم إتاحة هذه الفرصة له في مجال عمله أو احتكاكه بالعالم الخارجي.. كما تظل الأم مع ابنها في المراحل التي تلي الخطبة، فتقف بجانبه وتشاركه إعداده للزواج وتأثيث شقة الزوجية والإعداد للزفاف".

وتتساءل رضوان لماذا نحمّل الأم كل هذا الهم في كل هذه المراحل وبعد أن يصبح الابن في بيته لا يكون للأم أي دور ونطالبها بالابتعاد؟! إنني ضد أن لا يكون الأم أي اعتبار حتى ولو دورا استشاريا أو حتى إيهامها بأن لها نفس المكانة عند الابن، ولا بد أن يظل الابن مواليا لها وإنه مازال على نفس عهدها به.

وأضافت قائلة "وإن كان عليه أن يقف عند بعض المواقف وقفة الرجل، وذلك عندما تتعلق الأمور بعلاقته الشخصية مع زوجته، لأن العلاقة الزوجية لابد وأن تبقى بعيدا عن الأقارب والأصدقاء، أعتقد أن هذا سر السعادة الزوجية.. هذا لا يعني خروج الأم من حياة الابن كلية، ولكن لابد من الاتصال والتواصل والقيام بالزيارات ومحاولة التقريب بين وجهات نظر الأم والزوجة.. فالزوج هنا يلعب دورا خطيرا في عملية المهادنة بين الأم والزوجة وليس معنى مشاركة الأم أن تسيطر على حياة ابنها وزوجته وإنما عليها النصح والإرشاد والتعبير عن الرأي فقط.

وأشارت رضوان إلى أن وجود مثل هذه الشخصية السبب فيه هو الالتصاق الشديد بالأم في مرحلة ما بعد المراهقة والذي يعد نوعا من عدم الفطام عن الأم، ويعتبر مرضا نفسيا ترجع جذوره إلى عمليات التنشئة الاجتماعية في مراحل العمر المبكرة، حيث إنه من المعتاد أن يتقلص اعتماد الطفل على أمه في مرحلة المراهقة، ويبدأ في الاستقلال بشخصيته بعيدا عن سلطة الأم، ولا تكون الأم في هذه المرحلة سوى المستشارة.. فلا يجب أن تكون الأم الشخصية المسيطرة التي تسعد بانضواء ابنها تحت جناحها، لأن هذا لا يؤدي إلى نموه اجتماعيا أو نفسيا أو شخصيا، وبالتالي ينعكس عليه في مراحل عمره المقبلة والتي لا يستطيع التخلص منها حتى بعد تكوينه لأسرته الجديدة من خلال الزواج.

وأكد مختصون في علم الاجتماع أن وصف "ابن أمه" جائر وفيه نوع من الاستفزاز، لأن ميل الرجل لأمه ورقته في التعامل معها وطاعتها كلها أمور لا تعكس ضعف شخصية وإنما نتاج التربية الحسنة، ولا تتعارض العلاقتان إلا عندما يكون هناك أم أنانية وزوجة غير متفهمة، فطبيعي أن تسعد الأم لسعادة ابنها حتى ولو كان ذلك مع امرأة أخرى وهي زوجته، كما أنه من الطبيعي أيضا أن تطمئن الزوجة عندما يكون زوجها بارا بوالدته، وما دون ذلك يعتبر حالات مرضية يتورط بها الرجل قسرا.

طلقت زوجتي لكنني لا أزال أحبها

محمد خديمي

روى أحد الأصدقاء أن علاقته بزوجته السابقة بعد الطلاق انقلبت إلى "حرب ضروس مادّتها الأبناء، وسلاحها التشويه"، هكذا عبّر عن معاناته وهو يسرد قصّته بحيث تمكنت طليقته من هزّ صورته أمام أبنائه، فصدّقوا بأنه أب قاس وأنانيّ، ضحى بأبنائه من أجل مصالح شخصية بحتة. الأمر يبدو طبيعيا إذا اعتبرنا أن الطليقة مجروحة، وما فعلته لا يعدّ سوى مجرّد ردّة فعل، ولكن هل كل المطلقات ضحايا؟

وفي مقابل ما يحدث بين المطلقين من قطيعة وصدام وتشويه، دهشت حينما علمت بأن إحدى المطلقات –من معارف العائلة الموسعة– لم تقطع علاقتها بطليقها، ولم يشمتا في بعضهما البعض، وظل أبناؤهما يتعاملون بإيجابية وفاعلية مع كليهما، حتى أن الطليق يزور طليقته باستمرار ويتكفّل ببعض شؤونها وشؤون أولادها، وقد شاهدتهم في إحدى المرات يتناولون الطعام في مكان عام كالأسرة السعيدة، تعلو ملامحهم الفرحة والسرور.

موضوع علاقة المطلقين ببعضهم البعض جدليّ بامتياز، لأنه يطرح الأمر ونقيضه، والمتصفّح لوسائل التواصل الاجتماعي أو المتابع لبرامج الواقع التي تعرض على شاشات الفضائيات في مشرق ومغرب الوطن العربي، يكتشف هذه الجدلية التي تصل في أغلب الأحيان إلى مفارقات. فمن الآراء ما يقرّ بأن علاقة الأزواج تنتهي بمجرّد إعلان الطلاق ويقع تبرير ذلك إما دينيا وإما اجتماعيا. أما الرأي المعاكس فلا يرى مانعا من تواصل العلاقة لصالح الأبناء خاصة، فيمكن للمطلقين أن يكونوا أصدقاء لا أزواج.

ففي العالم العربي ارتفعت نسب الطلاق وأضحت ظاهرة مخيفة يجب الوقوف عندها بتروّ وموضوعية، لأنها ساهمت في تقويض الحياة الأسرية وكانت النتائج وخيمة على تربية الأطفال ومستقبلهم، فلطلاق تأثيرات نفسية ومادية تنعكس على المرأة أولا في مجتمعات ذكورية تحملها تبعات فشل الزواج، وعلى الأبناء في ما يتعلق بتعليمهم ومتطلباتهم العاطفية والنفسية والمادية.

وإذا كان الطلاق عمليا هو استحالة العيش المشترك بين الزوجين لأسباب كثيرة ومتعددة وذات أبعاد عاطفية ونفسية واجتماعية وثقافية ومادية، فإنه لا يعني بالضرورة قيام حرب ضروس لا تهدأ وتيرتها، تستعمل فيها كل أنواع الأسلحة المشروعة والمحرمة عُرفا وتقاليد ونواميس اجتماعية وشرعية. وهذه العلاقة بين المطلقين تحدّدها أمور عدّة؛ منها ما يتعلّق بالتشريعات الدينية ومنها ما يتّصل بالعقلية الجماعية السائدة أو العادات والأعراف أو حجم الاختلاف الذي طرأ بين الأزواج وأدى إلى الطلاق. ما يجلب الانتباه فعلا هو طبيعة العلاقة بين الأزواج بعد الطلاق والتي تتراوح بين التواصل بنسب مختلفة وبين القطيعة النهائية.

يقول الله تعالى "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ". هذه الآية الكريمة حدّدت بما لا يدع مجالا للشك جوهر العلاقة الزوجية، وبالتحديد عند استحالة العيش المشترك بين الزوجين، فالأفضل الانفصال وفق القواعد الشرعية والوضعية المدنية دون هتك للأعراض أو تعدّ من أي نوع كان ماديا أو نفسيا.

في هذا الشأن تختلف المجتمعات وحتى العائلات في تعاطيها مع وضعيات الطلاق وفي تقييمها لطبيعة العلاقة التي تربط الأزواج بعد طلاقهم. ومن باب الحرص على تجميع مختلف الآراء حول الموضوع عدت إلى مجموعة من الدراسات، واستخلصت منها أن العلاقات تتوتر بعد الطلاق بسبب الرغبة في الانتقام من أحد الزوجين أو بسبب ظلم شديد مورس على أحدهما بحيث لا مجال لنسيانه أو جرح عميق ناتج عن خيانة أو استهتار أو عدم وعي بأن العيش المشترك استحال.. وتطول القائمة، ولكن الأكيد أن كل ذلك يعود إلى العقلية الأسرية والاجتماعية التي نشأ عليها الشخص.

الكثير من المطلقين في المجتمعات المنغلقة برهنوا أنهم واعون بضرورة التواصل الإيجابي للمحافظة على الحدّ الأدنى من التماسك الأسري وخاصة في ما يتعلّق بالأبناء، وقد يكون الأبناء أنفسهم حلقة الوصل الإيجابية بين المطلقين. قال أحد الأصدقاء في مفارقة عجيبة "طلقتها ولكنني لا أزال أحبها، وهذا سرّ العلاقة الإيجابية التي تجمعنا الآن".

على أسرنا ومجتمعاتنا أن تعيد النظر في علاقات الزواج والطلاق معا للمحافظة على الحدّ الأدنى من التماسك العائلي الذي هو في الحقيقة المفهوم الذي تتأسس عليه مفاهيم المواطنة والمدنية.

قطيعة وضياع

موضة

معطف الكاب نجم موضة الخريف

يمثل معطف الكاب (Cape) نجم الموضة النسائية في خريف 2019 ليمنح المرأة إطلالة دافئة تنطق بالأناقة والفخامة. ويطل معطف الكاب هذا الموسم بتصاميم متنوعة ليرضي كل الأذواق.

وأوضحت خبيرة الموضة الألمانية ميلينا جورج أن معطف الكاب يعد خيارا مثاليا وعمليا للفترة الانتقالية بين فصلي الصيف والشتاء.

وأضافت جورج أن معطف الكاب يطل هذا الموسم بقصّات مختلفة كي تجد كل امرأة موديلا يناسب قوامها؛ حيث توجد موديلات قصيرة وأخرى طويلة يصل طولها إلى الأرض، وموديلات واسعة وأخرى ضيقة.

وأشارت خبيرة الموضة الألمانية ريتشي كاركوفسكي إلى أن معطف الكاب يأتي في الغالب مصنوعا من الصوف، ولكن توجد أيضا موديلات مصنوعة من الجيرسيه أو الجلد أو المخمل.

ويكتسي معطف الكاب باللون البيج، إلا أنه يتألق بألوان زاهية أيضا كالبرتقالي والأحمر، كما يزدان بنقوش متنوعة كنقوش الكاروه. بالإضافة إلى ذلك، تشتمل بعض الموديلات على تفاصيل إضافية كالأزرار والياقة.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

الأندية التونسية تغزو السوق الجزائرية بقوة

التجارب الناجحة في تونس تعزز إقبال الكبار على مواهب الجزائر

عاش الدوري التونسي لكرة القدم في المواسم الأخيرة على وقع تهافت لافت على السوق الجزائرية من أجل التعاقد مع عدد من اللاعبين بالأندية الكبرى، في تجارب اعتبرها الملاحظون مؤشرا على قاعدة نجاح الأقدام الجزائرية التي تركت بصمة قوية في الملاعب التونسية منذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

أرقام سيخلدها التاريخ

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

تونس – مازالت الأندية التونسية مستمرة قي مسلسل تعزيز صفوفها استعدادا للموسم الجديد، الذي سينطلق السبت 24 أغسطس الجاري. وقد كانت السوق الجزائرية هي الأولى للفرق التونسية، التي أرادت أن تستثمر بقوة، في قانون اعتبار لاعب شمال أفريقيا محليا.

ويعتبر التوجه نحو المدرسة الجزائرية في المواسم الأخيرة ناجحا، إذ تألق المدافع الدولي السابق عنتر يحيى ويوسف البلايلي مع الترجي التونسي، وبلغا المربع الذهبي لدوري أبطال أفريقيا وقتها، في حين توج بغداد بونجاح مع النجم الساحلي بكأس تونس.

كما تألق الدولي عبدالمؤمن جابو مع النادي الأفريقي وكاد يحرز معه لقب دوري الموسم الماضي الذي آل إلى النادي الصفاقسي. ولا شك أن تألق الجزائريين في الدوري التونسي نابع من سهولة الاندماج وتقارب نمط العيش بين تونس والجزائر.

ويمكن القول إن اللاعبين الجزائريين شرّفوا بلادهم في تونس، والدليل أن كل الوافدين على الدوري ينشطون مع أندية تراهن على الألقاب المحلية والأفريقية.. وقد اختارت العديد من الوجوه اللعب في تونس بعد تجارب احتراف في أوروبا لعراقة الأندية التونسية وسمعتها محليا وقاريًا وإقليميًا.

> التقارب الجغرافي والمناخي والعادات والتقاليد بين الجزائر وتونس وراء إقبال الأندية التونسية على انتداب اللاعبين الجزائريين

ويعتبر نادي الترجي أكثر المستفيدين من هذا القانون، فبعدما اعتمد الموسم الماضي على الجزائريين، يوسف البلايلي والطيب المزياني والليبي حمدو الهوني، عزز في الميركاتو الصيفي الحالي رصيده بأربعة جزائريين دفعة واحدة. وهم: بلال بن ساحة مهاجم دفاع تاجنانت، ومدافع وفاق سطيف عبدالقادر بدران، بالإضافة إلى متوسط ميدان أتليتيك بارادو، عبدالرؤوف بن غيث، والظهير الأيسر لشبيبة القبائل إلياس الشتى. إن التقارب الجغرافي والمناخي والعادات والتقاليد بين الجزائر وتونس وراء إقبال الأندية التونسية على انتداب اللاعبين الجزائريين الذين رفض عدد منهم عروضا أوروبية وفضلوا الدوري التونسي لتوفر عوامل النجاح.

وفي هذا السياق تحتفظ الذاكرة بعديد التجارب الناجحة للجزائريين في تونس، وهو ما دفع الأندية الكبرى للتهافت على الأسماء اللامعة في الدوري الجزائري أمثال يوسف البلايلي الذي بلغ مع الترجي نهائي دوري أبطال أفريقيا العديد من المرات.

مواهب جديدة

يسعى الترجي إلى ضم مواهب جديدة من السوق الجزائري لتعويض الرحيل المتوقع لمعظم نجوم الفريق، نظرا إلى العروض المغرية، حيث كانت البداية برحيل سعد بقير لنادي أبها السعودي، وبعد ذلك انتقال فرانك كوم لنادي الريان القطري فيما يقرب من 3 ملايين دولار. الترجي دائما يعرف كيفية حسم الصفقات، واختيار اللاعبين خاصة من الدوري الجزائري.

الموسم قبل الماضي حدثت أزمة كبرى بين الترجي والنجم الساحلي بسبب فرانك كوم، اللاعب الكاميروني جاء من أجل الانضمام لناديه السابق النجم الساحلي، ولكنّ مسؤولي الترجي كانوا في الموعد وحسموا انضمام لاعب الوسط، الذي أصبح أحد نجوم الفريق وحصد لقب دوري أبطال أفريقيا، رغم الاستغناء عنه بمبلغ خرافي وصل إلى 3 ملايين دولار بعد أن جاء في صفقة انتقال حر.

ما حدث مع كوم تكرر بنفس السيناريو مع بلال بن ساحة جناح فريق دفاع تاجنات الجزائري، النجم الساحلي أعلن مرارا وتكرار أن الصفقة في طريقة للإعلان الرسمي، ولكن حمدي المؤدب رئيس الترجي توجه إلى الجزائر وحسم صفقة الجناح الشاب المتوقع بزوغ نجمه في الكرة الأفريقية الموسم المقبل. جدير بالذكر أن إلياس شتى لاعب شبيبة القبائل الجزائري، سبق ترشيحه للانتقال لنادي الزمالك لحل مشكلة الظهير الأيسر ولكنه انتقل بشكل نهائي للترجي التونسي.

وسجل نادي الترجي، شيخ الأندية التونسية، رحيل عدد من لاعبيه الأساسيين والذين يشكلون العمود الفقري للفريق الذي حقق بطولة الدوري التونسي للمرة التاسعة والعشرين، وفاز بلقب دوري أبطال أفريقيا 2018، وحسم لقب العام الحالي لعد قرار رسمي من الكاف. ورحل لاعبون على اعتبار أن الترجي لم يبادر إلى تجديد عقودهم، وآخرون استفاد منهم الترجي في صفقة مالية كبيرة بحكم ارتباطهم بعقود طويلة.

ولتغطية النقص أخذ الترجي كل احتياطاته وأبرم صفقات كبيرة مكلفة، وركز على اللاعبين الجزائريين. يذكر أن الترجي احتفظ بمهاجمه أنيس البدري وبقائده خليل شمام، والجزائري يوسف بلايلي حتى إشعار آخر، والحارس معز بن شريفية وبديله رامي الجريدي. ويتطلع الترجي لخوض موسم حافل من البطولات المحلية والخارجية.

من جهته ضم النجم الساحلي خلال صائفة 2013 المهاجم بغداد بونجاح الذي اعتبر أبرز صفقات سوق التنقلات في الدوري. وتعاقد بونجاح -القادم من اتحاد الحراش الجزائري- مع فريق جوهرة الساحل لمدة ثلاث سنوات، وتوج مع النجم بلقب كأس تونس 2013. من جهته كسب الدولي عبدالمؤمن جابو الإجماع في تجربته مع الأفريقي، وكان له الشرف بالانضمام إلى منتخب الجزائر.

وعلى غرار التجربة الناجحة لبونجاح تعاقد النجم الساحلي مع الجزائريين يانيس تافر وسليم بوخنشوش، اللذين سيكونان إلى جانب الجزائري كريم بالعربي، الذي انتدبه فريق جوهرة الساحل الموسم الماضي. كما تعاقد الصفاقسي بدوره مع 3 جزائريين، وهم المدافع محمد أصفان قادما من أولمبيك مارسيليا، والذي أمضى عقدا بـ3 سنوات، وعبدالكريم خشمار، من أولمبيك مارسيليا أيضا، ووقّع عقدا مدته 3 سنوات كذلك، بالإضافة إلى محمد إسلام بكير، وهو لاعب رواق هجومي. وانتدب الصفاقسي أيضا، المصري عمرو جمال، بنظام الإعارة من الأهلي.

وفي ظل عقوبة الفيفا، اكتفى الأفريقي باستعادة لاعبه الجزائري، مختار بلخيثر. كما أن الوافد الجديد على الرابطة المحترفة الأولى، مستقبل سليمان، عزز صفوفه بلاعب جزائري، وهو محمد عطية، فيما انتدب نجم المتلوي، الجزائري عبدالرحمن بن جامع، الذي وقّع عقدا لموسمين. واتجهت بعض الفرق الأخرى أيضا إلى السوق الجزائرية، وكان نصيب الأسد لصالح اتحاد تطاوين، الذي ضم 4 جزائريين، وهم: لاعب جمعية وهران، مولاي عبدالعزيز عبدالقادر، ومتوسط الميدان هيثم غريب، ويوسف العيدودي، والجيلالي بن شنان، الذين أمضوا عقودا لـ3 مواسم. كما قام النادي البنزرتي بـ6 انتدابات، من بينها الجزائري جمال الدين شتال، الذي أمضى عقدا مدته 3 سنوات، فيما تعاقد اتحاد بن قردان مع الجزائري الآخر سفيان خليلي.

وتبحث النوادي التونسية دائما عن لاعبين جاهزين وذوي قدرات فنية عالية وقادرين على تقديم الإضافة لهذه النوادي، فيما يمثّل اللعب في فرق تونسية كبرى فرصة أمام اللاعب الجزائري للبروز، وربما الالتحاق بمنتخب الجزائر أو أحد الفرق الأوروبية التي صارت تركز على دوريات بلدان شمال أفريقيا أكثر من اهتمامها بلاعبي ودوريات بلدان جنوب الصحراء الأفريقية، خصوصا أن نسق الدوري التونسي أرفع وأقوى من الدوري الجزائري.

صادق الاتحاد التونسي لكرة القدم منذ 19 ديسمبر 2018، على قرار اعتماد اللاعب المغاربي، وتحديدا الدول المنضوية تحت راية اتحاد شمال أفريقيا (الجزائر- المغرب- مصر- ليبيا)، كلاعب غير أجنبي في الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم.

منعرج حاسم

ومثّلت هذه النقطة منعرجا حاسما لعديد الفرق التونسية التي أصبحت وجهتها الرسمية هي البطولة الجزائرية، بحيث سيطرت السوق الجزائرية على أغلب انتدابات فرق الرابطة المحترفة الأولى، مستثمرة بذلك هذا القانون.

وقد رحبت النوادي الأربعة الكبرى خاصة، بالقرار باعتبارها مستفيدة منه بالنظر إلى إمكانياتها المالية وقدرتها على جلب لاعبين من هذه البلدان على غرار النجم الساحلي والنادي الصفاقسي والترجي الرياضي التونسي والنادي الأفريقي، وقد قامت فعلا بانتداب عدد من اللاعبين وتوقيع العقود في الآجال المحددة لفترة انتقال اللاعبين.

في المقابل عبّر رؤساء اتحادات مصر والجزائر والمغرب وليبيا لكرة القدم بتونس عن موافقتهم على تفعيل هذا القرار في بلدانهم، وأكدوا على ضرورة احترام حقوق اللاعبين وتطبيق القوانين الجاري بها العمل في هذا المجال، واستعدادهم للتفاعل الإيجابي والمعاملة بالمثل.

ورغم أن هناك حالات لتبادل اللاعبين في رياضات الكرة الطائرة وكرة اليد وكرة القدم بين مصر وكل من ليبيا وتونس، إلا أن الظاهرة تعد شبه معدومة عندما يتعلق الأمر بمصر وكل من الجزائر والمغرب باستثناء احتراف الجزائري عودية في الزمالك.

لكن تغير المشهد، ناهيك أن ظاهرة تبادل اللاعبين بين تونس والجزائر والمغرب بدأت أيضا في إظهار وجه معاكس، برحيل وجوه رياضية تونسية إلى كل من الجزائر والمغرب.

وقبل سنة كان نجم منتخب تونس السابق عادل الشاذلي أول تونسي ينضم إلى الدوري المغربي بلعبه في صفوف الرجاء، وذلك منذ عقود طويلة على انضمام تونسي مغمور هو بدرالدين بن جبلي في صفوف نادي التبغ البيضاوي، ثم أصبح مواطنه فوزي البنزرتي أول مدرب تونسي ينتقل للمغرب بإشرافه على الرجاء. علما أن اللاعبين المغاربة يعدّون من أكثر المحترفين الذين تضمهم الأندية التونسية منذ عقود. والظاهر تستمر بانتقال لاعبين تونسيين في الدوريات المصرية والجزائرية والمغربية والليبية.. فهل ستحافظ هذه التجربة على نجاحها في المستقبل؟

بصمة قوية

نجحت عديد الأسماء الجزائرية في ترك بصمة قوية في الملاعب التونسية على غرار المدافع فضيل مغارية الذي أحرز مع الأفريقي لقبي الدوري والكأس في تونس وكأس الأندية الأفريقية البطلة والكأس الأفرو-آسيوية عام 1991، إضافة إلى بلال الدزيري الذي توج مع النجم بكأس الكؤوس الأفريقية والكأس الممتازة عام 1998.

> الدوري التونسي كان قبلة كذلك للعديد من المدربين الجزائريين الناجحين أمثال رابح سعدان ورشيد بلحوت ثم عبدالحق بن شيخة

كما احتضنت الأندية التونسية عددا كبيرا من اللاعبين الجزائريين أمثال حميد الرحموني وعبدالرزاق دجانيت ومليك زرقان والرزقي عمروش وطارق العزيزي وكريم غازي وفريد غازي وفؤاد بوقرة وعبدالمالك شراد وخالد لموشية وغيرهم.

يذكر أن الدوري التونسي كان قبلة كذلك للعديد من المدربين الجزائريين الناجحين أمثال رابح سعدان ورشيد بلحوت ثم عبدالحق بن شيخة وعبدالكريم بيرة ومصطفى كيوة وعبدالعزيز خروف وعزالدين آيت جودي. على أن الامتياز يبقى للمدرب علي فرجاني الذي أشرف على خمسة أندية تونسية وهي الاتحاد المنستيري والأولمبي الباجي والترجي ومستقبل المرسى والنادي البنزرتي.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

أرسنال يواصل انطلاقته القوية في الموسم الجديد للدوري الإنكليزي

رقم مميز يعود للمدفعجية بعد غياب 10 سنوات

واصل أرسنال انطلاقته الناجحة في الموسم الجديد من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم محققا انتصارا مثيرا على ضيفه بيرنلي السبت في المرحلة الثانية من المسابقة. ورفع أرسنال، الذي فاز في المرحلة الأولى على نيوكاسل، رصيده إلى 6 نقاط، بينما تجمد رصيد بيرنلي عند ثلاث نقاط حصدها من خلال الفوز في المرحلة الأولى على ساوثهامبتون.

لندن – حقق أرسنال فوزه الثاني توالياً إثر تغلبه على ضيفه بيرنلي 2-1 في افتتاح المرحلة الثانية من بطولة إنكلترا لكرة القدم السبت، والتي شهدت أيضا فوز ليفربول على مضيفه ساوثهامبتون 2-1. وفي مباريات أخرى فاز نوريتش سيتي على ضيفه نيوكاسل يونايتد 3-1 وفاز بورنموث على مضيفه أستون فيلا 2-1 كما فاز إيفرتون على ضيفه واتفورد 1-0 وتعادل برايتون مع ويستهام يونايتد 1-1.

وكان أرسنال قد عاد من ملعب نيوكاسل بالفوز 1-0 في المرحلة الأولى ليرفع رصيده إلى 6 نقاط.

وخاض المدافع البرازيلي دافيد لويز أول مباراة رسمية له مع فريقه الجديد بعد الانتقال إليه في اليوم الأخير من باب الانتقالات المخصص للأندية الإنكليزية قادما من جاره تشيلسي، وكذلك فعل لاعب الوسط الإسباني داني سيبايوس المعار من ريال مدريد.

> **شبكة «سكواكا» للإحصائيات قالت إن فريق أرسنال بدأ الدوري الإنكليزي بفوزين متتاليين، لأول مرة منذ موسم 2009 - 2010**

أما الجناح العاجي نيكولا بيبي فجلس على مقاعد اللاعبين الاحتياطيين للأسبوع الثاني توالياً. وغاب عن أرسنال قائده السويسري غرانيت تشاكا المصاب.

وحقق نادي أرسنال، رقما مميزا بعد تغلبه على ضيفه بيرنلي. وقالت شبكة "سكواكا" للإحصائيات، إن أرسنال بدأ الدوري الإنكليزي بفوزين متتاليين، لأول مرة منذ موسم 2009–2010. وتغلب أرسنال في المباراة الأولى على نيوكاسل يونايتد (1–0)، بينما انتصر على بيرنلي (2–1).

وافتتح ألكسندر لاكازيت التسجيل لأرسنال، ثم أدرك آشلي بارنس التعادل لبيرنلي، قبل أن يسجل بيير إيميرك أوباميانغ هدف الفوز 2–1 للغينرز. وبدأت المباراة بإيقاع لعب سريع وفرض أرسنال تفوقه مبكرا عبر الاستحواذ على مجريات اللعب والضغط الهجومي، لكن الدقائق الأولى لم تشهد فرص تهديفية حقيقية.

وجاءت أول فرصة خطيرة في الدقيقة 12 حيث تلقى ألكسندر لاكازيت كرة عالية وسط ارتباك في منطقة الجزاء، وجهها برأسه لكن نيك بوبي حارس مرمى بيرنلي تصدى لها ببراعة لينقذ الشباك من هدف محقق. وبعدها بثوان، جاء هدف التقدم لأرسنال عن طريق لاكازيت حيث تلقى الكرة أمام المرمى وسيطر عليها ببراعة شديدة، رغم الحصار الدفاعي ثم سددها لتمر بين ساقي الحارس إلى داخل الشباك معلنة تقدم أرسنال 1–0.

ورد بيرنلي بمحاولة خطيرة في الدقيقة 18، حيث تلقى جيمس تاركوفسكي الكرة من ضربة ركنية وسددها برأسه لتصل إلى رأس زميله آشلي بارنس الذي حاول إسكانها الشباك لكن بيرند لينو حارس مرمى أرسنال تصدى لها، في الوقت الذي رفع فيه المساعد أيضا الراية مشيرا إلى وجود تسلل.

ودخل بيرنلي في أجواء المباراة بشكل أكبر وتوالت محاولاته الجادة لإدراك التعادل خاصة عبر الكرات العالية لكن تألق الحارس لينو والتمركز الجيد لمدافعي أرسنال، أنقذا الشباك أكثر من مرة.

التأمين الدفاعي

كثّف أرسنال تركيزه على التأمين الدفاعي لدقائق مع البحث عن الفرصة عبر الهجمات المرتدة السريعة، مستفيدا من انطلاقات المتألقين داني سيبايوس وناتشو مونريال وكذلك بيير إيميرك أوباميانغ، لكن بيرنلي نجح في تحقيق التوازن بين الجانبين الهجومي والدفاعي. وكاد أرسنال أن يعزز تقدمه بالهدف الثاني، حيث انطلق سيبايوس ومرر كرة رائعة إلى ماتيو غندوزي غير المراقب، والذي انطلق ثم سدد من داخل حدود منطقة الجزاء لكن الحارس تصدى للكرة ببراعة.

وفي الدقيقة 43، أدرك بيرنلي التعادل حيث تلقى كريس وود طولية ومرر الكرة إلى دوايت ماكنيل الذي سدد كرة قوية ارتطمت بأحد المدافعين ثم وصلت إلى زميله آشلي بارنس المتمركز أمام المرمى، ليسكنها الشباك معلنا تعادل بيرنلي 1–1.

واهتزت شباك بيرنلي في الثواني الأخيرة من الشوط الأول، حيث تلقى ريس نيلسون عرضية داخل منطقة الجزاء وسدد الكرة في الشباك لكن الحكم أشار إلى وجود تسلل، وأكد قراره بعد العودة لتقنية حكم الفيديو المساعد (فار) لينهي بعدها الشوط الأول بالتعادل 1–1. ومع بداية الشوط الثاني، أجرى أوناي إيمري المدير الفني لأرسنال أول تبديل في المباراة حيث أشرك نيكولاس بيبي بدلا من ريس نيلسون.

وبدأ أرسنال الشوط الثاني مهاجما منذ الدقيقة الأولى بحثا عن استعادة تقدمه، وكاد أن يهز الشباك في الدقيقة 51، عندما تلقى أوباميانغ عرضية من مونريال وسدد كرة قوية من خارج حدود منطقة الجزاء لكنها مرت بجوار القائم مباشرة.

وواصل أرسنال هجماته المنظمة وكان الانسجام واضحا بين لاعبيه عبر الاحتفاظ بالكرة والتوغل إلى داخل منطقة الجزاء، وقد أنقذ حارس مرمى بيرنلي شباكه من هدف محقق في الدقيقة 61 عندما تصدى لكرة قوية من أوباميانغ. وأجرى شين ديتش المدير الفني لبيرنلي تبديله الأول في الدقيقة 61 حيث أشرك جاي رودريغيز بدلا من كريس وود.

وواصل سيبايوس تألقه حيث تلقى تمريرة خارج منطقة الجزاء في الدقيقة 62 وهيأ الكرة لنفسه ببراعة ثم سدد كرة قوية خطيرة لكن حارس بيرنلي تصدى لها. وفي الدقيقة 64، كلل أوباميانغ تألقه بتسجيل الهدف الثاني لأرسنال حيث تلقى تمريرة من سيبايوس وتقدم بين المدافعين بمهارة ثم سدد من حدود منطقة الجزاء ليسكن الكرة في الشباك معلنا تقدم أرسنال 2–1.

فرصة خطيرة

ورد بيرنلي بفرصة خطيرة في الدقيقة 71، حيث أرسل يوهان غودموندسون عرضية عالية إلى دوايت ماكنيل الذي قابل الكرة بتسديدة برأسه لكنها مرت فوق العارضة. وأجرى إيمري تبديله الثاني في الدقيقة 71 حيث أشرك سياد كولاسيناك بدلا من لاكازيت كما أجرى مدرب بيرنلي تبديله الثاني ودفع باللاعب آرون لينون بدلا من غودموندسون.

وتراجع إيقاع اللعب مع تراجع الحدة الهجومية لكلا الفريقين في الدقائق الأخيرة لكن الإثارة كانت عنوان الوقت القاتل حيث قدم كل من الفريقين أكثر من فرصة خطيرة، لكن كل المحاولات باءت بالفشل لتنتهي المباراة بفوز أرسنال 2–1.

درجة سادسة سوبر

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

هل منكم من سمع في السابق باسم حارس مرمى يدعى أدريان؟ قطعا عدد قليل للغاية من متابعي الكرة الأوروبية وتحديدا الإسبانية والإنكليزية يعرف هذا الحارس الذي تحوّل في ظرف عشرة أيام من لاعب ينشط في فريق مغمور إلى نجم سوبر في مباراة سوبر.

هي هكذا الحياة، تحمل أحيانا ملامحها الصارمة والمعقولة، وأحيانا أخرى لمحات من الجنون، ولوحات من السخرية والعبثية، فهي قادرة على أن تحيل اللاعب النجم إلى مجرد "كومبارس"..

الأمثلة عديدة في هذا السياق على غرار نجم منتخب التشيلي أليكسيس سانشيز الذي أصبح عبئا ثقيلا على ناديه مانشستر يونايتد، أو نجم منتخب كولومبيا خاميس رودريغيز الذي لم يقدر بعد على إيجاد فريق آخر ينقذه من تجاهل زيدان مدرب ريال مدريد.

لكن في هذه الحياة يتعين عليك أن تتوقع كل السيناريوهات والاحتمالات، يتوجب عليك أن تتوقع الأفضل فيأتي الأسوأ والعكس صحيح.

في هذه الحياة وكما في عالم كرة القدم، قد يباغتك القدر بأخبار غير متوقعة تبدو أحيانا مجنونة، وبمسار يقترب من الخيال، لكن هكذا يمكن أن تفعل الحياة.

هذه الحياة القادرة على إحالة النجوم إلى لاعبين من الدرجة الخامسة والسادسة، قادرة أيضا على أن تحيل لاعبا من الدرجة السادسة إلى لاعب سوبر يحرز لقب السوبر.

هذا ما حصل مع الإسباني أدريان، هذا الحارس البالغ من العمر 32 عاما، فبعد سنوات من الضياع والحيرة والبقاء في الصفوف الخلفية البعيدة، امتدت الأضواء لتنصبه ضمن نجوم الصف الأول، جعلته بطلا في ظرف عشرة أيام فقط، وأهدته لقبا أوروبيا لم يكن قبل فترة قصيرة للغاية يحلم به البتة.

قصة هذا الحارس ربما بدأت في انطلاقة واعدة لمسيرته، حيث تألق في منافسات الدوري الإسباني قبل أن يظفر بعقد مغر من نادي وستهام يونايتد الإنكليزي منذ بضع سنوات.

كان أدريان يمني النفس بأن يسير على خطى مواطنه دي خيا نجم مانشستر يونايتد والحارس الأول للمنتخب الإسباني.

أتيحت له منذ ثلاث سنوات فرصة الانضمام للمنتخب الإسباني، لكنه لم يشارك في أي مباراة رسمية، غير أن ذلك كان بمثابة علامة إيجابية على قدرته على التألق أكثر.

بيد أن الظروف لم تسر طيلة مسيرته مع وستهام بالشكل المطلوب، إذ كان دوما الحارس الثاني، عاش زمنا طويلا في الظل، حاول الكفاح لكنه لم ينجح، انتظر وتربص وأراد أن يقنع بأن لديه القدرة على البروز، لكن بلا جدوى.

لعبة الحياة القاسية كادت تقضي نهائيا على مسيرة هذا الحارس، فبعد نهاية عقده مع وستهام منذ حوالي الشهر وجد نفسه بلا أي فريق، لم يرد أي ناد التعاقد مع حارس قضى معظم المواسم الأخيرة في الصفوف الخلفية.

حاول جاهدا الظفر بعقد قد ينتشله من حالة التيه والضياع، لكن دون جدوى، عرض خدماته على عدد من الفرق لكن دون مجيب.

عاد مطأطئ الرأس إلى مسقط رأسه، كاد اليأس يلقيه في غياهب النهاية، لكنه منح لنفسه فرصة أخيرة، فتوجه صوبا إلى فريق ينتمي إلى الدرجة السادسة في إسبانيا، هناك مع هذا الفريق واصل تدريباته بانتظام.

كان حريصا على أن ينهي حالة اليأس، ما دفعه إلى تصوير تدريباته ونشرها بواسطة مقاطع فيديو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ربما كان كل همه أن يظفر بعقد يليق بنهاية مسيرته الاحترافية.

لكن الأقدار ولعبة الحياة غالبا ما تكون عكس كل التوقعات والأماني، ربما تكون فوق كل التوقعات، تكون أكبر من الأحلام.

لقد تلقى أدريان مكالمة هاتفية غيرت كليا مسار حياته، فإدارة نادي ليفربول قدمت له عرضا جديا للتوقيع مع الفريق.

طار من الفرح، عاد إلى إنكلترا بسرعة البرق، أراد أن يتأكد من صحة الأمر، وكان له ما أراد.

كل هذا الأمر حصل قبل عشرة أيام فقط، وهي فترة كانت كافية لتقلب كل الثوابت وتغير كل الوقائع، وأبواب "الجنة" فتحت أمام هذا الحارس المحظوظ هذه المرة بالتعاقد مع ليفربول بطل أوروبا.

بدأ أدريان التدرب مع فريقه الجديد غير مصدق لما يحصل، لقد توقع أن يلعب مجددا دور الحارس الثاني مثلما خبر الأمر في السابق مع وستهام.

انطلقت منافسات الدوري الإنكليزي سريعا، جلس هذا الحارس على دكة البدلاء في مباراة الجولة الافتتاحية، كان يستمتع بمشاهدة الحارس الأول أليسون بيكر أثناء المباراة.

لكن مجددا، ظهر الجانب "المجنون" من هذه الحياة، فالحارس بيكر تعرض لإصابة حادة، وهو ما استوجب إقحام أدريان ليكمل اللقاء بدلا عنه.

إصابة بيكر ستبعده عن الملاعب لفترة طويلة، فلم يكن من بدّ سوى مواصلة التعويل على أدريان أساسيا إلى أن يتعافى الحارس الأول.

أول اختبار كان مباراة السوبر الأوروبي بين ليفربول وتشيلسي، حينها اكتملت كافة فصول "الجنون"، فأدريان ساهم بتصديه لعدة محاولات وكذلك ضربة جزاء ترجيحية في منح فريقه اللقب.

لقب غيّر المعادلات وقلب الموازين، فأحال لاعبا كادت تخطفه منافسات الدرجة السادسة إلى نجم سوبر في اختبار حياتي سوبر.

سان أنتونيو يسحب القميص رقم 9 بعد اعتزال باركر

لوس أنجلس – أعلن نادي سان أنتونيو سبيرز، الذي يلعب في الدوري الأميركي للمحترفين في كرة السلة، بأنه سيسحب القميص رقم 9 الذي كان يحمله نجمه الفرنسي توني باركر بعد اعتزال الأخير اللعبة في يونيو الماضي. وسيُعلق قميص باركر في سقف ملعب "أي.تي.أند. تي سنتر" في 11 نوفمبر خلال المباراة الأولى لسبيرز في مواجهة ممفيس غريزليز في مستهل موسم 2019–2020.

و سيصبح باركر اللاعب العاشر في تاريخ سبيرز الذي يسحب قميصه لينضم إلى بروس بوين (12)، تيم دنكان (21)، شون إيليوت (32)، جورج جرفين (44)، مانو جينوبيلي (20)، إفري جونسون (6)، جوني مور (00)، ديفيد روبنسون (50) وجيمس سيلاس (13).

وخاض باركر 18 موسما في الدوري الأميركي للمحترفين بينها 17 مع سان أنتونيو حيث قاده إلى اللقب أربع مرات واختير أفضل لاعب نهائيات البلاي أوف عام 2007 ليصبح بالتالي أول لاعب أوروبي ينال هذا الشرف.

ويملك باركر الرقم القياسي في عدد التمريرات الحاسمة في تاريخ سبيرز مع 6829 تمريرة. وخاض باركر ما مجموعه 1254 مباراة في الدوري الأميركي (بينها 1198 مع سان أنتونيو) وسجل معدلا مقداره 15,5 نقطة، و5,6 تمريرة حاسمة و2,7 متابعات في المباراة الواحدة.

ديوكوفيتش يتقدم نحو نصف نهائي بطولة سينسناتي

لندن – تغلب نوفاك ديوكوفيتش على لوكا بوي بعد مجموعة أولى صعبة ليهزم اللاعب الفرنسي 7–6 و6–1 في دور الثمانية لبطولة سينسناتي للتنس للأساتذة في أوهايو الليلة الماضية. وكانت المباراة متكافئة أكثر من لقائهما في قبل نهائي بطولة أستراليا المفتوحة في يناير الماضي عندما خسر ديوكوفيتش أربعة أشواط فقط قبل أن يشق طريقه نحو الفوز باللقب.

واحتاج اللاعب الصربي نحو ساعة ليحسم المجموعة الأولى لكنه خاض شوطا فاصلا من جانب واحد أنهاه بضربة خلفية رائعة. وجاءت المجموعة الثانية من جانب واحد حيث كان المصنف الأول عالميا أكثر فعالية أمام منافس استسلم مبكرا.

جاهزية تامة

وما يخشاه ديوكوفيتش فقط قبل أقل من أسبوعين على انطلاق بطولة أميركا المفتوحة التهاب مرفقه الذي احتاج لتدخل الطبيب لعلاجه قبل نهاية المباراة.

وقال ديوكوفيتش في مقابلة بالملعب عقب المباراة "نجحت في إنهاء المباراة. شعرت ببعض الألم في مرفقي لكن أتمنى أن يصبح كل شيء على ما يرام".

وأمام ديوكوفيتش أقل من 24 ساعة للتعافي قبل مواجهة الروسي دانييل ميدفيديف في قبل النهائي. وواصل ميدفيديف تألقه عندما تغلب على مواطنه أندريه روبليف بنتيجة 6–2 و6–3 خلال نحو ساعة.

وتأهل الفرنسي ريشار غاسكيه إلى المربع الذهبي بفوزه على الإسباني روبرتو باوتيستا أجوت. ويلتقي غاسكيه في الدور قبل النهائي، البلجيكي ديفيد جوفين الذي تأهل بعد انسحاب الياباني يوشيهيتو نيشيوكا من مباراتهما بدور الثمانية بسبب وعكة صحية.

وفي منافسات فئة السيدات، صعدت الأسترالية أشليه بارتي إلى الدور قبل النهائي بفوزها على اليونانية ماريا ساكاري، وباتت بارتي بحاجة إلى انتصار واحد لاستعادة صدارة التصنيف العالمي للاعبات التنس المحترفات. وفقدت بارتي (23 عاما) صدارة التصنيف العالمي لصالح اليابانية ناومي أوساكا، إثر الخسارة أمام الأميركية صوفيا كينين في بطولة كأس روجرز في مدينة مونتريال الكندية قبل أيام. وودعت أوساكا منافسات سينسيناتي من دور الثمانية حيث انسحبت أمام كينين بسبب إصابة في الركبة اليسرى، وذلك عندما كانت كينين (20 عاما) متقدمة في النتيجة.

العرب
الأحد 2019/08/18
السنة 42 العدد 11440

حب البوكيمون يجمع الكبار بالصغار في واشنطن

جمعت لعبة البوكيمون عددا كبيرا من محبيها كبارا وصغارا من كافة أنحاء العالم على امتداد ثلاثة أيام في واشنطن، في بطولة تنظم سنويا بالعاصمة الأميركية، يطور بفضلها العديد من اللاعبين صداقات وثيقة في ما بينهم.

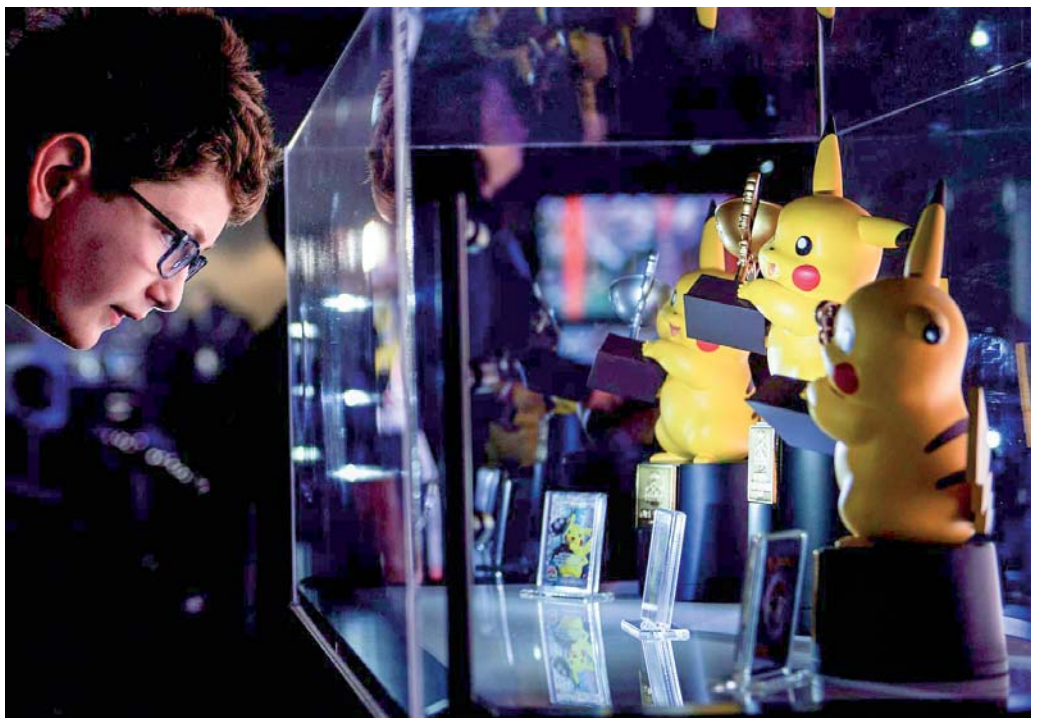

لعبة تشعل نيران التحدي بين الأجيال

واشنطن – يتوافد الكبار والصغار على حد سواء هذا الأسبوع إلى واشنطن للمشاركة في بطولة العالم للعبة البوكيمون، هذه المخلوقات التي تملك قدرات خارقة والموجودة منذ أكثر من عقدين.

ومن المتوقع أن يشارك أكثر من 7500 شخص من 49 دولة في هذه المسابقة التي تنظم سنويا في العاصمة الأميركية والتي انطلقت الجمعة وتنتهي فعالياتها اليوم.

واللافت أن غالبية الحاضرين يبدو أنهم في العشرينات من العمر أو أكبر سنا.

وقالت أماندا غانكل التي كانت ترتدي ملابس شخصية "بيكاتشو" الصفراء الشهيرة والتي أتت برفقة شقيقها التوأم لحضور المسابقة من بيتسبرغ ممازحة "أنا في الرابعة والعشرين من العمر لكنني أعرف أنني أبدو صغيرة".

وأضافت "أنا من محبي بوكيمون منذ طفولتي". من الواضح لماذا يحب الأولاد شخصيات بوكيمون، لكن بالنسبة إلى الأشخاص الأكبر سنا، تمثل هذه الشخصيات الصغيرة الحنين والتجدد في آن واحد.

وأطلقت سلسلة بوكيمون في اليابان العام 1996، لكنها لم تشهد رواجا في الولايات المتحدة حتى أوائل الألفية الجديدة.

وتواصل العلامة التجارية هذه إطلاق ألعاب الفيديو بانتظام. كما هناك أيضا بطاقات بوكيمون للتداول ومسلسل تلفزيوني متحرك والعديد من الأفلام.

وأفاد إلفين جي وهو ناطق باسم الشركة "نحن بالتأكيد نرى معجبين ببوكيمون من أجيال مختلفة".

وتابع "إن رؤية العديد من الأولياء ينقلون بطاقاتهم الخاصة أو ألعاب الفيديو لأولادهم أمر رائع".

وترجع شعبية هذه الشخصيات أيضا إلى النجاح الذي حققته لعبة "بوكيمون غو" التي تقوم على مطاردة شخصيات افتراضية في مواقع فعلية عبر تقنية الواقع الافتراضي، إضافة إلى فيلم "ديتيكتيف بيكاتشو" الذي أطلق في مايو وجمع إيرادات بلغت أكثر من 430 مليون دولار في أنحاء العالم.

أتى جون كيم من نيوجيرزي برفقة عائلته حتى يتمكن ابناه الأكبر سنا، وهما اللذان يبلغان من العمر 11 و8 سنوات، من المشاركة في هذه البطولة.

وقال هذا الرجل الأربعيني "إنه أمر جيد حقا... إذ عليهم أن يتعلموا تقبّل الخسارة والربح بروح رياضية، كما عليهم تعلم القواعد والقبول بالنتيجة مهما كانت". بالنسبة إلى عائلة كيم، انتقل الشغف ببوكيمون من الأولاد إلى الأب، فقد أصبح جون مهتما باللعبة بعدما بدأ أولاده يمارسونها. والآن، تلعب العائلة بكاملها سويا حتى الابن الأصغر الذي يبلغ من العمر 4 سنوات.

وأضاف كيم "في هذه اللعبة، عليهم مواجهة خصم" والتواصل مع الآخرين. وهذا التواصل عنصر أساسي في مجتمع البوكيمون إذ يطوّر العديد من اللاعبين صداقات وثيقة، رغم أنهم لا يرون بعضهم البعض إلا مرة واحدة في السنة في بطولة العالم للبوكيمون.

وفي هذه البطولة، تقدم جوائز تصل قيمتها إلى 25 ألف دولار، غالبيتها على شكل منح دراسية أو تذاكر سفر خصوصا للمشاركين الذين تقل أعمارهم عن 18 عاما.

الهدف من هذه البطولة هو التشجيع على التثقيف وترسيخ المبادئ بين المشاركين.

ومثل عائلة كيم، بدأ اهتمام يانيك دوني بلعبة بوكيمون عندما بدأت ابنتاها ممارستها، وقد رافقت هذه المرأة التي تبلغ 38 عاما ابنها البالغ 11 عاما من جولييت في كيبيك للمشاركة في البطولة.

مشروع عالمي يرصد حركة الحيوانات عبر الفضاء

برلين – خرج مارتن فيكيلسكي، قبل 18 عاما، بفكرة رصد حركة الحيوانات من الفضاء، وقد انطلق المشروع الحلم أخيرا.

ويقول فيكيلسكي، مدير قسم علم الأحياء السلوكي بمعهد ماكس بلانك في ألمانيا "وكأنه حلم.. يجلس المرء يراوده حلم لسنوات- ثم يفكر: /انتظر، إنه يتحقق الآن ويصبح واقعا.. لا يمكن أن يكون ذلك حقيقة/ لا نستطيع أن نستوعبه".

وتستند فكرة "مشروع إيكاريوس" وهو اختصار لاسمه بالإنكليزية الذي يعني "التعاون الدولي لأبحاث الحيوان باستخدام الفضاء"، على تزويد حيوانات مثل الطيور المهاجرة أو الدببة أو الماعز بأجهزة إرسال دقيقة، واستخدام محطة الفضاء الدولية لتتبع تحركاتها على الأرض.

ويأمل فيكيلسكي وأعضاء فريقه أن يساعد المشروع في توفير المزيد من المعلومات الخاصة بالطرق التي تسلكها الحيوانات، مما يسمح للإنسان بتعزيز حمايتها عبر تحسين وتطوير المناطق المحمية. كما يمكن أن تساعد هذه المعلومات على توفير حماية أفضل للبشر، حيث إن الحيوانات قد تحمل أمراضا، ومن شأن البيانات الخاصة عن تحركاتها أن تساعد العلماء في منع، أو تعطيل انتشار منشأ الأوبئة، أو تتبعها، بالإضافة إلى أن المشروع يمكن كذلك أن يصبح بمثابة نظام إنذار مبكر للكوارث الطبيعية مثل الزلازل والثورات البركانية.

والجانب الأهم في إيكاريوس، هو أنه سيجري تقييما لجميع البيانات التي سترسلها الحيوانات المرصودة معا، وهو ما سيعطي العلماء مفهوما جديدا تماما للحياة على وجه الأرض.

وأوضح فيكيلسكي "سنستطيع تقدير البيانات القادمة من هذه المجموعة من الحيوانات، التي، ببساطة، لم نرها من قبل.. سنتمكن بالفعل من الاعتماد على الحاسة السادسة لدى هذه الحيوانات".

ويريد الباحثون مراقبة تحركات الببغاوات في نيكاراغوا، والماعز في إيطاليا والدببة في شبه جزيرة كامشاتكا شرقي روسيا، في ما يتعلق بالنشاط البركاني. وعلى مدار الأعوام المقبلة، سيتم تثبيت أجهزة الإرسال الصغيرة في مئات الآلاف من الحيوانات.

ولن يكشف هذا فحسب عن موقع الحيوانات بدقة، بل أيضا السرعة التي تتحرك بها، وتوجهها في ما يتعلق بالمجال المغناطيسي للأرض، بالإضافة إلى درجات الحرارة في محيط وجودها، والضغط الجوي ونسبة الرطوبة.

وستأتي هذه البيانات من أجهزة إرسال مربعة الشكل، طول الواحد سنتيمتران، ووزنه حوالي خمسة غرامات، بحسب مركز الفضاء الألماني.

ويصف المركز آلية الاتصال بين جهاز الإرسال وهوائيات محطة الفضاء الدولية كما يلي: بمجرد أن تقترب محطة الفضاء الدولية من أحد الحيوانات المرصودة، يوقظ جهاز توقيت جهاز الإرسال من وضع توفير الطاقة، ثم يقوم جهاز الإرسال بحساب توقيت مرور محطة الفضاء الدولية به. وفي هذه المرحلة، يعمل جهاز الاستقبال من تلقاء نفسه ليبعث البيانات المخزنة إلى المحطة الفضائية.

ومن المحطة الدولية، يتم إرسال البيانات إلى مركز للتحكم في موسكو، والذي يبعثها بدوره إلى مركز إيكاريوس لاستخدام البيانات في كونستانز في جنوب ألمانيا، "وهنا يقوم العلماء بتخزين المعلومات في قاعدة بيانات عالمية خاصة بتحركات الحيوانات، والتي تحمل اسم 'موف بنك'، وبذلك يمكن الوصول إليها من أجل أغراض التحليل العلمي".

كشفت الفنانة المغربية سميرة سعيد في برنامج «توأم روحي» مع المذيع نيشان أن سبب طلاقها من الموسيقار المصري هاني مهنا، بعد سنوات من الكتمان، هو أن «كليهما يعملان في نفس المجال».

«مهرجان الصيف» يضيء ليالي بغداد

بغداد – تتزامن ضربات إيقاع موسيقى التكنو الإلكترونية مع تصفيق الشبان الذين احتشدوا، الجمعة، داخل قاعة مغلقة للرقص في "مهرجان الصيف" الأول من نوعه في العاصمة العراقية بغداد منذ عقود.

تختلط ألوان الإضاءة الحمراء والصفراء والبيضاء تحت علم عراقي كبير، وهي تتراقص بدورها في قاعة كرة السلة في ملعب الشعب وسط بغداد، كأنها هي أيضا فرحة بعودة حياة الليل إلى العاصمة التي ما تركها العنف إلا أخيرا.

بدأ الاحتفال ظهرا بمعرض للسيارات ينظم للمرة الأولى أيضا، استعرضت فيه سيارات كلاسيكية وسيارات رباعية الدفع معدلة ودراجات نارية.

وفي هذا البلد حيث يعتبر المجتمع محافظا نوعا ما، كان حضور الفتيات خجولا لكنه كان لافتا في هذه المناسبة وكنّ يتمايلن بفرح على أنغام الموسيقى الغربية المتداخلة مع أغان شعبية عراقية.

وقالت ليان البالغة من العمر 19 عاما "أنا أحب هذا النوع من الموسيقى. أسمع كثيرين يقولون لنا أنتم متأثرون بالغرب"، مضيفة "حسنا، لا فرق عندي، المهم أنني لم أعد مجبرة على سماع هذه الموسيقى سرا في بيتي".

وإثر الغزو الأميركي للعراق، في عام 2003 لم تر البلاد مشهدا مماثلا، فأصوات الإيقاعات اليوم كانت قبل سنوات قليلة دوي انفجارات، جعلت من بغداد خصوصا مدينة الخوف.

ومع اجتياح تنظيم داعش للبلاد في العام 2014، كان الأمن حلما للعراقيين، حتى أنه بعد إعلان "النصر" على الجهاديين في نهاية العام 2017، كان الحديث في الشارع عن الاستغراب من توقف الاعتداءات الدامية التي اعتادوا عليها أكثر من مرة في اليوم.

كانت الفرحة الجمعة كبيرة لدى الحضور الذي تخطى عدده الألف شخص. كانت حركاتهم ورقصاتهم موحدة كفرقة كانت تتدرب سرا لسنوات.

ولم يكن مهرجان الجمعة إلا دليلا جديدا على أن هذه البلاد تستعيد روحها، بعد عودة المقاهي الشبابية التي تستضيف أسبوعيا فرقا موسيقية تجمع كل فئات المجتمع.

مشارك متحمس يرتدي زي جندي في استعراض لمعركة نابليون في واترلو، بمناسبة الذكرى 250 لميلاد الإمبراطور الفرنسي

صباح العرب

عدلي صادق

نبيل عمرو.. قاصّا

يستذكر نبيل عمرو، قريته، قاصّا، أو يستدعيها في إهاب رواية مُضنية، استعادت زمنا يفتح لقريحته بابا واسعا، يستهويه في كلام حياته العادية، بسخريته اللاذعة وتشبيهاته وميله الغريزي إلى التقاط المفارقات، مع رمي المعنى في بطن الجملة البريئة، ثم الوقوع في غواية المصارحة الجارحة. ومثلما يستهل الروائي تجربته، بالتأسيس لها من خلال استدعاء زمن مضى، يستفيد الكاتب من مشاهداته وتأملاته وهو في سن العشرين، وما ظل عالقا في ذاكرته من كلام الناس، في الحقل الزمني لروايته. تراه يبدأ منذ الأسبوع الذي سبق حرب العام 1967. يختصر وعيُ الدنيا العربية، من خلال وعي القرية، بمتعلميها وحزبييها ووجهائها وبسطائها ومناسباتها الهانئة. ولكي لا يُثقل على "دورا" قريته، اختار لها اسما ذا إيحاء رمزي، بإيقاع مصري معطوف على دنيا العرب أجمعين. فالقرية هي "كَفر عرب" بفتح الكاف وليس بضمها. والكَفر هو القرية الصغيرة في نجوع مصر، بل إن الاسم نفسه، يتكرر مرارا في المحافظات المصرية. والرواية في مقاصدها، لا تتعلق بكُفر العرب أو أيمانهم، وإن كانت تركز على سذاجتهم وأوهامهم وعلى ثقافة النُخب السياسية، السطحية والقاصرة!

يعرض نبيل عمرو لجهالة الإعلام العربي، بكل ما فيه من الطنين، في تلك المرحلة، من خلال تقنية روائية ممتازة، وقد تصدّر الصفحات "عبدالشقي" الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، ولا علاقة له بالسياسة، فجعله القاص بقرار ضابط مخفر القرية "وزير إعلام الحرب" وهذا هو عنوان الرواية، التي صدرت مؤخرا عن "دار الشروق" في عَمّان.

يسأل قائد المخفر معاونه السكرتير "مع أن الشقي، ليس من أسماء الله الحسنى، فلماذا اسم الرجل هكذا؟". أجاب المعاون "اسم الرجل هكذا، ولم يتنبه أحد كيف حصل عليه!".

هنا، يستقيم للكاتب، توظيف الاسم فضلا عن بساطة الرجل، لكي يرمز إلى شقاء الناس في وعيها وأحوالها قبيل الحرب. غير أن بعض ما أشار إليه نبيل عمرو من الإحالات التي وضعها باعتبارها تصريحات سياسية سبقت الحرب، والتركيز على جمال عبدالناصر باعتباره صاحب وعود وتهديدات، كانت تعوزه الدقة وتطمس السياق الحقيقي للحرب، باعتبارها محصلة خطة مسبقة، للعدوان لغايات استراتيجية، نُشرت وثائقها. ثم إن "زعيم الأمة" كما وصفه نبيل تهكما، لم يقل أبدا "إن تدمير إسرائيل صار مسألة وقت" كما جاء في الرواية. فمثل هذا المنطق، اعتمده الراغبون في جعل العرب معتدين!

في المحصلة، نشر نبيل عمرو رواية شيّقة، رتب فيها حياة القرية صورة صورة، وعرض أشكال الوعي البائس، الذي جعل الهزيمة صدمة كبرى.